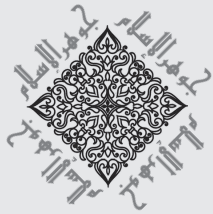

جوهر الإسلام

العدد 10/9 ـ السنة 23
رمضان 1446 هـ / مارس 2025 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000238106
ISSN	4957-0330

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1446 هـ/ 2025 م

الافتتاحية : صفحات من مسيرة حياة مؤسس «جوهر الإسلام» كما يرسمها ثلة من عارفي فضله 6

تقديم 9

بقلم الأستاذ صالح البكاري

الشيخ الإمام الداعية الشاعر المفسّر محمد الحبيب المستاوي، شهيد الدين، وناصر المسلمين 12

بقلم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أبولبابة الطاهر صالح حسِين

ليس بعد العيان بيان 22

بقلم الأستاذ صالح العود/ فرنسا

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه أمّـة في رجـل 28

بقلم الدكتور فريد قطاط

محمد الحبيب المستاوي شخصية نضالية فذة ورائد من رواد الإصلاح 32

بقلم الأستاذ منصف بن فرج

منهج الدعوة لدى الشيخ الحبيب المستاوي 36

بقلم الأستاذ سليمان الكنزاري

الشيخ الحبيب المستاوي شاعرا 41

بقلم الدكتور مختار العبيدي

مع الشيخ الحبيب المستاوي شاعرا 47

بقلم الأستاذ سُوف عبيد

المنزع الصوفي في شعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه 55

بقلم الأستاذ الصادق الأطرش

قراءة في مسيرة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه (جانفي 1923 – سبتمبر 1975) 64

بقلم الأستاذ الضاوي موسى

خواطر الشيخ الحبيب النفطي 69
-منـــــــاجاة- إلى روح الشيخ الحبيب المستاوي..... 69
بقلم الأستاذ محمد جنيفان

الشيخ الحبيب المستاوي : خبير بروح الإسلام ومقاصده..... 72
بقلم الأستاذ مصطفى عطية

الحبيب المستاوي المثقف والمربي والملتزم والمصلّح 76
بقلم: الأستاذ حسين المزوغي

الحبيب المستاوي رحمه اللّه :إسلامه يتجّلى في أقواله وأفعاله 82
بقلم السيد حسين صميدة

الشيخ الحبيب المستاوي الشاعر المصلح..... 86
بقلم الأستاذ الهادي خلفه

من أعلام الزيتونة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه(1923 ــ 1975)..... 98
بقلم الأستاذ محمد العزيز الساحلي

مقدمة ديوان (مع اللّه) للشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه 100
بقلم الأستاذ البشير العريبي

من كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث..... 108
تأليف احمد عبد اللطيف الجدع وحسني ادهم جرار

ساعة مع شيخ البلاغة 117
بقلم الاستاذ منصور بوليفة

الشاعر الشيخ الحبيب المستاوي بين الالتزام والتأمل 122
بقلم الأستاذ سعيد شبلي

سياحة فكرية : حي الحبيب وحي جوهر الإسلام..... 130
بقلم الأستاذ محمد الشعبوني

الشيخ المرحوم الحبيب المستاوي كما عرفته 134
بقلم الأستاذ : أحمد المناعي

خواطر حرة: بين الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والشيخ محمد الحبيب المستاوي رحمهما الله 138
بقلم الأستاذ أحمد العموري

ديوان «مع اللّه» للشيخ الحبيب المستاوي 142
عرض وتقديم الأستاذ: محمد بن رجب

محمد الحبيب المستاوي الإسلام المتصالح مع ولي الأمر 147
بقلم الأستاذ كمال بن يونس

● الشيخ الحبيب المستاوي في (موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح)150 .....
سَلْ «جوهر الإسلام» عنه.... 154
شعر الأستاذ البشير العريبي

شيخـــــي : إنا نحب الشيخ 155
شعر الأستاذ علي الجليدي

وثائق تاريخية : 157
شَخْصيّة المُصْلِح.. والعالِم البارّ 169
فضيلة الشيخ الحبيب بن محمّد المستاوي

صاحبُ مجلة (جوهر الإسلام) التونسيّة الغرّاء 169
بقلم الشيخ صالح العَوْد / فرنسا

عذرا ...وعفوا ياشيخنا الجليل الحبيب المستاوي 172
بقلم صالح الحاجّة

الافتتاحية :

صفحات من مسيرة حياة مؤسس «جوهر الإسلام» كما يرسمها ثلة من عارفي فضله

وفاء بما وعدنا به قراءنا الكرام ها هو العدد9/ 10من السنة23 والمخصص لمؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله واجزل مثوبته بمناسبة مرور مائة سنة على ميلاده (1923/ 2023) بين ايديهم وان جاء متأخرا بعض الشيء ولكننا على كل حال ما نزال في بداية العشرية .

وتشاء الاقدار أن يصدر العدد مقترنا بحلول شهر رمضان لهذا العام1446هـ/ 2025م وهو الشهر الذي كانت للفقيد به عناية وأيما عناية من خلال دروسه ومسامراته التي ظل طيلة عمره الذي بارك الله له فيه يلقيها في المساجد والجوامع وعلى منابر اللجان الثقافية في مختلف مدن وقرى البلاد من شمالها إلى جنوبها بدون كلل ولا ملل لا يكاد يقضي ليلة من لياليه مع أسرته في مقر سكناه بمقرين يسارع لإجابة كل دعوة توجه إليه لا يريد من وراء ذلك جزاء ولا شكورا لا هم له إلاّ إبلاغ رسالة الإسلام وهديه القويم لمختلف فئات المجتمع يقضي بينهم الوقت الطويل إلى مطلع الفجر في الكثير من الأحيان مستهينا بالأتعاب وما يحتاجه جسمه من الراحة ولكنه رحمه الله كان لا يحسب لذلك حسابا ولا يستجيب لمن يرجوه الرفق بنفسه وكنت شاهدا على ذلك.

وهذا الشهر المبارك شهر التزود بخير زاد وشهر القيام والصيام هو الذي اختاره الله لفضيلته وحبيب حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعود فيه نفسه المؤمنة إلى ربها راضية مطمئنة يوم الخميس12 رمضان 1395هـ/ 18 سبتمبر 1975 بعد الإمساك للصيام والقيام للصلاة ليبيت ليلة الجمعة في قبره ندعو الله أن يكون روضة من رياض الجنة.

كان في حسباننا أن يكون هذا العدد الخاص متضمنا لكل ما قيل ودبج من مقالات وبحوث من طرف زملائه ورفاق دربه وأصدقائه في تونس وخارجها في التعريف بمآثره فنضمّ إلى هذا العدد (الذي أردناه كتابا تذكاريا طالما ألح علينا تلاميذ الشيخ وأحباؤه إصداره) ما تضمنه العدد الخاص الذي أصدرته المجلة وتضمن ما القي في الاربعينية التي أقامتها الجمعية القومية للمحافظة على القران الكريم سنة1975 وتضمنها مع دراسات أخرى العدد 1 من السنة الثامنة للمجلة) لكننا عدلنا عن ذلك لكثرة ما كتب عن الشيخ بعد ذلك ولغلاء تكاليف الطباعة التي منعتنا إلى حد الآن من جمع أعماله الكاملة وهي عديدة متنوعة (من تفسير وأحاديث ومحاضرات ومشاركات في المؤتمرات التي حضرها في تونس وفي العواصم العربية والإسلامية وإشعارا دينية ووطنية واجتماعي وغيرها).

وحسبنا أننا حفظنا ما أمكننا التوصل إليه مما وقع نشر بعضه سواء على صفحات جوهر الإسلام و أو فيما أتاحته مشكورة الصحف والمجلات في تونس وخارجها وما نشر في الفضاء الالكتروني حيث عممنا من خلالها الاستفادة الأوسع من آثار الشيخ والتي يشهد كل من يطلع عليها بانها كأنّ حبرها لم يجف رغم مضي ما يزيد على نصف قرن على رحيله إلى دار البقاء وكأنّه رحمه الله لا يزال معنا يعايش أوضاعنا ويقدم ما يراه من أنظار وتوجيهات تنير السبيل للعاملين في حقل العمل الإسلامي.

يضم هذا العدد الخاص من المجلة أو (الكتاب التذكاري) بحوثا ودراسات حررها في مناسبات سابقة أخوة أصدقاء من الأساتذة الأوفياء كل واحد منهم تطرق إلى جانب من جوانب شخصية الشيخ رحمه الله : سيرة ومسيرة حياته في مختلف أطوارها وجوانبها التعليمية التربوية والإصلاحية والاجتماعية وإشعاعه الذي تجاوز حدود البلاد التونسية إلى البلدان الشقيقة المغاربية والعربية والإسلامية وبلاد فرنسا و كذلك ما جادت به قريحته من إشعار تضمنها الديوان الذي يحمل عنوان **(مع الله)** والذي وقع إصداره بعد وفاته كما وقع إصدار مجموعة افتتاحياته لمجلة جوهر الإسلام ويحمل عنوان **(من وحي الإسلام)** في انتظار أن ييسر الله إصدار بقية آثاره حتى تكتمل الصورة للباحث الذي يرنو إلى التعرف على الرجل وتعريف للأجيال التي لم تعرفه ولم تعاصره.

لقد أفسحت المجال للسادة الأفاضل الذين شرفونا مشكورين بالكتابة عن الشيخ جازاهم الله عنا وعن الشيخ خير الجزاء ولم أدرج ما كتبته شخصيا عنه رحمه الله طيلة السنوات التي تلت وفاته و نشرته في صحف وجرائد ومجلات داخل تونس

وخارجها عرفت فيها بالفقيد الذي كنت به لصيقا طيلة ما يزيد على العقد من السنين في آخر عمره المبارك وعرفت فيها ما لا يعرفه سواي مما زادني به تعلقا ورغبة في الاقتداء به وترسم خطاه والسير على منهاجه لما رايته فيه ومنه من تطابق بين الظاهر والخفي والقول والفعل وإخلاص وتجرد ووسطية واعتدال وسماحة وواقعية وتعلق بالوطن العزيز وهي خاصية المدرسة الزيتونية التي حمل لواءها الشيخ رفقة شيوخ بررة افضوا إلى ربهم جميعا وفي انفسهم حرقة على قلعتهم العتيدة الزيتونة (الجامع المعمور كعبة الشمال الافريقي) وضحوا في سبيله بالغالي والنفيس و تشربت منهم مثلي مثل كل من تتلمذوا للشيخ وعرفوه رحيقها..

عدد خاص وكتاب تذكاري للشيخ رحمه الله في الذكرى الماوية لميلاده ذلك هو بعض حقه على مجلته جوهر الإسلام التي عاش لها وسبَّل كل ما عنده وما عنده قليل ولكنه قليل طيب وخالص والخالص يدوم ويتصل و تلك كرامة للشيخ وان كان رحمه الله مثله اكثر العلماء العارفين يعد الكرامة الحقيقية هي الاستقامة ولكن صمود مجلته جوهر الإسلام رغم الصعاب والعراقيل التي واجهتها منذ اليوم الأول لصدورها فضلا عن الصعوبات المادية التي لا يتسع المجال لبسطها كل ذلك والحمد لله لم يُخل دون تواصل صدور جوهر الإسلام أم المجلات الدينية ليس فقط في تونس ولكن في كل ربوع الغرب الإسلامي، ويحق لنا القول إنها بشرى لمؤسسها في الحياة الدنيا **(لهم البشرى في الحياة الدنيا)** أما في الآخرة فإن جزاءه عليها سيكون أعظم وأكبر ممن لا يضيع أجر من أحسن عملا سبحانه وتعالى.

يقترن صدور هذا العدد الخاص والكتاب التذكاري بشهر رمضان المبارك ولم نغفل عن ذلك فأضفنا إليه تقديم هديتين مناسبتين لرمضان هما : عدد خاص سابق من مجلة (جوهر الإسلام) عن الصيام أحد أركان الخمسة يتضمن حِكمه وأسراره وأحكامه الشرعية الهادية لجعله يستحق النسبة إلى الله كما جاء في الحديث القدسي «**كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصومَ ، فإنه لي وأنا أجزي به**» بالإضافة إلى كتاب أدعية واذكار وابتهالات وصلوات أعده مركز التربية الإسلامية في فرنسا وقدمه هدية للقراء (كما يفعل مع كل عدد من أعداد مجلة جوهر الإسلام) مشكورا ما جورا فضيلة الشيخ صالح العود اجزل الله مثوبته ونفع به وبعلمه وبما يبذله من جهود في خدمة الأمة ودينها.

والحمد لله أوّلا وآخرا على توفيقه وعونه.

رئيس التحرير

تقديم

بقلم الأستاذ صالح البكاري[1]

هذا الكتاب من باب برّ الوالدين وباب تواصل ذكر الفقيد المرحوم الشيخ المنعّم الحبيب المستاوي، حرصا من ذويه وفي مقدمتهم ابنه البارّ الشيخ صلاح الدين حتى لا ينقطع ذكره، باعتبار هذا الكتاب من العمل النافع، واحد ثلاثة لا ينقطع بها ذكر من مات، كما في الحديث الشريف، علاوة على الاثنين الاخرين اللذين دأب الشيخ صلاح الدين واهله على اذكائهما بنشر علمه والمداومة على التصدّق عليه صدقة جارية.

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أبواب كبرى تمثل عينات من سيرة الفقيد وأعماله كما عرفها أهله ومحبّوه وأصدقاؤه بكونه عالما واعظا خطيبا مفسّرا شاعرا، فأفاضوا في ذكرها وتحليلها ودراستها، كل من زاوية نظره ووفقا لما عهده في الفقيد وعرفه أو قرأه وسمعه. وهي عينات قليلة من كثير من الأعمال نشر بعضها منفصلا وقد يسمح قادم الأيام بنشرها كاملة مجتمعة.

وبمطالعة هذه العيّنات التي هي مقاربات بعضها عاطفي هيجتها ذكرى الشيخ المنعّم وبعضها الآخر موضوعي تناولت جوانب من علمه وأعماله يتبيّن انه كان عالما عاملا بما قدر عليه من دراية وجهد واجتهاد ومشاعر، وهو القادم من أطراف البلاد البعيدة على حاضرة العلوم الشرعية ومعترك الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية فيها، حيث يتزاحم الرّكب وتتدافع الأكتاف، فشقّ طريقه بصبر المؤمن وسكينة الصوفي وتواضع العالم والتزام المناضل الوطني الصادق من غير أن ينسى مثوى الآباء والأجداد، فكان حريصا على استقلال بلاده ومنعتها، مشاركا في التوعية الوطنية والاجتماعية، منافحا محافظا على الدين وقر آنه، فاجتمعت فيه خصال قلما اجتمعت في رجل واحد.

(1) مستشار في رئاسة الجمهورية، وزير ثقافة، سفير تونس في المغرب سابقا.

تلك الخصال لم تغرّه ولا هي عظَمت نفسه في عينه، كما أنّ بعض العراقيل التي واجهها في حياته لم تزعزع ايمانه بواجباته ولا هي كدرت باله، ناهيك انه في اخر حياته كان راضيا متضرّعا إلى ربّه حتى يبدل حال الجميع، لا حاله الخاصة، إلى ما هو افضل واطيب.

كان في ما ذكر لي وما سمعت عنه يحبّ العفو الذي يحبه الله العفو، ساعيا في الخير والصلح والصلاح الذي سمّى ابنه به. ففي الفتنة التي جدّت بين الدستوريين اواسط خمسينات القرن الماضي سعى بالحسنى لدى الزعيم بورقيبة للعفو عن بعض الخصوم المحكومين حكما قاسيا واستجاب الزعيم لمسعاه فعفا عنهم. وكان وهو الإمام الورع يمرّ صدفة أمام الخمّارات أحيانا، فلا يستعيذ من الشيطان أو يلعن من بداخلها، كما يفعل بعض من لا يدرك مشقة بعض المساكين وبلواهم، فيلاطف ويواسي عسى الله أن يتوب عليهم ويهديهم إلى سويّ سبيله.

وكانت له مخالطة لتونسي يهودي تعاشرا عشرة الصداقة والمودّة، كل على دينه دون ازدراء الثاني أو الانكار عليه، لأنه مؤمن بأنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء. وكانت آخر دعوى الشيخ المستاوي لعشيره الذي أمّن على الدعوى « اللّهم أمتنا على خير الاديان». وأين منا اليوم مثل ذلك المؤمن الذي لا تتزعزع عقيدته لما يرى غيره يأتيه أو يؤمن به، ولا يرى حرجا في مخالطته بالاحترام والتقدير، من منطلق الايمان بأن اكرم الناس عند الله أتقاهم، بما في تقوى الله من الاستقامة والقدوم عليه بقلب سليم وقد سلم الناس من شرّه.

وفي غمرة انتشار بعض المذاهب الطارئة على البلاد على جنح رياح الفتنة والبدع مدّعية الصّحوة عاملة على تكفير المجتمعات الإسلامية، رافعة راية الجهاد في غير ما يجاهد فيه كانت للشيخ المرحوم مشاركة في المحافظة على القرآن الكريم لا لأنه مهدد بالزوال أو الاندثار، وله ربّ يكلاه في لوح محفوظ وفي صدور عباده المخلصين، وإنما توقيا، في تقديري، من قراءته على حرف، أو رفع مصحفه لغايات سياسية دنيوية، كما جاء في ما اثر عن عمر بن الخطاب حيثما قال، والإسلام ما يزال غضا غريضا: كنت أظنهم يقرؤون القرآن يريدون به ما عند اللّه، فإذا هم يقر أونه يريدون به ما عند الناس.

وفي دروس المنعم الشيخ الحبيب المستاوي ومحاضراته، وفيما كان يعدّه من حصص اذاعية دينية وما كان يلقيه من خطب دينية، ومما قرأت له وسمعت عنه مشاركات ملتزمة بإصلاح الدنيا والدين بصوت خاشع هادئ ونفس مسترسل من غير اهتياج ولا قلق على خلاف بعض المرائين المتظاهرين بالتديّن المتشدّد، متوخّين

التقريع والاستفضاع والوعظ المنفّر، يقينا منه، في ما أظنّ، انه لا يمكن الإصلاح والهداية بمثل تلك الاساليب، وانه ما لم تكن هداية من اللّه، وتربية اسرية صالحة، ومحيط نقي معنويا وماديا وسياسة وطنية راشدة لن ينشا مؤمن بقدر ما يوجد ملحد أو منافق، ولن يربى ولد خائف أو مداهن، ولن ينمو مواطن صالح بقدر ما يوجد فرد انتهازي يجري لمصلحته الشخصية الانانية، ولو عمّ الطوفان الجميع.

وعلى هذا النهج القويم وهذه القيم السمحة سار ابنه وارث سرّه الشيخ صلاح الدين وقد تربى على يديه وكرع من علمه وتزين بتقواه، فصار بعده اماما بجامع مقرين الذي كان والده امامه، وحرص على أن يظل بيته، بيت والده، مشرع الباب لمحبّي الشيخين الوالد والولد، ولمعارفهما ومن سلك طريقهما، يجمعهم لتلاوة أختام القرآن وكتاب الشفاء، وللدعاء والذكر في مختلف المناسبات الدينية، كما يحضر ابنه مداوما حلقات الاذكار والتبرّك في العشايا والاماسي بمقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي التي يتوافد عليه بانتظام مريدو الطريقة الشاذلية وخدّام القرآن.

ويضيف الشيخ صلاح الدين ويرعى الطلبة المسلمين الاجانب المزاولين للتعليم العالي بتونس المحروسة، ناصحا موجها مكرما، مساعدا على تعلم اللغة العربية علاوة على مزيد التعمق في أصول الدين، كما يشارك في الندوات والملتقيات الإسلامية والدروس الحسنية المغربية، ويلقي الدروس والمحاضرات على المسلمين المغتربين، واعظا منبّها اياهم إلى ضرورة ابراز سماحة الإسلام وتشريف اوطانهم بالسيرة الحسنة واتقان الاعمال ونشر الكلمة الطيبة، والحذر من عقبى كل انحراف، وضرورة احترام قيم بلدان اقامتهم وقوانينها في ما لا ينال من خاصة دينهم.

وكلّل الشيخ صلاح الدين اعماله وفاء لوالده وبرّا به، فاعاد نشر مجلّة جوهر الإسلام التي تتوخى التركيز على الجوهر وتتحاشى العرض وتنفي الشوائب التي تعلقت بالتدين، واقام مؤسسة بحثية باسم والده تقيم الندوات وتنجز الدراسات، مستكتبا في الأولى العلماء والباحثين من كلّ الأقطار الإسلامية، داعيا إلى االثانية امثالهم من العلماء والباحثين والمهتدين إلى الدين القيم.

وعسى أن يجد المطالع لهذا الكتاب ما يفيد، وان يستشف منه بعض النشر الطيب الذي خلّفه المغفور له باذن الله الشيخ الحبيب المستاوي فيترحم عليه فيكون هذا الكتاب ثالث الثلاثة من دواعي استمرار ذكره كما في الحديث الشريف المشار إليه آنفا، وليكن للمرحوم رضا ربّه وواسع رحمته، ولسليله واخوته اجمعين، لما حرصوا عليه من ابراز هذه الثمرة من ثمار شجرة النور الزكية التي غرسها فيهم والدهم بجمع ما قيل عنه وكتب عن خصاله واعماله، داوم الخير والهداية

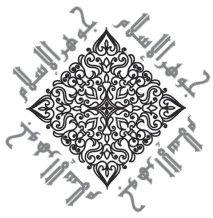

الشيخ الإمام الداعية الشاعر المفسّر محمد الحبيب المستاوي، شهيد الدين، وناصر المسلمين.

بقلم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أبولبابة الطاهر صالح حسِين[1]

إنّ الشعوبَ والأُمم لَتَفْخَرُ بعُلمائها وتَتَبَاهى بأُدبائها وشُعرائها، وقَادَتِهَا ومُنْجَزَاتِها الحضاريّة المُتميِّزة، وإنّ تونس على صِغَرِ مساحتها وقِلَّةِ عدد أبنائها لَتَفْخَرُ بما أَنْجَبَتْهُ من أعلامٍ على مَرِّ تاريخِهَا، ما تزال مآثِرُهُم تُرَدِّدُها الأكوانُ، ويتغَنّي بها الأَخْلافُ ويَسْتَمِدُّونَ من روائِعِهِمْ ومَوَاقِفِهِمْ أَمْدَادًا لا تنضُبُ من مَحاسِنِ الدُّروس وبالغِ العِبَرِ وسَنِيِّ المَفَاخِرِ.. كالفاتح المُجاهد عُقْبَةَ بْنِ نافعٍ، بانِي القيروان عاصمةِ الإسلام الأولى، في الغرب الإسلاميّ والمُجَاهِدِ حَسّانِ بْنِ النُّعْمَان هازم الروم ومخلّص البلاد من شرور الكاهنة، ومُؤَسِّسِ دَارِ الصناعة، ومُرْسِي الإدارة العربيَّة لِلدَّوْلَةِ الإسلاميّة بإِفْرِيقِيَّةَ، وعُبَيْدِ اللّه بْنِ الحَبْحَابِ باني الجامع الأعظم جامع الزيتونة المعمور الذي ألحقه الإمام الشعراني بالمساجد الثلاثة، وأَسَدِ ابن الفُرات القاضي المجاهد المُحَدِّثِ مصنّف « الأسديّة « فاتح صقليّة، والإمامِ سحنون صاحبِ المُدَوَّنَة مرجعِ المالِكِيَّةِ في المَشارق والمَغارب، وابْنِ أَبِي زيد القيروانيّ مالكٍ الصّغير، مُجدِّدِ عصره وواضع «الرسالة» التي تحوّلتْ بتحرير عبارتها، ودقيق معانيها، ووَجَازَتِهَا، واستيعابها، إلى أَيْقُونةِ المذهب في إفريقيّةَ. والإِمَامِ المازَرِيّ إمامِ المالكيّة في عصره، وعبدِ الرّحمن بْنِ خَلْدُون صاحِبِ « المُقدّمة « الَتي سارت بهَا الرُّكبانُ والتي تجلّت فيها عبقريَّةُ

(1) رئيس جامعة الزيتونة سابقًا، تونس.إمام خطيب جامع القدس ـ البلفيدير، تونس. مدير مركز الدراسات الإسلاميّة بالقيروان. عضو مجمع البحوث الإسلاميّة، الأزهر الشريف ـ القاهرة.

العالِم المُسلم وقُدُرَاتُهُ الفَائقةُ على الإبداع والتحليل واستشراف المستقبل. وابنِ عرفة الوِرْغِمِّيّ خطيبِ الجامع الأَعْظَمِ وفَقِيهِ العصر، وصولا إلى المُصْلِح خير الدّين التّونسيّ واضِع بَذْرَةِ النهضة التونسيّة الحديثة، فعبدِ العزيز الثعالبي العَالِم الزّعيم واضع لَبِنَةِ الجِهَاد الأولى لتحرير تونس وفَكِّ أغلال الاستعمار الفرنسيّ الصّليبيّ البغيض، وإعادة تونس لعُروبتها وإسلامها، ومحمّدِ الخضر حسِين ناصر الدّين، وقامع خُصُومِه وإبْطالِ شُبَههم وإفساد ما زيَّنَتْه لهم شياطينُ العَلْمَنَةِ والتَّغْرِيب. ومحمدِ الطاهر ابن عاشور صاحب التّحرير والتنوير الذي ملأ سمع الدنيا وبصرها وشغل الباحثين في العقود الأخيرة، وأضحى قُطْبَ رَحَى بُحوثهم ورسائلهم.. ونجْلِهِ العَبْقَرِيِّ النّجيب، أستاذنا المُتَمَيِّز العلامة محمّد الفاضل ابن عاشور الخطيبِ المُفَوَّهِ، الذي ملأ دنيا أبناء عصره، عِلْمًا وفضلا وأدبًا، والذي يَعْسُرُ أن تَلِدَ امرأةٌ في مثل نجابته وفضله.. وشيْخِنَا العلاّمة محمد الشاذلي النيفر فقيه الغرب الإسلاميّ وكاشف عُوار العلمنة والتغريب. وصاحب الإرادةِ الصُّلْبة في مقاومة الاستعمار الفرنسي الصليبيّ، والانتقام من فظاعاته، غداة اجتياح قوات المِحْور لتونس وخَضْد شوكة عسكر الاحتلال الفرنسي..

وأخيرًا وليس آخرًا شيخنا المُحتفى به الشيخ الشاعر الأديب الداعية المُفسّر مُحمّد الحبيب المِسْتَاوي الذي وهب حياته نُصرةً للإسلام، وبَذَلَهَا في عزّ شبابه ثمنا لكلمة الحقّ والدّين، ورِفْعَةِ شأن المسلمين.

وبالإطّلاع على سيرةِ الشيخ الإمام محمّدِ الحبيب المستاوي العطرة والإلمام بأطرافٍ من مَسِيرته الحافلة بمفاخر الجهاد والدعوة ومُكابدة الصعاب والسعي الدائب إلى تحريك السواكن وبناء الأجيال وصقل الهمم وتسليحِهَا بالوَعْي والعِلْم والإيمان، وإذكاء الحميّة الإسلاميّة في نفوسهم. لَنَقِفُ دَهِشِين مُعْجَبِينَ أمام هذا الكَنْزِ الضخم من المآثر والمَنَاقب، وهذا المَعْدِن العزيز الأصيل فائق القيمة، من عزّة النفس، والأخلاق العالية، والإحساس بالحُرّيّة العَصِيَّةِ على التدجين وخَفْضِ الجبين لغير اللّه . ولا غَرْو فقد نشأ في منبت كريم وتربَّى في بيئةٍ عربيّةٍ تحكُمُهَا قيمُ الإسلام وأخلاقُهُ. ولم يَحُلْ دِفءُ الأسرة المتدّينةُ وتماسُكُهَا وترابطُ أبنائها وتعاطفُهم وتلاحُمُهُمْ، دون اعتمادِ الفرد من أبنائها على نفسه ودون أن يتخرّج عِصَامِيًّا صلدَ العُود قادرا على مواجهة الصعاب. ومقاومة التحدّيات.

والشيخُ الإمامُ محمد الحبيب المستاوي حفِظَ القرآنَ الكريم بعناية جَدِّهِ، وأشهر مُقْرِئِي قريته فتفتّقتْ قريحَتُهُ وانطلق لسانُه، وتهيّأ للالتحاق بالجامع الأعظم الذي

اتّسعت فيه معارفُهُ اللّغويّةُ، وتفقّه في الدّين وتظلّع من علوم الكتاب والسّنّة والسيرة والتاريخ وغيرها من علوم المقاصد والوسائل، ما هيّأه لنيل أعلى شهادة علميّة يُقدّمها الجامع العتيق لنُجباء طلاّبه، « العالِمِيَّة « التي تشهد بأنّه أصبح عالِمًا مُؤَهَّلا، للتدريس باقتدار، والعطاء والنفع في الدعوة والخطابة. وفي مجالات العلم المختلفة، التي يُقدّمها الجامِعُ الأعظمُ. والشيخُ الإمامُ في عصاميته يذّكرنا بأسلاف علماء الأمّة، فقد تعاطى التجارةَ والفلاحةَ وحتّى الصّيدَ لإعالة أُسرته، وهي تَجَارِبُ حياتيّةٌ صقلتْ مَوَاهبه وعَمَّقَتْ معرفته بمجتمعه ومُحيطه، حتّى إذا ما انطلق يَخُوض غمار التّدريس والدّعوة كان المدّرسَ المتميّز، والداعيةَ الخبير المُؤثّرَ، والكاتب المُواكب، والشاعر المِصْقَعَ الذي يُعبّر عن طموحات شعبه وأحلامه، بِشِعرٍ أنيق عَذْبٍ ينضحُ وطنيّةً وحَمِيَّةً وإيقاظا للهمم. ومُفسرًا مُجِيدًا ومُفتيًا هاديًا، وخطيبًا مُفوّهًا، ومُصلحًا مُخلصًا نَصُوحًا ثابتًا على الحق... كان علمًا شامخًا وظاهرة فريدة في عالم العلم والدعوة والعمل الوطني.

وبالإضافة إلى آثاره الواضحة في التدريس فإنّه ترك أثرًا عميقًا في تكوين الوُعّاظ والخُطباء والدُّعاة الذين كان يُشرف على إعدادهم في قسم الوعظ والإرشاد بالكلية الزيتونيّة. فكان يُمرّنُهم ويُهَيّئُ لهم الدّروسَ التطبيقيّةَ ويمكّنُهم من شهود المُحاضرات التوعويّة بالمَسَاجد، وكان يَحُضُّ الدعاةَ على أن يكونوا صورةً من النبيّ الأكرم ﷺ وأن يكون عليه الصلاة والسلام الأسوةَ والقدوةَ لهم وللمسلمين وأن يُوقفوا النّاس على ما دعا إليه من أخلاق عاليّة وحقّقه في حياته عليه الصلاة والسلام، من حريّة وعدالة ومساواة، وإنسانيّة ورحمة للعالمين، وأن يُعلِّمُوا النّاس أنّ إيمان المسلم رهينُ محبّةِ الرسول ﷺ «لا يُؤمن أحدُكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين» بل فحتّى هواهم ينبغي أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول الأكرم ﷺ: « لا يؤمن أحدُكم حتّى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به».

وكان رحمه اللّه يعمل جاهدًا لبعث الثقة في نفوس الوعّاظ وإقناعِهِمْ أنّ مُهمَّتَهُمْ أشرفُ المهام فهي رسالةُ الأنبياء: الدعوة إلى اللّه، والدّعوة إلى الإسلام، هذا الدّين الذي أكمله اللّه وارتضاه للخلق أجمعين وهو دين الفطرة البشرية السليمة الذي يُلَبِّي حاجةَ الإنسان الدنيويّة فيُصلحها كما يحقق له السعادة الأُخْروية، فهو دين يرفض التّقليد الأعمى والتّحجّر، والخرافة والدّجل ويدعو إلى التدبُّر والنظر واستعمال أدوات المعرفة من عقل وحواسّ وتجربة وخبر صحيح... وكان الشيخ الإمام وهو يدعوهم إلى الثبات وعدم التأثّر بجعجعات المنافقين في منابر الإعلام المريضة

وإلى دحر الغارات المتوحّشة والمُتكرّرة على البلاد والعباد من خصوم الإسلام من الملاحدة والمتغرِّبين.

ولم يكن أثره التعليميّ والدعويّ قاصرًا على حاضرة تونس ومُدنها الكبرى كمدينة قفصة وتطاوين وقابس، وإنّما كان كالغيث يُفيد ويُخصب حيثما حلّ، فقد درّس في معهد أحمد باشا الدّيني بطرابلس، وكانت له دروس ومحاضرات وحصص دينيّة متنوعة يُعدُّها ويُلقيها بصوته الجهوريّ المُجلجل في الإذاعة الليبيّة الشقيقة.

وكان له حضورٌ مُتميّز في مُلتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر المُجاهدة، فكان يُعَطِّرُها بصدق لهجته وجُرأته في الإصداع بكلمة الحق، وتسمية الأمور بمسمّياتها الحقيقيّة كما كانت له علاقاتٌ وُدّية واسعة بعلماء المغرب ومُفَكِّريه، وقد حاضر في أغلب مدن المغرب، وخلّد عِشْقَهُ للمغرب بقصيدٍ ذاع صيتُه استعرض فيه تاريخ المغرب المجيد وعرّف برجالاته وعلمائه الأفذاذ وأعلامه الذين يُعدّون منابر هُدى. كما لم يتردّد في الإسهام في كلّ المؤتمرات والنّدوات العلميّة التي نظّمتها مِصْرُ والسعودية، فكان يُجَلِّلُ مُحاضراته ومُداخلاته بروح إيمانيّة قويّة تَعْتَبِرُ أمّةَ الإسلام وأوطانَهُمْ أمّةً واحدةً ووطنًا واحدًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى.

رجل الوطنيّة والإيمان:

لقد تشرّب الشيخُ حبّ الوطن منذ نعومة أظافره في أحضان أسرته حتّى إذا ما شبّ جعل هدفه الأسمى الإسهامَ في تطهيره من رجس الاستعمار الفرنسي البغيض وما أن تخرّج من الجامع الأعظم وسُمِّيَ مُدرّسًا بالفرع الزيتونيّ بمدنين حتّى شرع في التخطيط للعمل الوطني ومقاومة الاحتلال بمسقط رأسه وبين أهله وعشيرته. وكان رحمه اللّه غيْرَ هيّاب للمخاطر ولا يتوانى عن بذل الغالي والنفيس في سبيل هدفه المقدّس وقد دفع ثمن وطنيته غاليًا من المضايقة والملاحقة والإبعاد حتّى أنّ القواتِ الفرنسيّةَ كثيرا ما كانت تُداهمه وهو بين جمهوره ومُريديه يخطب فيهم وينشر الوعي في ربوعهم. وقد انخرط في الحزب الحرّ الدّستوري الذي كان شعارُه يومها: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة 105، وانتُخب رئيسا لشُعبة مقرين، فأَسْهَمَ بقسط وافر في تشييد البنية الأساسيّة لهذه المدينة، وإقامة المرافق العامّة بها، وتشييد المزيد من الأحياء السكنيّة، كما كان عضوًا فاعلاً في لجنة الدّراسات الاشتراكيّة، وفي مؤتمر 1971 انتُخب عضوًا في اللجنة المركزيّة، فكان

في كلّ المواقع الصوتَ الحرّ المُدوّي دفاعا عن الأصالة وهُويّة الشعب وكان شوكةً في حلوق المتهافتين والمتغربيّن الذين يحاولون الاعتداء على الثوابت والأصول وربط مصير بلادنا بلاد عقبة وحسّان بن النعمان وسحنون وابن أبي زيد .. بفرنسا الاستعماريّة ومؤتمرها الإفخارستي وحضارتها وروحها الصليبيّة ومحاولاتها المستميتة المشبوهة لمسخها وفرنستها ..

دينه ملك عليه حياته:

لقد ملك حبُّ اللّه ورسولُه على الشيخ الإمام محمّد الحبيب المستاوي، حياتَهُ فجرى حبُّ الإسلام في كيانه مجرى الدّم في العُروق وأضحى التعريفُ بصحيح الدّين ودفعُ الشبهات عنه هدفًا يتحرّك متدفّقًا مع حركة نبض قلبه، وكان طيّب اللّه ثراه، يستغلّ ذكريات أحداث الإسلام الكبرى ليكتب حولها ويُجلّي عبرها ودُروسها ويذكّر بروح العودة إلى الإسلام والتعلّق بقيمه ومبادئه الكبرى.

وكان يُناضل بلا كلل لتبصير النّاس بعقيدة التوحيد النقيّة غير المشوّهة بالخرافات والدّجل القابع في خبايا الزّوايا المعشّش في ثنايا عمائم سدنتها، الجهلة وغير الملطّخة بالتهوين من شأنها والتشكيك فيها من العلمانيّين. كما كان يناضل من أجل إعادة النّاس إلى شرع اللّه ببيان مبادئه، وأخلاقه وقيمه وإبراز حكمته وصَلُوحِيَّته لكلّ زمان ومكان، وإثبات أنْ لا خلاص للمسلمين ممّا ارتطموا فيه من بؤر التخلّف والتناحر والهوان إلاّ بالعودة راشدين مخلصين لشريعتهم. وهو في دعوته يستحضر دائمًا عظمة الرسول الأكرم ﷺ، ويذكّر أنّ نساء العالمين لن يلدن مثل محمّد ﷺ الذي أرسله اللّه رحمة للعالمين وأنّ رسالته ستبقى جديدةً مُتجدّدة خالدة على مرّ الدهر، يشيب الكون ولا تشيب، وأنّ كتابه القرآن العزيز المُعجزة الخالدة يتحدّى الخلقَ كافة المعاندين والمُؤمنين والكافرين به وشياطين الإنس والجنّ إلى قيام السّاعة. وسيبقى هذا القرآنُ سِفْرَ العلوم الذي لا ينتهي مدده ويُنبوعَ الحِكَمِ الذي لا ينضب معينُه.

ولقد وهب الشيخ الإمام محمّد الحبيب المستاوي حياته وروحه لله ولرسوله فدينُه أضحى أغلى عليه من نفسه، نلمس هذا جليًّا في افتتاحياته لجوهر الإسلام وفي ركن تفسيره لكتاب اللّه وفي تحليلاته لأوضاع المسلمين، وفي شعره الذي ينضح هُيامًا بالرسول الأعظم ويزخر بالدعوة الحارّة للنّهوض واستعادة عزّة الإسلام ومنعة أهله ونفض غبار الذّلة والهوان واسترداد الحقوق والمقدّسات. لقد سخّر ـ

طيّب اللّه ثراه ـ مواهبه كُلَّها لخدمة الدّين، فشِعْرُهُ الأنيقُ العذب وخُطبُهُ العَصْمَاءُ الآسِرَةُ ونَثْرُه السلس الفصيحُ الذي هو من السهل الممتنع قدّمها كلّها رخيصةً هيّنةً على مذبح خدمة قضايا الأمّة مُجَلَّلَةً بالصدق وخُلوص الإيمان والإحساس العميق بفداحة مأساة الأمّة، وعُمق جراحها وآلامها... يُحزنه تخلّفُ أُمّته ويُؤْلِمُهُ تمزُّقُها ويؤرّقُهُ جهلُها وهيمنةُ المستعمر على مقدّراتها، فيبذل وسعه لإيقاظها وإيقافها على المصير المُظلم الذي تُقادُ إليه. ويسخّرُ شعره لتصوير الوضع، فتتفجّرُ قصائدهُ، أسًى وألمًا على ما يفتجره أدعياءُ التغريب من أباطيلَ وتَخَرُّصَاتٍ تُعيد تخلّف الأمّة إلى تمسّكها بدينها:

« يقولـون إفـكًا: إنّ ديـنَ محمّـدٍ ... بـه أمّـةُ الإسلام قـد تتأخَّـرُ
ولـو بـاتَ شـعبُ المسـلمين مطبّقًا ... لَمَا في كتـاب اللهّ يُطـوى ويُـنشر
لما ظـل مهزومـا قرونًـا عديـدة ... ولا كان يومـا للـورى يتقهقـر

«فيُبيّن ـ طيّب اللّه ثراه ـ أنّ السبب الحقيقي لتخلّف الأمّة يعود إلى عدم أخذها بتعاليم الإسلام الصحيحة، لا لتمسّكها بتعاليم الإسلام!؟:

«ولو طبّقوا الإسلام وفق نصوصه لأوفى لهم ربُّ البريّة بالوعد.»

ولشدّة اهتمامه بأمور المسلمين يكاد قلبه يتفطّر حزنًا وحسرة على ضياع مقدّساتهم، واستيلاء عصابات شُذّاذ الآفاق عليها، ويصرخ في أمّته عساه يُحرّك حمّيتها، ويستنغر عزيمتها لتنهضَ وتهبُّ تستنقذها وتحرّرها:

«أمّـة الإسلام هـل يُوقِظُهـا ... مشـهدُ الأقصى ونـارٌ تلتهـب»
«أمّـةَ القـرآن هـل يُؤْلِمُهـا ... مسـجد الصخـرة وهـو المكتئـب»

والشيخ طيّب اللّه ثراه يستشفّ المخاطر التي تتهدّد وَحْدَةَ الأُمّة، وتماسُك بُنيانها، المتمثّلة في المساعي المحمومة لزرع الفكر الباطني الإباحي، ولإذابة الشخصيّة الإسلاميّة، ولإشاعة المزيد من الجهل بأركان الدّين. فيتصدّى بشعره ونثره وخطبه يصدُّ الخطر، ويردّ الكيد. فشعره وأدبه الرفيع عامّة ليس ترفًا ولا ترفيهًا وإنّما هو أدبٌ استشرافيٌّ نهضويٌّ، يسعى لإبراز جوهر حقائق الإيمان والوطنيّة، وبعث الوعي، وإيقاظ الضمائر وإذكاء روح الحميّة والغيرة الدينيّة، وهو أيضا دعوةٌ صارخةٌ وصريحةٌ للإصلاح، وتحذيرٌ ممّا يتهدّد الأمّةَ من المخاطر، فتراه يشحذ الهمم لردّ الغارات الظالمة على بلاد المسلمين.

لقد رفع اللّهُ روحه الطاهرة إلى معارج الخلد ـ طيّب اللّه ثراه ـ في عَصْرٍ ما تزال فيه بقايا دينٍ وعقلٍ ونَخْوَةٍ تَحْكُمُ قياداتِ العرب، ومع ذلك فقد كان حزينا غاضبا ساخطًا على استخذاء تلك القيادات، واستكانتها. فلو عاش أيّامنا هذه النكدة، حيث طغت الخيانةُ والعمالة جِهَارًا في النّهار، وتحوّلت بعضُ الدّويلات العربيّة، والأنظمة الوهميّة، إلى ألاعيبَ ودمًى في يدي الحاكم بأمره « عنترة « أمريكا الأعظم، تتسابق للارتماء تحت أقدامه تلعق حذاءه وتستجدي رضاه وتبارك ما ارتكبه من فظاعات وعدوان في حقّ مقدّسات المسلمين وعلى رأسها بيت المقدس، وأراضيهم المغتصبة، وتعمّدُ ذلك الهوانَ بأطنان الدولارات وقناطير الذهب وسط تهليل إعلاميّ داعر، ومباركة قبيحة من أساطين النفاق.

ولو عاش كذلك ما استحدثَتْهُ مخابراتُ بعض الدويلات السلطويّة الذليلة، من مجالس وروابط صُوريّة تُبيِّضُ بها سوادَ اختياراتها الفاسدة غيْرَ العقلانيّة، التي تذكّرنا بسلوك دويلات الطوائف التي أضاعت الأندلس، والتي تنضح عارًا وشنارًا، ويمكن أن نُطلق عليها مجالس اعتذاريّة، تقدّمُ الاعتذارَات المجانيّة للغرب ولكنائسه ومؤسّساته الطاغية، عن ذنوب وجرائم لم يرتكبها المسلمون ولم يجترمها شباب الإسلام، وإنّما اختارت هذه الأنظمة الذليلة العميلة التي أدمنت مُمَارسةَ الانبطاحِ، وخيانةِ دينها وقضايا أمّتها المصيريّة والتنازل عن ثوابتها، أن تكون ممّن ينطبق عليها قول اللّه تعالى: في اليهود ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ .. وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ... ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ فتَتَوَدَّدُ للأنظمة الغربيّة المتجبّرة، على حساب تحميل الإسلام والمسلمين زُورا وبهتانًا ما لا يحتملون.

لو عاش رحمه اللّه تعالى هذه الخيانات وهذه المهازل المخابراتيّة لأمطر هذه القيادات الحقيرة، بشرر من شعره الحارق الهادف الصادق النّصوح ولكشف عارها وأظهر عُوارها، وقديمًا في ستينيات القرن الماضي عبّر عن غضبه وسخطه، ويأسه من العرب حين تحصّنوا بالهروب والصّمت أمام عربدة الصهاينة المغتصبين فقال غاضبا عن العرب يائسًا من نجدتهم ونخوتهم وغيرتهم:

مزّقي صُهيونُ أشــلاءَ العرب وأفعلي ما شئت فالقوم خشب

جوهر الإسلام منار الدعوة ومنبر الإصلاح:

إنّ ما يتمتّع به الشيخ الحبيب المستاوي ـ طيّب اللّه ثراه ـ من طاقات كبرى في الدعوة والتوجيه والإرشاد. وما يتحلّى به من روح إصلاحيّة مُتوقدّة يحتاج إلى منبر

إعلاميّ يُمَحَّضُ لمقالاته وقصائده ودروسه وخطبه، فأسّس « جوهر الإسلام» التي تعدّ علامةً مُضيئة في مسيرة الشيخ الدعويّة الجهاديّة وفي تاريخ تونس الثقافيّ. ولم يكن إنشاء مثل هذا المنبر بدْعًا في دنيا الدعوة فالشيخ محمّد رشيد رضا أنشأ «المنار» لتكون حاملة لمقالاته ودروسه وتحاليله، ولتنشر دروس التفسير التي كان يلقيها شيخه الإمام الشيخ محمّد عبده، كما أنّ المصلح المجاهد عبد الحميد بن باديس طيّب اللّه ثراه أنشأ مجلة الشهاب لتكون حاضنة دعوته وإرشاده وتوعية للشعب الجزائري...

وقد حدّد الشيخ المستاوي أهداف «جوهر الإسلام» ولعلّ من أسماها:

1 ـ الإسهام في شرف الدعوة إلى الحقّ.

2 ـ ردّ مفتريات المُرجفين على الإسلام ودعاوى المبطلين.

3 ـ نشر الوعي حتّى تتفتّح البصائر، وتستيقظ الضّمائر لتسمو إلى إدراك جوهر الإسلام النقيّ وتفنيد ما يُعزى إليه من خرافات ودجل.

4 ـ تثبيت الدعاة إلى اللّه وحمايتهم من أضاليل المنافقين وأباطيل الملاحدة.

5 ـ دعوة المسلمين إلى التمسّك بكتابهم وسنة نبيّهم والعضّ عليهما بالنواجذ.

5 ـ إبراز حقائق الإسلام بإثبات أنّه دين الفطرة والواقعيّة والعقلانيّة وأنّه قمين بإصلاح مناحي الحياة الدنيويّة للمسلمين وتصحيحها، وتحقيق النّجاة والفوز من النّار في الآخرة.

وإذا توقّفنا عند ركن التفسير القارّ في المجلة أدركنا أنّ الشيخ رحمه اللّه كان يسعى أن يعيد النّاس إلى العقيدة الصحيحة والشريعة القويمة بالعودة إلى الوحي المُبين، بيان ربّ العالمين.

وقد ولدت المجلة مكتملة الأركان وحقّقت منذ انبلاج فجرها نجاحا وقبولا مُنقطعي النظير فهي تُعبّر عن أصالة هذه الأمّة وتَمَكُّنِ رُوح الإسلام منها.

ونجد جوهر الإسلام تتناول بالدّرس والتحليل قضايا الأمّة المصيريّة كالتعريب وإصلاح التعليم، وإصلاح التشريعات الدّستوريّة، والأصالة والمعاصرة، إلى جانب دفع الشبهات التي يحاول المستشرقون والمتغرّبون ترويجها. وكانت «جوهر الإسلام» تُعبّر عن قضايا أمّتها، فلا يخلو عدد من صرخة صادقة قويّة تُصوّر أوضاع

المسلمين في فلسطين والفلبين وأريتريا، والتشاد، وباكستان، وغيرها وتعرّف بأحوالهم ومآسيهم...

وجوهر الإسلام منذ ظهورها استقطبت أقلام فحول شيوخ الزيتونة والأقلام التونسيّة النجيبة وعددًا كبيرا من علماء العالم الإسلامي، فكتب فيها مقالاتٍ عصماءَ الشيخ الفاضل ابن عاشور عرّف فيها أعلام الأمّة، وعالج بعض قضاياها، وكتب فيها الشيخ محمّد الشاذلي النيفر، وكتب الشيخ أنور الجندي الذي اعتبر جوهر الإسلام مصباحا كبيرا أضاء في أُفُق كان في حاجة إلى ضياء شديد.

وكان حضوره رحمه اللّه في مجلّته بارزًا ومؤثرًا فلم تستطع بعض المساعي المشبوهة التي سعت لتشويه خطّها وإفساد نهجها القويم بفرض أقلام الإلحاد عليه بدعوى وجوب وجود الرأي والرأي المخالف، أبى أن يتصارع في حلباتها تيّارا الإيمان والإلحاد وتيارا التمسّك بالثوابت والتشكيك في الأصول والثوابت. فرفض الفقيدُ ذلك وقرّر أن تكون جوهر الإسلام منصّة ممحّضة للدعوة الخالصة إلى الإسلام والتمسّك بالثوابت والأخذ بأوامر الشرع ونواهيه وآدابه وأخلاقه.

إلاّ أنّ هذه المواقف النبيلة الشجاعة في خدمة الإسلام كلّفته غاليًا، حيث تمكّنت أيدي التثبيط والأصوات النشاز، التي تعزف على لغة التغريب والإلحاد تنفيذ أهدافها الشيطانيّة فبيّتت إبعاده إلى قفصة مع التضييق عليه ليتضاءل نشاطُ الشيخ التوعويّ والدّعوي وينطوي على نفسه.

إلاّ أنّ صرخات الحقّ المجلجلة التي دبّج بها صفحات جوهر الإسلام لن تذهب سُدًى، فسيكون لها أثرها البالغ في قلوب الشباب المؤمن الغيور على دينه وستثمر وتُزهر وتؤتي أُكلها بعد حين.

وفاته إلى جنّة الخلد:

وما هي إلاّ أيام قلائل بعد محنة الإبعاد والمُضايقات حتّى التحقت روحُه بباريها راضية مرضيّة، وهو في الركعة الثانيّة من صلاة صبح الثاني عشر من رمضان 1395 هـ فاهتزت لموته تونس ومقرين وتطاوين.. وأُسقط في أيدي أعدائه وفُجع أصدقاؤُه الكُثر، وتعالت أصوات التأبين وتواترتْ برقياتُ التعزية، والألم من شتّى أقطار العالم العربيّ...

لقد تركت وفاته حزنًا عميقًا وشعورًا تُجلّله المَرَارة والأسى، وفراغًا يعسُر ملؤه، وأحدثت وفاتُه صدعًا يصعب رأبُه، وخيّم على أصدقاء الفقيد وأحبّائه ومُريديه ومعارفه حزنٌ تلقائي وبكاء حارّ ينساب مع لوعة الإحساس بالحسرة والخسارة التي مُني بها الإسلام بفقد أحد أخلص أبنائه وأغيرهم. لقد عاش عمرا قصيرا إلاّ أنّ الحصاد كان وفيرًا خصيبًا، فقد وُلِدَ في صمت وعاش في مدافعة وصخب وتوفّي في إجلال، وإنّها حياة يُجلّلها الجودُ والكرم وتحميها الشجاعةُ والتضحيةُ وتحفّها المنافحةُ عن الإسلام بجرأة وإصرار.

إنّ الموت في مناخ مثل هذا يُعدُّ استشهادا وخلودًا. وإنّ هذا المشهد المهيب المتمثّل في موت عالم في عزّ شبابه لتتفطّر له القلوب إلاّ أنّ والدته الأصيلة الشجاعة زفّته إلى مثواه الأخير شهيدًا بإذن ربّه، بالزغاريد، وودّعته بقبلات في جبينه مطمئنّة إلى عدالة خالقها، فخورة بما قدّمت بين يدي ربّها، من ابن بار مجاهد شجاع عاش حياته ينصر دينه، ودفعها ثمنًا لتمسّكه بالمبدإ، فقضى ولم يهُن ولم يذِلَّ ولم يُبدّل ولم يُغيّر، حتى لقى ربّه وهو عنه راض برحمته تعالى.

وقد خلّد هذا الموقفَ المشهودَ صديقُهُ الوفيّ الغيور الأستاذ البشير العريبي حيث افتتح قصيدَ تأبينه بقوله:

زغـردتْ عنـد قبره، فحسـبنا ... أنّ في قبره عَرُوسـا تُـزّفُّ
واشرأبّـت أعناقُنـا فعلِمْنَـا ... أنّ أمَّ الحبيـب جـاءت تـدُفّ
وأكبّـت وقبّلتْـهُ وفي العيـنين ... شُـحٌّ، ورُبَّ عين تجـفُّ

ولقد شارك في تأبينه صفوةٌ من علماء الإسلام وأدبائِهِ وشعرائه من تونس والجزائر والمغرب وليبيا ومصر ... ولعلّ من أعظم قصائد رثائه وأجودها وأصدقها وأبلغها، وهي تنضح حبًّا وحنينًا ووفاءً:

ذكـرى الأحبـةِ تشرئِـبُّ لها القلـوبُ ... وحبيبُنـا الشـيخُ الجليـل، لنـا حبيـبُ
مـا غبـتَ عنّـا لحظـةً يـا سـيدي ... ضمّتْـكَ مـن خير الرجـال قلـوبُ
حتّـى الصَّحَـارَى والجبـالُ وصَخْرُهَا ... تُثْنِـي عليـك وفي القلـوب وجِيـبُ.

فإلى جنّة الخلد، يا شهيد الدين، وناصر المسلمين. ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾ النساء69

تونس ـ المنزه ـ الثلاثاء 6 جمادى الثانية1442 هـ/ 19 جانفي 2021م

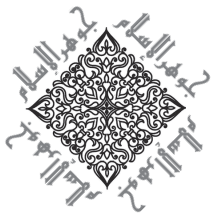

ليس بعد العيان بيان

بقلم الأستاذ صالح العود/ فرنسا[1]

في كل جيل من الأجيال أخيار.. وخيرهم من له في العلم أخبار

سرني ما اخبرني به الأستاذ الفاضل: السيد محمد صلاح الدين المستاوي حفظه اللّه ورعاه .. ودام فضله وهداه .. عبر مكالمة هاتفية، من قيامه بإعداد «كتاب تذكاري» عن والده الرجل .. المصلح الجليل العلامة الشيخ الحبيب بن محمد المستاوي (1342-1395هـ/ 1923-1975م) رحمه اللّه وطيب ثراه، منشئ مجلة (جوهر الإسلام) الغراء، والتي لا تزال تصدر حتى اليوم، منذ أكثر من نصف قرن على وجه التحديد والحمد لله..

وهنا، قد يسال سائل: لماذا..؟

فأجيب على النحو التالي:

(أولا)-هذه لفتة كريمة.. ومهمة.. من لدن احد أبنائه(العشرة) البررة، وهو الأستاذ (الأمة).. صاحب الفضيلة والهمة.. المرابط على حراسة الدين، والذاب عن شعائره ومشاعره: ماديا ومعنويا.. نفسيا وخلقيا.. سيدي محمد صلاح الدين المستاوي: خليفة والده العظيم: في سائر أعماله:(العلمية.. والدينية.. والدعوية)، ومنه على وجه الخصوص: إدارته واستمراريته للمجلة العريقة العتيدة، ومتابعته إصدارها مهما كلفه ذلك من ثمن أو تعب، لولا هذا الابن البار، وما أتاه اللّه من صبر وثبات وجدية، لتلاشت أعمال والده الراحل، وغدا نسيا منسيا كسائر الناس، وهذا معلوم وملموس في عصرنا الأليم، المكتظ بشتى أنواع المشاكل، وأنواع النوازل، في أنحاء كثيرة وكثيرة جدا من المجتمعات، وسائر الدول حتى المقدسة منها.

(1) (باحث وكاتب في شؤون الدين والتربية والتعليم)

(ثانيا)-إن هذا الرجل-اعني به: العالم المصلح: الحبيب المستاوي رحمه اللّه - يستحق منا (نحن التونسيون)، أكثر من أن تجلى مآثره، وأعماله، وفضائله، ليبقى شاهدا ومشهودا في (ذاكرة) الأجيال، ومعلمة الرجال الأبطال:(السابقين منهم واللاحقين)...

صحيح، ان الرجل- لا يزال يذكر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى،أي: بعد مرور(خمس وأربعين) عاما على وفاته- من خلال اجل وأجمل (أعماله)، وأنا اقصد بها هنا: (مجلته) الرائدة والباقية، والتي لا تزال حية ترفرف، وتنتشر، وتصل إلى أفاق المعمورة: كالغرب الإسلامي، وأوروبا، وأسيا، والشرق الأوسط...علما- والشيء بالشيء يذكر- ان هذا الاسم الفريد، الذي أطلقه صاحب المجلة ومؤسسها عليها، أي:(جوهر الإسلام)، معدوم في عالم الصحافة:(غربا وشرقا)...

(ثالثا)-إن أغلبية العلماء، ينسون لاحقا، ما لم تدون أعمالهم، وتحرر سيرهم، وتذكر مناقبهم في(سجلات) التدوين، وكتب (التراجم): مختصرة كانت أو كبيرة، أو في نحو(تسجيلات إذاعية)، أو(مسلسلات تلفزيونية)، يبقون كشاهد عيان، على مر العصور والأزمان.

ولي هنا شاهد على ما أقول، وهو من كلام الأخ الدكتور الجميلي إذ يقول:»لابد لكل عالم مجيد، أن يسجل للتاريخ، أو يسجل عنه أقرانه أو مريدوه، مخافة زوال الآثار من النفوس، لأن صخب الحياة، وطوفان الحوادث، وطغيان الكوارث، جدير بنسيان المتذكر، وخليق ضياع النفيس».

(رابعا)- إن من طبيعة (الإنسان)-خصوصا إنسان العصر الحديث- الكنود.. والجحود.. عدم الاعتراف بجميل ومعروف غيره- فضلا عن نكران الوفاء المستشري في عالم البشر:(قولا وعملا)، ويحضرني بالمناسبة في هذه النقطة بالذات، من اشارة واضحة، تسري في مجتمعاتنا المعاصرة، وهي جديرة بالتفكر فيها، وقائلها

هو الدكتور محمد سليم العوّا: «نحن ابرع الأمم، في نسيان عباقرتها.. ومن أسرع الأمم إلى هدم ما شيدته جهود السابقين منا، وانكار فضلهم، ولو كان ماثلا للعيان»[1].

وأنا من فضل اللّه تعالى علي، أن تعرفت على الشيخ العلامة، منشئ(جوهر الإسلام) الفيحاء، منذ صدورها في عام(1388ه=1968م)، وأنا طالب في المعهد الثانوي للذكور بمدينة (صفاقس):(عروس مدائن الجنوب التونسي)، ولي من العمر

(1) كتابه:(شخصيات ومواقف/ ص 349).

يومها 15 عاما؛ وقد كنا نحن شباب ذلك العهد البعيد- أي: فترة الستينات- يغلب علينا «جوّ» التصحر الديني، وجفاف الثقافة الإسلامية، وغياب المجلات الدينية، فكنا نتناولها بيننا بشغف، وحرص: سواء قراءة.. أو مذاكرة، فيما تنشره، وتطرحه على صفحاتها، من غوالي عيون العلم، وبصائر المعرفة، وجديد الثقافة والأفكار الإسلامية، بأقلام «النخبة» من رجال العلم والفكر والباحثين، من تونس وخارجها، وننتهي بمطالعة «الفصل» الأخير منها في القسم العربي، بتصفح أخبار وأحداث ما يقع في أنحاء العالم، خصوصا:(الإسلامي).

ولما غادرت الوطن الحبيب في أواخر عام(1969م)، كنت أتلهف على حصولها في بلاد الغربة، ولذلك -و هذا حق اعترف به- فاني اعتز جدا باحتفاظي بالعدد (الأول) منها، الصادر في (شهر ربيع الأول سنة 1388هـ. الموافق لشهر جوان سنة 1968م).. ولله الحمد والمنة.

وزيادة على ما ذكرت، فاني أتابع الاعتراف باعتزازي بها كالتالي:

(1)- لما استوطنت وسكنت في بلاد الغرب، وتوظفت إعلاميا مدة (ثلاثين) سنة في تحرير وتقديم البرامج لإذاعة (عربية) في العاصمة باريس، أنتجت فيها برنامجا عنوانه:(شخصيات علمية وفكرية) بتاريخ (الخميس 27 جمادى الأول 1433هـ=19افريل 2012م)، وكان يبث في السادسة صباحا، ويعاد بثه في منتصف النهار ونصف.

وفي هذا البرنامج أعددت حلقة عن الشيخ العلامة الحبيب المستاوي رحمه اللّه ثم أهديت هذه (الحلقة) عربون حب وتقدير ووفاء، لنجله البار الأستاذ الفاضل محمد صلاح الدين المستاوي، ثم صدرت على بعنوان:(تسعينية العلامة والمصلح الكبير الشيخ الحبيب المستاوي)[1]. قرص CD

(2)- حين عزمت على تأليف كتاب على حياة وأثار: علماء وشيوخ تونس الأبرار، من المعاصرين الأخيار، أدرجت اسم الشيخ العلامة: الحبيب المستاوي رحمه اللّه - من بين المترجمين لهم- وسميت هذا العمل ت:(مصابيح البشر في تراجم علماء تونس من القرن الخامس عشر/ الهجري)

(1) وهو تعبير عن مضمون المجلة منذ صدورها حتى اليوم، بوضع (مرتين)، على الغلاف في الخارج، ثم في الصفحة الأولى من الداخل... وليس هذا مني.. عفا اللّه عني..

(3)- لما كان الأستاذ الفاضل: سيدي محمد صلاح الدين المستاوي حفظه اللّه ورعاه،مدير رئيس تحرير مجلة (جوهر الإسلام) الغراء، حريصا جدا على إقامة (ندوة) تحسيسية بمرور (خمسين) عاما على صدورها، حرص كثيرا على دعوتي إلى حضورها، فجئت إليها قادما من باريس، وشاركت بإلقاء كلمة»رمزية» بالمناسبة، وقد كان ذلك بمدينة تونس:ضحوة يوم الأربعاء 12 شعبان 1440هـ=17 افريل 2019م

(4)-ثم لما رغب الأستاذ البار في تعميم تلك (الندوة) الاحتفائية، بإقامتها في غيرها من سائر المدن التونسية، وكان المؤمل ان تقام ثانية في مسقط رأس والده: مدينة تطاوين.. لكن ذلك تأخر.. فهيأ اللّه عز وجل إقامتها خارج الوطن، إذ قام مركز التربية الإسلامية في باريس باحتضانها يوم الاحد(7 صفر 1441هـ=6 اكتوبر 2019)، وسافر إليها الأستاذ المستاوي بهمة وعزيمة، فاشرف عليها وتابعها، وكنت ممن القى(كلمة) عطرة فيها ..

(5)- وبعد ان تيسرت ظروف البلاد والعباد، اقامها الأستاذ المستاوي- وهي المرة الثالثة- بمدينة تطاوين : صباح يوم السبت 24 ربيع الثاني 1441= 21ديسمبر 2019م وتشرفت أيضا بالحضور، والقاء كلمة وفائية فيها.

(6)- وفي رمضان من (عام 1441ه=2020م) نشرت في موقع»الصريح»: مقالا جميلا عن الخطوط العريضة للمجلة، ولمحات عن صاحبها ومؤسسها، بعنوان:جوهر الإسلام (التونسية) تحتفي بعيد صدورها (الذهبي) في الداخل كما في الخارج

(7)- واخيرا- وليس اخرا- فهاهو الأستاذ الكريم، وصاحب النفع العميم بعد والده: السيد محمد صلاح الدين المستاوي مد اللّه في انفاسه، وحرسه من لدنه بقوته وحرصه، يدعوني إلى ان ادلي بدلوي- ولو بخاطرة فكرية، تعبر عن قاطرة هذه المجلة (الثقافية.. الإسلامية.. الجامعة..).. تكون «تقريـضا» لهذا الكتاب التذكاري النفيس، لما اشتمل عليه من «إطلالات» ثرية جدا، باقلام عدة لاعلام كتبوا قديما وحديثا، عن (المجلة) وعن (صاحبها) أيضا، فقام الابن البار- وهو الهمام في هذا المقام- بجمعها كلها، ثم ترتيبها، واعادة طبعها، ثم اصدارها، تعبيرا صادقا عن حبه لوالده، وطاعة مطلقة له في حياته كما بعد مماته، اثابه اللّه وجزاه خيرا على هذا العمل الشتيت، الذي استخرجه من مظانه، وقربه إلى ايدي المحبين للثقافة الإسلامية، والمعتزين بالمجلة، والفخورين باحد علماء تونس المجاهدين، والعاكفين على

خدمة العلم ونشره ردحا طويلا من الزمن، وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾..

وبالتالي، فهنيئا لي بهذا الحظ العظيم، المتمثل في تحرير هذه الكلمة عفو الخاطر، بقلم هذا الساطر، الفقير، إلى ربه العلي القدير..

وفي الختام، فإن حبي الجميل، وتقديري الجليل، نحو من مثل الذي اكتب عنه: العلامة المصلح، فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه وطيب ثراه، وهو احد رجالات تونس الخضراء.. تونس جامع الزيتونة..الذين نافحوا بقوة وقدوة حسنة في انتهاج الإصلاح الديني والاجتماعي، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، مهما كان نوعه، أو زرعه.

وفي هذه السبيل، تم اختيار الشيخ المصلح: الحبيب المستاوي وسيلته الخاصة –و إن كانت شاقة– وهي بعث هذه (المجلة)، بإخلاص وتفان، وصبر وتأن؛ فضلا عما اضطلع به في مسار مشوار حياته النابغة، من وسائل أخرى متعددة ومتنوعة، مثل:

1–الخطابة على المنابر..

2–إلقاء المواعظ والدروس في المساجد..

3–التعليم في المعاهد الرسمية والكلية..

4– عمله كأمين عام للجمعية القومية للمحافظة على القران..

5– مشاركته بالمحاضرات في عدة لقاءات وندوات، داخل البلاد التونسية، وخارجها..

6– تحريره البرامج للإذاعة الوطنية (التونسية)..

إن تلك الوسائل الكثيرة، التي زاولها شخصيا ورسميا إلى حين، توقفت بموت الشيخ المستاوي رحمه اللّه رحمة الأبرار، واسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، وبقيت الوسيلة الأخرى، وهي الأكثر صمودا، والأبقى على مر الزمن بعد رحيله، وهي: مجلته هذه:(جوهر الإسلام) الغراء، والتي لم تحتجب، وقد كان في صدورها وما تحمله من إشعاع روحي وفكري، الأثر البعيد في نفوس الشباب، وعقول العلماء والأدباء وأهل الفكر، مما خلد «ذكر» المؤسس، واسم نجله على حد سواء..

وبالتالي، فقد كان باعثه على إنشائها حميدا، وعمله فيها سديدا:

إن المآثر مجد لا فناء له * وذو المآثر حي بالثّنا الحسن

تقبل اللّه منه عمله، وصلاحه وإصلاحه، وأعلى مقامه في عليين.

كما لا يفوتني في نهاية كلمتي هذه، ان أدعو بكل الحب والصدق، لما يقوم نجله الفاضل: سيدي محمد صلاح الدين، من جهود بارة، وأعمال ثرية، في سبيل مواصلة صدور المجلة بالنفس والنفيس، وكذلك شكري وامتناني للخاصة والعامة من آل بيت المستاوي.

واختم بتتويج «تقريضي» هذا، بما كتبه مؤرخ تونس: الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب رحمه اللّه، إذ قال:

«فسبحان من خص هذا القطر المحبوب، على صغره... بأبناء نبغاء –رجالا ونساء– زينوا موطنهم بخصال حميدة، وفعال سديدة، وحكم رشيدة؛ خلدت ذكراهم، وعطرت شذاهم، على مدى العصور، وتوالي الدهور:

وإذا عظم البلاد بنوها ❋ انزلت منازل الاجلال».

تحريرا بباريس في يوم الاثنين 24 شوال 1441هـ=16 جوان 2020م

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله :

بالاعداد الروحي والمادي معا يصبح المسلمون اغنى الناس عن تملق الكبار والسير في ركابهم. هل بغير الإعداد الروحي تتحقق الإنسانية المثلى و الإيثار الحق و الوطنية الصادقة أم بغير الإعداد العقلي نخضع الآلة لإرادتنا و نفرض على دعاة الشر احترامنا فنصبح في مأمن من غوائلهم التي هي منا على قاب قوسين أو أدنى ؟

و هل بغير الإعداد المادي يتحقق لنا الاكتفاء الذاتي فنصنع خاماتنا بأيدينا و نحتلب من ضرعها المغنم الوفير؟

بذلك فقط نصبح أغنى الناس عن تملق الكبار و السير في ركابهم وانتظار الرحمة من أيديهم .

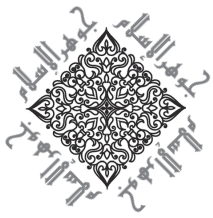

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه أمّة في رجل

بقلم الدكتور فريد قطاط

عرفت الإنسانية على امتداد تاريخها رجالا طبعوا عصورهم بحضورهم المتميّز في مجتمعاتهم، تنظيرا وتوجيها، بالاقوال والاعمال، والمصابرة والنّضال، ومن ابرز هؤلاء الرجال الذين أودّ الاشادة بمناقبهم وتسجيل مآثرهم، والتنويه بجهادهم في سبل إصلاح اوضاع البلاد والعباد، العلاّمة المصلح المناضل الشيخ الحبيب المستاوي- برّد اللّه ثراه وجعل الجنّة متقلّبه ومثواه- الذي رأيته ذات يوم من ايّام صائفة سنة 1975م، واقفا في محراب جامع سبحان اللّه بباب سويقة بتونس العاصمة، معلّما المصلين الكتاب والحكمة، وراسما الطريقة الصحيحة لتحقيق سعادة الإنسان في الدارين، فكانت كلماته سراجا منيرا تنبعث من المحراب تلقاء الحاضرين، وقد شدني إلى الشيخ رحمه اللّه شخصيته الزيتونية الجامعة بين الايمان العميق والعلم الديني الدقيق بلسان صدق تتجلّى من خلاله غاية الشيخ الاسمى وهدفه الاعلى، لتحقيق تعادلية رصينة بين العمل للدنيا كأننا نعيش أبدا، والاستعداد ليوم المعاد كأننا نرحل غدا..

ولم أكد أغادر المسجد حتى وطّدت العزم وعقدت النية لأكون مريدا لهذا الشيخ الجليل، متعلما بين يديه، فواظبت على حضور دروسه بجامع سبحان اللّه بلا انقطاع، وما كنت اعلم أن للشيخ التزاما مع مريديه من جموع المصلين في مساجد أخرى من قبيل جامع الزرارعية وجامع الزيتونة وجامع مقرين، وغيرها من الجوامع التي لم احط بها علما، لأنني كنت مركّزا على ارتياد المساجد التي كانت في محيط

باب سويقة كجامع سبحان اللّه وجامع سيدي محرز وجامع صاحب الطابع، وهي الجوامع التي كان يدور في فلكها دعاة جماعة التنظيم.

ولم تمض بضع شهور عن مواظبتي على حضور دروس الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب، فقد شاءت الاقدار- ولا رادّ لقضاء اللّه - أن يُسلم الشيخ الحبيب المستاوي- أعلى اللّه مقامه في جنان الخلود- روحه الطاهرة إلى خالق الارواح، وهو ساجد في الركعة الثانية من صلاة الفجر، يوم الخميس 12 رمضان 1395 هـ/ 18 سبتمبر 1975م، ولئن حُرمت من الاقترب منه والتواصل معه حيّا فقد بقيت ذكراه خالدة مؤثرة في نفسي طالما بقي في جسدي عرق ينبض.

اشتدّ حزننا ولوعتنا على فراق شيخنا الجليل، واستبدت بنا الحيرة على اثر الفراغ الذي احدثه رحيله عنا، بالرغم من حضور علماء ساهموا إلى جانبه في توعية الامة من منطلق العلوم التي راكموها طيلة انتسابهم إلى جامع الزيتونة المعمور، قلعة التاريخ والحضارة والدين والوطنية، ورمز الوسطية والسماحة والاعتدال، فسدّوا المجال أمام الادعياء من الجماعة التي تقمّصت دور التبصير في الدين، دون علم وفهم ويقين، بل كانت المنابر لديهم مطيّة إلى اهداف وغايات لم تعد تخفى على من وهبهم اللّه عقولا يعقلون بها وافئدة يفقهون بها.

ويشاء اللّه أن يملأ ساحة الدعوة بشاب في منتصف العقد الثاني من عمره، تحمّل اعباء الرسالة مبكّرا، ودافع عن الدين على كلّ صعيد بجهد مشكور، واصرار على النفع والعطاء بلا حدود، ولم يكن هذا الشيخ الشاب سوى **الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي**- بارك اللّه في عمره- فقد تولّى التدريس في جامع سبحان اللّه، ثم انتقل إلى جامع سيدي محرز، وعوّض والده الذي مضى إلى رحمة ربّ عفوّ غفور في خُطّة الامامة بجامع مقرين، وكان لسان حاله يقول:

إذا غاب منّا سيّد قام سيّد قؤول لما قال الكرام فعول

ولم تقتصر جهوده على الخطابة فحسب، بل دعا ثلة من العلماء والفضلاء من أهل الصدق والاخلاص، واذكر ههنا دوره في اقناع فضيلة الشيخ محي الدين قادي قدّس اللّه روحه الشريفة وفضيلة الشيخ الحبيب النفطي نوّر اللّه ضريحه، والدكتور بولبابة حسين الأستاذ الزيتوني المتميز بعلمه وتقواه والشيخ عثمان العثماني برّد اللّه

ثراه، وغير هؤلاء ممن واكبت حضورهم في محراب الخطابة ومنابر الدعوة بجامع سيدي محرز.

لقد كان الشيخ الحبيب المستاوي نوّر اللّه ضريحه أمّة جامعة لكل المعاني التي يدلّ عليها هذا المفهوم باعتباره مجموعة من الناس تتفق في التاريخ والثقافة والعادات والمصالح المشتركة التي توحّد شخصيتهم، وقد لخّص صاحب التحرير والتنوير هذا المعنى في موسوعته التفسيرية بقوله: «**واصل الامة التي حالها واحد**»، كما اتفق المفسرون على تفسير قول الجليل جلّ جلاله من سورة الانبياء: «**ان هذه أمتكم أمة واحدة**» على أن الامة بمعنى الملة الواحدة من أهل التوحيد، ويضاف إلى ذلك معنى طريفا استنبطه أئمة التفسير من الآية الكريمة القرآنية في سورة النحل: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، فاتفقوا على أن الامة هي الإمام الذي يقتدى به، وذلك نقلا عن قولي ابن مسعود رضي اللّه عنه: «**الامة معلّم الخير**»، وابن عمر رضي اللّه عنهما: «**الامة الذي يعلّم الناس دينهم**»، فالامة اذن الإمام القدوة الجامع لخصال الخير، المائل إلى الدين القيم لا يميل لغيره، ومن البديهي أن يكون العلماء الذين اتخذوا من رسولنا الأكرم محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلّم اسوة حسنة في الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، واتبعوا ملة ابيهم ابراهيم، هو سمّاهم المسلمين.

ان **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه** الذي نصح في اللّه، وبذل النفس والنفيس في سبيله، وخاض لجج السياسة فناله من الاذى ما ناله، محتسبا صابرا، وخطب في المساجد مرشدا إلى الدين الحق بلهجة الصدق، وواجه المفاهيم الخاطئة التي كانت جماعة التنظيم تحاول بثّها باقوال كالعسل وافعال هي كالأسل، وأسس مجلة إسلامية تحمل اسم «**جوهرالإسلام**» بامكانات محدودة اقتطعها من قوت عياله، ونظم الاشعار في مدح النبي والآل والاصحاب، ولم يقصر اشعاعه على حدود الوطن بل وسّع نطاق جهوده إلى ما ينفع الامة، فدرّس وخطب، وحاضر في البلاد الشقيقة، القريبة من تونس جغرافيا والبعيدة عنها، كالمملكة العربية السعودية وليبيا والجزائر والمغرب وموريتانيا ومصر، وغيرها من اوطان العرب والمسلمين، وهذا ما يجعل مصداق الامة بابعاده الإنسانية والدينية المختلفة ممثلا في «**أمة في رجل**» هو الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه الذي فارق دار الفناء إلى دار البقاء في الثانية والخمسين من عمره المبارك، يقول سبحانه في سورة الرعد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾، وقد وردت في تفسير

هذه الآية المباركة اقوالا مختلفة، لا يغني بعضها عن بعض، والمختار منها ما ورد عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما: ننقصها من اطرافها بموت علمائها وفقهائها واهل الخير منها».

ان شعوري بالتقصيروالقصور معا في ايفاء الشيخ **الحبيب المستاوي** عليه الرحمة والرضوان حقّه من التنويه بدوره النضالي والعلمي مردّه الحسرة والالم الذي اصابني بسبب ما تمرّ به بلادنا من تفكك وفوضى تكاد تاتي على الاخضر واليابس تحت سيطرة فساد فراعنة الزمان من جماعة التنظير واستبدادهم، فكيف يصفو النظم لي والقافية بعدما ضاعت أصول العافية: لكنني حاولت مع ذلك قدر الجهد ابراز دور علماء جامع الزيتونة المعمور في بيان أحكام الشريعة وأصول الدين في فترة استقلال تونس وبناء الدولة حتى لا يستأثر بها ادعياء جماعة التنظيم والتمكين الذين اصطفوا لتاريخ تلك المرحلة بتزييف التاريخ وتغييب جهاد علماء الجامع الاعظم رحمهم اللّه تعالى اجمعين، وانني اسوق اعتذاري على قلة بضاعتي وتقصيري، مخاطبا الشيخ الحبيب المستاوي برّد اللّه ثراه وجميع مريديه واصفيائه بما خاطب به الهدهد سُليمان عليه السلام:

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... اهدت إليه جرادا كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ... ان الهدايا على قدر مهديها
لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان يُهدى لك الدنيا وما فيها

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله:

فوائد الصبر والمجاهدة

إن الذين يؤمنون بحتمية النضال ونجاعته وجدواه، هم وحدهم الذين يوطنون أنفسهم على تحمل المكروه والاصطبار عليه، على هذه الروح التقشفية الهادفة ربى الإسلام بنيه وعليهما أرسى قواعده الراسخة منذ أن قال رائده الأوحد صلى الله عليه وسلم (تخشوشنوا فإن الحضارة لا تدوم) بيد أن الإحراز على هذه الغاية المنيفة لا يكون إلا بالتمرس على ألوان من الصبر والمجاهدة لان النفوس البشرية خيول شمس يفتقر مروضها إلى كثير من المرونة والأناة. وانها لقابلة لان تكون بين جنبي صاحبها خلا نصوحا ومرشدا أمينا وقابلة في الآن ذاته لان تكون حية رقطاء تنهش أحشاءه وتنفث فيها من سمها الزعاف ما يورده حتفه من غير شفقة ولا رثاء.

محمد الحبيب المستاوي شخصية نضالية فذة ورائد من رواد الإصلاح

بقلم الأستاذ منصف بن فرج

يكشف البحث في كل يوم عن شخصيات علمية ووطنية عاشت بيننا وقامت بواجبها نحو البلاد والشعب في اختصاصات وميادين عديدة، في السياسة والنضال أي في المجال الاجتماعي أو الثقافي أو الديني أو التربوي أو الإعلامي أو في مجال التفكير والإصلاح عموما، فنطالع باهتمام وتقدير وإجلال مسيرتهم فنعجب بجليل أعمالهم وخصالهم وحميد أفعالهم وسلامة أقوالهم.

وتعتز تونس بإنجابها لأولئك الأعلام الأفذاذ ممن دأبوا على خدمة البلاد في ميدان تخصصهم وساهموا في رفع شأن هذا الوطن العزيز عاليا وخدموه بتفان وإخلاص دون غايات وأهداف دنياوية، وأشعوا على ما حولهم داخل حدود البلاد وخارجها.

ومن هؤلاء الأفذاذ، الذين نفتخر ونعتز بذكرهم الصديق العزيز والمربي الفاضل والإمام الخطيب العلامة المناضل **محمد الحبيب المستاوي** أصيل ولاية تطاوين من الجنوب الشرقي حيث كان المرحوم من ابرز رجال العلم والتربية والدين والإعلام وداعية إلى الإصلاح والاستقامة فهو المناضل والمدير المؤسس لمجلة **جوهر الإسلام** الثقافية الجامعة والتي أصدرها المرحوم على حسابه الخاص على مدى ثمانية سنوات وقد كان ابنه الصديق الأستاذ الشيخ **محمد صلاح المستاوي** رئيس تحريرها.

فقد ولد رحمه اللّه، في 9 جانفي 1923 في (منطقة الرقبة) من ولاية تطاوين وحفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة ببلدته على يدي جده المرحوم **أحمد المستاوي**،

ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1935، إلى أن تخرج حاملا لشهادة العالمية بشعبة الآداب، فباشر التعليم بالفرع الزيتوني بمدنين، ولكن الاستعمار الفرنسي كان يتابع تحركاته ونشاطه النضالي فقرر نقله بمثل خطته في ميدان التعليم إلى ولاية قفصة، وبعد ذلك تم نقله إلى تطاوين، لمواصلة التدريس، فقام بأعمال حزبية ووطنية وتحمل مسؤوليات في صفوف الحزب الحر الدستوري.

وبعد الاستقلال وضعت فيه الحكومة ثقتها فاختارته ضمن وفد من الأساتذة للتدريس بليبيا، فقام بعمله أحسن قيام وكان مدرسا بمعهد احمد باشا وتولى القيام بالإرشاد الديني، في مدينة طرابلس وألقى دروسا دينية واعد حصصا إذاعية هناك.

ولدى عودته إلى تونس، سنة 1962، انتدب للتدريس بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وكذلك بالأكاديمية العسكرية، ثم انتقل إلى التدريس مجددا بقفصة إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1975، ولم يطل به الأمد إذ توفي وهو في أوج العطاء، في الثامن عشر من سبتمبر سنة 1975. ولكن حياة الشيخ المستاوي النضالية والإعلامية والفكرية والإبداعية تتعدى سنوات عمره التي لم تتجاوز الثانية والخمسين، فقد كان المرحوم نشيطا في فروع المنظمات والهيئات الوطنية المتعددة إلى جانب نضاله الحزبي السياسي زمن الاستعمار الفرنسي.

فقد عرفه عامة الناس في «حديث الصباح بالإذاعة التونسية منذ سنة 1962 تبعته حصة خاصة به لتفسير القرآن الكريم كانت تبث ظهر كل يوم جمعة لسنوات عديدة، كما عرفه المثقفون والمباشرون للشؤون الدينية والاعلام رجلا مبدعا وعمليا لا يهدأ له بال ولا تفتر له حركة، سواء في مباشرته التعليم بالمعاهد أو بكلية الشريعة وأصول الدين حيث كان غزير العطاء، محبا لتلاميذه وطلبته وأصدقائه، عظيم الفائدة، يوجههم الوجهة الأخلاقية والعلمية الصحيحة، ويصقل مواهبهم، ويدعوهم إلى الاتزان والرصانة وحب اللّه والوطن وهو الذي يدعو الجميع إلى العلم والعمل والبر والإحسان والاستقامة والاعتدال والتسامح والتآخي، وهو ما كان يقوم به في دروسه الدينية وبالإمامة وفي حلقات الوعظ والإرشاد إذ لم يبخل بنصح على أحد في أبسط الأماكن وحتى في منتديات اللجنة المركزية للحزب حيث كان يجهر بصوت الحق متعهدا بحرارة إيمانه مسيرة الأمن والإيمان في تونس ولقد صدق من قال عنه، إن الشيخ **محمد الحبيب المستاوي** كان كتلة من النشاط تتحرك لفائدة الوطن بالكلمة الطيبة وبالسلوك الحسن والعمل الصالح وقد كان بين حديث يلقيه أو مقال ينشره أو درس يوجه فيه أو لقاءات بالشباب يهديهم

إلى سواء السبيل كي يشبوا على حب اللّه والوطن والتفاني في الإخلاص إليه، كما كنا نراه في المؤتمرات الإسلامية يبرز بين الحاضرين بصدق لهجته وحيوية أفكاره النيرة واقتراحاته العملية، في تواضع كبير وصبر جم.

وقد تولى المرحوم لشيخ الحبيب المستاوي تأسيس وإصدار مجلة «**جوهر الإسلام**» سنة 1968 وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها لمدة سبع سنوات كاملة ولبعث هذه المجلة قصة مفادها أن المرحوم العلامة الشيخ **محمد الفاضل بن عاشور** اجتمع ذات يوم بثلة من المفكرين في الميدان الديني والإصلاحي وتم التفكير في إصدار مجلة إسلامية بتونس فما كان من شيخنا المرحوم **الحبيب المستاوي** إلا أن أنشأ مجلة «**جوهر الإسلام**» واضعا لها برنامج عمل وطريقة منهجية قوامها الإيمان والثقة الوطيدة والأسلوب الواضح.

وهكذا ظل يفسر ويوضح دور الإسلام الصحيح في مجلته «**جوهر الإسلام**» محافظا على انتظام صدورها إذ لم تحتجب ولم تتأخر عن الصدور ولو عددا واحدا في السنوات السبع التي أشرف على إدارتها ولم يكن من اليسير أن تستمر المجلة في الظهور بذلك الانتظام لولا جهود المرحوم الشيخ **الحبيب المستاوي** فقد كان رحمه اللّه مديرها والمشرف بنفسه على الطبع والتوزيع واستخلاص الاشتراكات، وكان يضطر في كثير من الأحيان إلى الإنفاق على شؤون المجلة من ماله الخاص محافظة منه على مواعيد إصدارها.

أما عن إشعاع الشيخ المستاوي في المؤتمرات في الداخل والخارج، فحدث عنه ولا حرج، فقد كان كثير التردد على عواصم الأقطار العربية والإسلامية يدعى فيها إلى مؤتمراتها محاضرا بارزا، في ليبيا والجزائر، وفي مؤتمر المنظمات الإسلامية بمكة المكرمة، وكذلك نشاطه الغزير جدا في صلب الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم بإشرافه على ندواتها وإلقاء المحاضرات على منابرها، في العاصمة وفي سائر الفروع داخل البلاد، إلى غير ذلك من مهماته في تلك الجمعية بصفته كاتبا عاما لها.

وقد كان الشيخ المرحوم المستاوي، شاعرا مجيدا، ينظم القصائد العصماء ذات المباني المتينة والمضامين الراقية في المجال الديني وفي غرض الابتهالات والمناجاة. فقد شهد له العارفون بشؤون الدين والأدب بجزالة اللفظ وعمق المعنى قي قصائده المليئة حكمة وإيمانا وكشفا لصورة الإسلام الحقيقي، ومما قاله عنه المغربي الأستاذ **محمد إبراهيم بخات** مشيدا بشاعريته: «كنت المح في شعره أصالة

وحكمة وشاعرية دافقة صادقة تنم عن إيمان وصلاح يدعو بهما ويصلح غيره، فكان عن جدارة شاعرا في القمة لكونه يقدر مهمة الشاعر في الحياة.

أما عن صفات **الشيخ الحبيب المستاوي** وشخصيته فقد كان كما عرفته شخصيا سنة 1968 عندما كان يزورني بوزارة الشؤون الخارجية بقسم الصحافة والإعلام شيخا شهما طيب العشرة، لطيف الخطاب، دمث الأخلاق، جم التواضع، حسن المعاملة، وقدوة حسنة لغيره، وكانت عليه مهابة العالم، وقدرة المخاطب المقنع، والتونسي المتشبع بالإيمان والحريص على إبلاغ الرسالة وتوضيح المقاصد، وقد استفاد من علمه وعمله ونصحه وتوجيهه ونضاله طلاب الجامعة الزيتونية بتونس وانتعشت بأياديه البيضاء المحافل العلمية في صفحات «**مجلة جوهر الإسلام**» الزكية، فتربى على يديه خلق كثير وشباب مأمول، ومن بينهم نجله المثقف. لقد كان المرحوم الشيخ العلامة **محمد الحبيب المستاوي** يحسن إلى من أساء إليه وينجد من يلتجئ إليه، يستنهض العزائم ويستحث الهمم للسير قدما نحو العزة والكرامة.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الاحكام المتعسفة على الاسلام سببها السلوك المنحرف والعمل المتناقض

ما كان الإسلام الذي جاء خلاصة لتشريعات السماء كلها في ذلك المستوى الذي يخول لأصحاب الضحالات الفكرية أن يسلطوا عليه أحكامهم التعسفية الجائرة أو أن يصعدوا إلى قممه المنيفة من غير مصعد

وما أصبح المتهافتون على موائد الفكر والعلم وأدعياء التقدم والحضارة يَجْأرون على الإسلام إلا يوم أن أعطاهم المنتسبون إليه صورا شوهاء من الإيمان الضعيف والسلوك المنحرف والعمل المتناقض ويوم أن فصل الدين عن الحياة العامة للمسلمين . هذه الأشياء التي لا يخجل كثير من مرضى العقول والقلوب أن يحملوا وزرها على الإسلام وهو منها براء .

الاسلام: تطهير وتطوير ورفق ورحمة وتيسير

إن حقائق الإسلام لواضحة جلية وإنها للتطهير والتنوير وإنها للرفق والرحمة والتيسير ولا يعجز عن هضمها إلا من كان أسير هواه ولا عن فهمها إلا من كان من تلك الفصائل التي لا ترى إلا في الظلام الحالك ولا تصطاد إلا في الماء العكر (من الخفافيش والضفادع) ولقد صدق ربنا حين قال في محكم تنزيله (ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين)

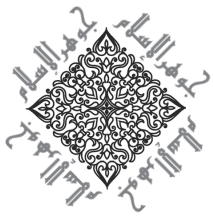

منهج الدعوة لدى الشيخ الحبيب المستاوي

بقلم الأستاذ سليمان الكنزاري

بسم اللّه الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، يقول اللّه تبارك وتعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ الاحزاب الآية22 .

لقد تعرفت على المغفور له الشيخ الحبيب المستاوي في ثلاث مناسبات الأولى بكلية الشريعة وأصول الدين وكنت آنذاك طالبا بها فكنت التقي به في فترات الاستراحة ضمن ثلة من طلبته وكان الحديث متواصلا حول الدرس فأعجبت بتواضعه مع الطلبة وبرغبته الصادقة في إفادتهم والثانية في حضوري مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري المنعقد سنة 1971 بالمنستير وكنت آنذاك مصحوبا باحد المناضلين من أقاربي السيد الازهر الكنزاري حيث استمعت إلى مداخلته القيمة أسلوبا ومضمونا والتي دعا فيها إلى تعزيز مكونات الهوية العربية الإسلامية من لغة ودين في كل مجالات الحياة فتفطنت إلى قدرته العجيبة في الربط بين الإسلام والشان العام مؤكدا على ضرورة التلازم بينهما في حياة المسلمين تأكيدا لم يرق لبعض الحاضرين في المؤتمر فزاد احترامي له لمنطقية المعادلة التي طرحها وجرأة عرضها.

وكانت معرفتي أعمق بالشيخ من خلال مسيرته العلمية والثقافية الإسلامية التي كانت تصلنا عبر الاعلام المكتوب والمسموع ومداخلاته رحمه اللّه بصفته عضوا في لجنة الدراسات الاشتراكية التي كنت مواظبا على حضورها والتي كان يشرف على أشغالها السيد الفاضل أحمد بن صالح الامين العام المساعد للحزب آنذاك فكان

الشيخ الصوت الديني في أشغال هذه اللجنة بالخصوص في المحور الذي نوقش طيلة سنة كاملة حول **الإسلام وتحديات العصر** .

فخصوصية الرجل في مسيرته الدعوية والعلمية والثقافية والسياسية تتمثل في محاولته الربط بين الإسلام كمبادئ وتعاليم من عبادات ومعاملات وأخلاقيات وبين الشأن العام فالإسلام عنده سلوك ومعاملة وحياة بل لم يكتف بالدعوة إلى ذلك نظريا. وحتى يروج لهذا المبدأ القائم على التلازم بين الايمان والعمل بالجوارح استخدم جملة من وسائل الاتصال بينه وبين الامة نخص بالذكر منها أولا:

تأسيسه لمجلة إسلامية:

أصدر الشيخ مجلة إسلامية أسماها جوهر الإسلام سنة 1968 في ظروف صعبة وهي أول مجلة من نوعها ذات صبغة إسلامية بعد الاستقلال وخصص مواضيعها للثقافة العربية الإسلامية وتحقيقا لمبدأ الاثراء والتنوع دعا للكتابة فيها شيوخا من جامع الزيتونة الأجلاء وثلة نيرة من علماء العرب والمسلمين وتواصل صدور هذه المجلة من بعده بإشراف نجله المثقف المناضل صلاح الدين المستاوي فسار في الخط نفسه إلى حين توقفها عن الصدور لسبب أو لآخر سنة 1986

وبالعودة إلى افتتاحيات جوهر الإسلام نستشرف الخط الدعوي الإسلامي الهادف للشيخ منهجا وأسلوبا اذ تعد هذه الافتتاحيات أهم مرجع للعمل الدعوي الإسلامي عند الشيخ الحبيب المستاوي وللمهتمين بشأن الصحوة الإسلامية في أبهى صورتها وأصدق مثلها معتمدة في ذلك على القرآن والسنة كمرجعين أساسيين في العمل الدعوي الإسلامي الذي تبناه الشيخ.

في هذه المقدمات للمجلة يحاول الفقيد رحمه اللّه ابراز حكمة الأوامر الشرعية من عبادات ومعاملات وأخلاقيات لإقناع المتتبع لها حتى يدرك عن اقتناع الحكمة الربانية ونتائجها الايجابية الكبرى في حياة المسلمين جميعا والتي جعلت منهم كما قال تعالى ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾. كما كان يعرض في هذه الافتتاحيات تجاربه في الدعوة الإسلامية الناجحة شكلا ومضمونا حيث يتوخى الواقعية في التقييم متجنبا الأحكام العاطفية اللاواعية والتي توقع في التطرف وبالتالي الاصطدام حتى كاد يكون معتزليا باتباعه العقلانية في التبليغ وكثيرا ما يقدم أسلوبه في الدعوة والمتمثل في الخطاب العقلاني المنطقي الذرائعي أحيانا إلى دعاة الإصلاح بدافع النصح داعيا اياهم بالالتزام به في عملهم الدعوي حتى يثمر عملهم الإسلامي كما

كان ينصحهم بنبذ العنف في الدعوة مما ينفر الناس منهم ومن دعوتهم الصادقة وذلك تأسيا بالمنهج الإسلامي الذي جاء في قوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ مشيرا إلى هذا المنهج القرآني بقوله (أجل هذه هي دعوة محمد عليه السلام وهذه هي طريقتنا التي سنتوخى سبيلها وانها سليمة القصد ومأمونة الجوانب اذ ليس في الإسلام عنصر ضعف ولا مركب شذوذ حتى نعمد إلى نصرة قضيته بالجلبة والتحمس ونأسف على افتضاحه وهتك استاره وهو النهج المتبع من قبل بعض الفعاليات الإسلامية في الدعوة مع الاسف) .

واعتقادا من الشيخ بأهمية الشباب المسلم بالنسبة لمستقبل الامة الإسلامية فان ايمان الفقيد بشباب الامة الناهض والمتحمس لدينه تحمسا عقلانيا وحتى يكونوا حماة هذه الامة وهذا الدين العظيم ينصحهم بالمزيد من الخبرة والتسلح بسلاح العلم الصحيح للتعرف على حقائق دينهم حتى يكون التطبيق لمبادئه سليما مثمرا

كما تصدى الشيخ في دعوته لدحض الشبهات عن الإسلام التي البسها اياه أعداء الإسلام من اهله ومن غير اهله فصحح المفاهيم الإسلامية المنحرفة والتأويلات المغرضة وتطبيقا لهذا المنهج الدعوي ولما يتحلى به الشيخ من حكمة وبعد نظر وحتى يتواصل إصلاحه لم يصطدم بمن قلدهم اللّه مقاليد الامة بل كان يخاطبهم بلغة رقيقة ناعمة فيحملهم مسؤولية صلاح المسلمين أو فسادهم وقوتهم أو ضعفهم ووحدتهم أو تمزقهم وانتصارهم أو انهزامهم وذلك بأسلوب يتسم بكل حكمة ورفق ولين حتى لا يصطدم بالسلطان فيؤثر ذلك على مسيرته الدعوية وقصده الطيب هو ارضاء اللّه بأداء النصيحة عملا بقوله عليه السلام (**الدين النصيحة**)

أما الوسيلة الثانية التي اتخذها الشيخ في نشر دعوته بصفته داعيا مسؤولا فهي منبر الجامع. فكان خطيبا بجامع مقرين على مدى سنوات يدعو في خطبه المصلين إلى ان يتفاعلوا معه معتمدا في ذلك على ما وهبه اللّه من وعي حقيقي ومعرفة صحيحة بالدين الإسلامي وباعتباره مدرس وعظ وارشاد تجول في العديد من جوامع العاصمة التونسية وأحوازها القريبة جاعلا منها مجالس دينية يلتقي فيها بعامة الناس فيقدم لهم معرفة دينية ميسرة في أسلوبها تعرفهم بربهم ودينهم ويتلقى منهم مسائل ويجيب عنها بوضوح واقناع بالقرآن والسنة .

كان رحمه اللّه في مواقفه ومعاملاته وحتى في حياته اليومية المهنية كما في حياته الاجتماعية وحياته الثقافية يدعو إلى تلازم الايمان بالعمل والإسلام بالتطبيق فعبر عن هذا التلازم في بعض افتتاحيات مجلة جوهر الإسلام منشورا بعدد 1401/ 1981

بقوله (انه اي القرآن لبلسم لكل داء عضال وشفاء لكل علة اذ هو الجديد المتجدد والينبوع المتفجر والمتصف بالشمول والمرونة يهضم كل فن ويسع كل حضارة ويتفاعل مع كل علة ويسبق العقل البشري في مدارات تجنحاته وطيرانه)

وهذا ما يجعلنا ندرج الرجل الداعية ضمن الحركة الإصلاحية الحديثة والتي من روادها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا كما كان متأثرا بالمدرسة الإصلاحية الزيتونية والتي من روادها الشيخ سالم بوحاجب وبيرم التونسي والطاهر بن عاشور .

وكان انخراطه في العمل الوطني حيث كان ناشطا سياسيا فانضم إلى الحزب الحر الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة فاتخذ المنابر السياسية ونوادي الحزب ومؤتمراته ومناسباته الوطنية فرصة لتوعية المناضلين وحثهم على مقاومة الاستعمار الفرنسي وبعد استقلال البلاد حصر دعوته في الجهاد الاكبر والمتمثل في مقاومة التخلف في شتى مظاهره خاصة منه الديني الذي تغلب عليه الخرافات والأساطير والشعوذة والتأويلات الخاطئة للنصوص قرآنا وسنة.

فلم يترك الشيخ الحبيب بصفته داعية وسيلة من وسائل بث التوعية الاجتماعية والفكرية والدينية والوطنية الا واستخدمها فكان يلقي الدروس العامة وبصفته أديبا كان يكتب المسرحيات الهادفة وينظم الاناشيد والقصائد الدينية وشارك في الاجتماعات الحزبية ملتزما في كل عمله الدعوي بما هدف إليه والمتمثل أساسا في الربط المحكم بين الإيمان الصحيح والوفاء للوطن والمعادلة التي التزم بها الشيخ رحمه اللّه في مسيرة دعوته هي تحقيق الصلة المتينة بين الإسلام والحياة وقد كلفته تضحيات وأتعابا رحمه اللّه تعالى فلم يحد عن غايته وخدمته لدينه الحنيف كما أعدّ الشيخ للاذاعة الوطنية التونسية حصتين دينيتين في الأسبوع الأولى حديث الصباح والثانية حديث الجمعة وحتى يكون مؤثرا في الآخر بمنهجه الدعوي اتخذ الشعر وسيلة للتبليغ بنظمه لديوان شعري عنون له بقوله (**مع اللّه**) بأسلوب شعري بليغ مؤثر يدعو في قصائده إلى حب الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام وانت تتلو هذا الشعر الإسلامي تحس بصدق العاطفة إلى درجة تزيدك قربا من الرسول فتعجب بشخصيته فتجعله مثالا أعلى في حياتك وقدوة حسنة تهتدي بها كما تحببك في الإسلام كمبادئ وتعاليم إنسانية أبرزها الشيخ الحبيب فيما يتولى تفسيره من آيات بينات كما عبر عنه في مختلف قصائده الإسلامية

الفيحاء ولعلّ من هذه القصائد الشعرية الإسلامية الرائعة هذا المقطع المؤثر من قصيد له بعنوان في حمى المصطفى

اسمعوا صيحة الرسول ينادي ... يا لقومي، ويا لأهل الضاد
اسمعوه يتلو الكتاب عليهم ... باتزان وحكمة واعتداد
ليس شعرا.. وليس سحرا.. ولكن ... فيض سر، وما له من نفاد
معجز اللفظ، محكم النسج، بحر ... للمعاني الفسيحة الأبعاد
فيه من عبرة القرون دروس ... محكمات لطالب الإرشاد
فيه للحكم والنظام دساتير ... وفيه عمران كل بلاد
فيه وعظ منبه وعنيف ... فيه بشرى ودعوة للجهاد

هذا ما أمكنني قطفه من الجانب المشرق للمرحوم الشيخ الجليل الحبيب المستاوي والمتعلق بمنهجه في الدعوة وقد كلفت بهذه المهمة في وقت قصير وأنا مشغول فيه بجمع الزيتون وما أدراك ما جمع الزيتون أقول هذا لتبرير تقصيري في حق الشيخ الذي أقول له وهو بجوار الرفيق الأعلى (نم قرير العين فان مخالفيك يوما ما يعبرون اليوم عن ندمهم راجين من اللّه تعالى ان يغفر لهم.

واني لست مؤهلا لأعطي للرجل حقه في خدمة الإسلام والمسلمين والبركة في خلفه الذين تأسوا به وساروا على منهجه الإسلامي الصحيح وفي مقدمتهم الأخ المناضل نجله الأكبر صلاح الدين المستاوي الذي كان نعم الخلف لنعم السلف مقترحا عليه أن يعيد نشر مجلة **جوهر الإسلام** التي أسسها والده رحمه اللّه حتى تكون مرجعا للدعاة الصادقين منهجا ومضمونا إلى جانب كتاب اللّه وسنة رسوله واختم كلماتي هذه بما بدأت به قوله تعالى ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ الآية22 و23 من سورة الاحزاب.

الشيخ الحبيب المستاوي شاعرا

بقلم الدكتور مختار العبيدي

الشيخ الحبيب المستاوي علم من اعلام تونس المشهورين ومدرس من مدرسيها البارزين ووطني من الصادقين الذين ضرب صيتهم في علوم العربية وفي التفسير والحديث جمع فاوعى وأفاد واستفاد وعمل من اجل تونس إلى ان اختطفته يد المنون وهو في أوج العطاء فرحمه اللّه وبرد ثراه

عرف الشيخ الحبيب المستاوي بعلمه الغزير في شتى الميادين وسخر عقله وقلمه فيما قال وكتب لفائدة المتعلمين والمثقفين والمتعطشين لمعرفة شؤون الدنيا والدين شانه في ذلك شان محمد ابن الامام سحنون في تحفته «آداب المعلمين» وشان الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» وبعث مجلة جامعة تدعو إلى الإصلاح وتنبذ الجمود والتقليد وتعنى بالتفسير والحديث وسائر علوم العربية، وخلد فيها ما جادت به قريحته نثرا وشعرا فكان مفسرا وفقيها ومصلحا واديبا وداعيا إلى الإسلام دون تعصب ولا انكفاء.

يبدو الحديث لاول وهلة عن الشيخ الحبيب المستاوي شاعرا نشازا أو غريبا بالنسبة إلى رجل بعث مجلة اختار لها من العناوين جوهر الإسلام ووجهها وجهة دينية وإصلاحية ولكن لا تعارض بين الدين والشعر، لا يضير المرء أن يكون فقيها متدينا وشاعرا رقيق الاحاسيس في ذات الوقت. فقد كان عبد اللّه بن عباس المفسر والمحدث واحد كبار علماء العربية فضلا عن كونه ابن عم النبي صلى اللّه عليه وسلم ووالي البصرة في خلافة علي رضي اللّه عنه لا يتوانى في تفسير ما يعتاص فهمه على الناس من الفاظ القرآن الكريم بالاستعانة بالشعر القديم، وكان إلى ذلك يحفظ الشعر ويستشهد به ويشيد بخصال الشعراء، وهذا ما فعله في خبر ذكره الاصفهاني

في الاغاني واكدته كتب الأدب مفاده ان ابن عباس كان يحفظ شعر عمر بن ابي ربيعة في الغزل ويقول بالحرف الواحد «انا سنجدده» هكذا بضمير الجمع

كما ان الشعر لا يدخل ضيما على المتدين الرصين بدليل ان القرآن الكريم قد استثنى في الحكم الوارد في الشعراء الغاوين الضالين كلا من حسان بن ثابت وعبد اللّه بن رواحة وكعب بن مالك بدليل ما جاء في أسباب النزول من أنّ حسان بن ثابت قال للنبي صلى اللّه عليه وسلم عندما نزلت الآيات المهجنة للشعر والشعراء: يا رسول اللّه لقد اهلكنا اللّه بهذه الآيات..» فجاء الاستثناء ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...﴾ الشعراء آية227

اما أهل الأدب والنقد الذين نظروا للشعر فقد استحسنوا ضروبا من الشعر واستهجنوا ضروبا أخرى منه، فقد قال ابن رشيق في العمدة نقلا عن عبد الكريم النهشلي الشعر أربعة اصناف، فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به الخير وما أشبه ذلك (وشعر الشيخ الحبيب المستاوي يدخل في هذا الباب)، وشعر هو ظرف كله وذلك القول في الاوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب، وشعر يتكسب به وذلك ان يحمل «الشاعر» إلى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل إنسان من حيث هو» (باب حد الشعر) . ولا نظن الشيخ المستاوي غير عارف بهذه الاحكام والمواقف من الشعر والشعراء، ولذلك نظم قصائد كثيرة في مختلف بحور الخليل، وآثر القصائد الطوال على المقطعات لما في القصائد من طول نفس وقدرة على استيعاب المسائل الجسام. وهو فيها جامع بين الدنيا والدين بين دنيا زائلة وأخرى باقية، مازجا بين الترغيب والترهيب، مطبقا ما استطاع القولة المنسوبة إلى علي رضي اللّه عنه «اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا» فهو في خطابه لأدباء العرب يقول في قصيدة عصماء ساقها على بحر الطويل:

الا فليكن للشعر مركزه الفخم ففي ملتقى الاحرار بحلو لنا النظم
سوانا مع الافلاك حلق باحثا ليعلم ما يطوي باحشائه النجم
ونحن قبعنا لا نحرك ساكنا كفانا هوانا ذلك الوخز واللكم
وخلفهم نجري عبيدا اذلة لاكل فتات ما به الشحم واللحم

يقابل الشيخ المستاوي بين «سوانا» و«نحن»، بين ما يعرف في الدراسات الفلسفية والانتروبولوجية بـ الانا والآخر (Le moi et l’autre) فالانا هو العربي عموما

والتونسي تخصيصا قابع لا يحرك ساكنا ولا يتاثر بالوخز واللكم، وهو إلى ذلك عبد للآخر يجري خلفه ولا يدركه وراض بالاكل من فتاته ويبدو الآخر ممثلا في الغرب، عالما طموحا محلقا في السماء يستكنه اسرار الكون والوجود.

ويتحسر شاعرنا على ماضي العرب باستعمال الفعل في زمن الماضي علامة على رداءة الاوضاع في الحاضر وعلى ضرورة فرض الذات لاستعادة المجد القديم والمضي قدما في اتجاه العلم والصلاح فيقول الشيخ الحبيب المستاوي بعد ان نعى على العرب تخاذلهم وخنوعهم:

وكنا دعاة الحق نرسي صروحه على شرعة فيها العدالة والسلم
وما فرقت الا الجهالة بيننا الا انها -لا غيرها- بيننا الخصم

فهذان وضعان متقابلان احدهما مصرح به والآخر ضمني يطرحهما شاعرنا على أدباء العرب: حاضر مقيت منفر وماض مشرق مشرف. واذا ما كانت الاشياء باضدادها تعرف فيقابل العدالة الواردة في البيت الثاني الظلم المؤذن بخراب العمران كما يقول ابن خلدون ويقابل السلم الحرب والفتن وما اكثرهما في زماننا وقد فرق بين الناس حسب الشيخ الحبيب المستاوي الجهالة التي ذكرت لها المعاجم مرادفات هي الحمق والطيش ولجفاء واضاعة الحق. وكاننا بالشاعر يعالج وضعا راهنا تعيشه الشعوب العربية وتعيشه تونس بلد الشاعر حيث عششت الجهالة في كثير من النفوس فظهر الجاهل واختفى العالم وافتى القاصر وسكت الجهبذ وحكم الانتهازي المتقلب وابعد الوطني الصادق

وبلغ الوعي بمشاكل العصر اوجه عند الشاعر فيكشف دونما خوف ولا تردد في قصيدة عنوانها «فأين الهداة المخلصون لدينهم ؟» عن أنماط من الجهالة المتفشية في عصره فيقول:

فمن كافر بالعبقرية جاحد لكل نبوغ والجحود تهرب
ومن هامشي في الفراغات عيشه يعد على أهل العقول ويحسب
ومن طامع يجري وراء خياله وان خيال الطامعين لمخصب
ومن جاهل يرمى بكل خديعة فيبلغها كالثور والثور انجب

انها صورة قاتمة في المجتمع يصرخ بها الشاعر علانية في السنوات السبعين مثله كمثل ابي القاسم الشابي في كثير من قصائده وكالطاهر الحداد في بعض كتاباته. وبقدر ما تشاءم الشاعر وتوجس خيفة من الحاضر تفاءل بالمستقبل ودعا الشباب

–رمزه وجوهره– إلى النهوض بالمجتمع والخروج من الجمود إلى الحركة ومن التواكل إلى الاتكال على اللّه وعلى النفس:

وانتم شباب الفاضل الفذ دوركم ... يناديكم فالدين يبكي وينـدب
هلموا إلى نشر الفضيلة والهدى ... فليس لكم غير الشريعة مذهب
اترضون ان تبقى خزائن علمكم ... مغلقة الابواب والسوس ينهب؟
فاين الهداة المخلصون لدينهم ... واين الذي يدعو ولا يتقلب؟

ولقد نوع الشيخ الحبيب المستاوي في معانيه ومضامينه ونطقت بعض قصائده بتاملاته في الكون والوجود وفي مصير الإنسان حيثما كان مستلهما من القرآن وقصار السور نفسا دينيا مؤثرا ومن قصائد ابي العتاهية وعبد اللّه بن المبارك توجها زهديا عبر عنه النفس الديني ومصطلحات الزهد التي حفظتها كتب نقد الشعر، وجمعها المستشرق لويس ماسينيون Louis Massignon في كتابه المشهور Essai sur les origines du Lexique technique de la poésie musulmane

فهو يقول من الرمل:

كم قصور عمرت من قبلنا ... فوجدناها يبابا خاوية
وملوك دانت الأرض لهم ... قد طوتهم وهي دوما طاوية
...ايها التائه في عليائه ... سوف تضحي مثل نخل خاوية
اين جندي وأين مالي؟ اين هم؟ ... هلكوا عني مع سلطانيه

أفلا يكون الشاعر متاثرا بابي العتاهية الذي قال في نفس المعنى

واني لمن يكره الموت والبلى ... ويعجبني ريح الحياة وطيبها
رايت المنايا قسمت بين انفس ... ونفسي سياتي بعدهن نصيبها
فحتى متى حتى متى والى متى ... يدوم طلوع الشمس لي وغروبها

ان النفس الديني الذي وقفنا عنده واضح في اغلب قصائد الشيخ الحبيب المستاوي وهذا ليس غريبا من رجل مشبع بالنص القرآني، فاهم لمعانيه، مدرك لتعاليمه وقد راى فيه الصلاح والامن والاستقامة. ولا يفوتنا الاشارة إلى البعدين الإصلاحي والسياسي في ديوانه، فحبه للوطن واخلاصه له وخوفه عليه قد قاده جميع ذلك إلى الاشادة بالمصلحين وبالإصلاح وبالعلم والعلماء. ولا نخفي في

هذا المجال احترازا لقارئ الشعر الإصلاحي اجمالا غياب الشعرية والجمالية من هذا الضرب من الشعر، فهو كلام موزون معقود بقواف لا غير. ولكن الغاية تبرر الوسيلة كما يقال ذلك ان المصلح الذي ينشد الإصلاح وتبليغ صوته لا تكون القناة الواصلة بينه وبين المتقبل الا وسيلة لا غير وهذا ما نراه عند سائر الشعراء المصلحين يقول الشيخ الحبيب المستاوي:

اهيب بالعرب والانظار شاخصة نحو المصير الذي للعرب نبنيه
ان ينفروا كلهم في عزم محتسب يبني لامته مجدا ويعليه
فالنصر من ربنا ياتي على عجل لمن إلى اللّه يسعى في دياجيه

وهو يرى ان النجاة نجاة التونسيين والعرب والمسلمين جميعا كامنة في العلم والتعلم والاخذ بأسباب الرقي دون القطع مع الماضي فماضي المسلمين مزهر يبعث على التفاؤل لان الإسلام دين دنيا ودين وعلم وعمل واصالة واخذ بأسباب الرقي في آن واحد وهو في ذلك آخذ من زعماء الإصلاح محمد عبده ورشيد رضا والافغاني والشيخ الطاهر بن عاشور فهو يقول في افتتاحية عنوانها

«موقفنا من قضية الاصالة والمعاصرة: «لسنا من أنصار الانغلاق ولا المنادين بالتحجر والجمود لان ديننا المتفتح يأبى علينا قبل غيره ذلك واخلاصنا له وتفهمنا لحقائقه وتشبعنا بمبادئه هو الذي يشعرنا بحتمية ذلك بيد ان التفتح والتحضر والتقدمية لن تصل بالرشداء والمصلحين إلى درجة الذوبان والتلاشي والتنكر لما اختصنا اللّه به من طاقات روحية وفكرية وتاريخية وتشريعية وان تشبعنا بها وادراكنا لحقائقها لا يمكن ان يعوقنا ابدا عن كل طريف مفيد وفتح علمي جديد»

وهو المعنى الذي عبر عنه في داليته بقوله (طويل)

وبالعلم والابداع والخلق اخصبت عقول بني الإسلام في فجرنا الندي
ومن امة الإسلام كان اقتباسهم لما عندهم من مطلق ومقيد
ومهما تنكرنا لامجاد اهلنا ففي صادق التاريخ كل مفند

ولا نحسبه في هذه الابيات وفيما قال وكتب شعرا ونثرا الا متاثرا ايما تاثر بشيخه الجليل محمد الفاضل ابن عاشور الذي كان يعده فخر تونس وفخرا لكل المسلمين فعنه يقول بعد موته «لقد تجاوز فقيدنا العزيز حدود جنسه وحسه وحطم الأرقام القياسية لرجل الدين والعلم في القرن العشرين بما احرز عليه من سلفية وعصرية ومن مرونة وصلابة، ومن صوفية تصل إلى حدود الاغراق والوله تكمن بجانبها وتتعامل معها بدون حيف ولا استغلال علمانية معتدلة وعقلانية سليمة...» (من افتتاحية: اجتمع لدى الشيخ الفاضل ما نفرق عند غيره).

فهو ينهل من دروس شيخه ومن محاضراته ومن حركته الأدبية والفكرية فلقد سبق الشيخ محمد الفاضل بن عاشور إلى القول:

«ان العالم الإسلامي في حالة تأخر وتدهور، مع ان الإسلام بذاته كفيل بأن يكون المجتمع القائم على أصوله في حالة تخالف ما هو عليه الآن، فينبغي ان يعزى السبب في ذلك إلى امر خارج عن جوهر الدين كان موجودا عند المسلمين ففقد، وان المقارنة تظهر ان هذا الامر انما هو العلوم الحكمية، وهذه العلوم كانت مزدهرة متقدمة عند المسلمين (...) ثم اضيعت هذه العلوم وتأخرت، فهان المسلمون وتأخروا تبعا لذلك، واقتبست اوروبا هذه العلوم (...) فلا سبيل حينئذ إلى أخذ الإسلام بحظه من السعادة والنهضة الا باستعادة نهضة هده العلوم التي اضاعوا ولا سبيل إلى ذلك إلا باقتباسها عن الأوروبيين بالنقل والتعلم (الحركة الأدبية والفكرية في تونس، طبعة بيت الحكمة، ص36)

وفيما يخص لغة الشاعر فهي من السهل الممتنع، لم يجنح فيها إلى الغريب ولا إلى الغموض والتعقيد، هي لغة مبسطة مفهومة تحملها جمل وتراكيب ذات معان ابكار في وقتها. اما البحور المعتمدة فهي الكامل، الطويل والخفيف والبسيط، والرمل والمتقارب والوافر واكثرها استعمالا بحر الكامل الذي كان حظه من القصائد ثلاث عشرة قصيدة من جملة 39 قصيدة ثم الطويل الذي اختصت به عشر قصائد حتى نصل إلى الوافر الذي ورد في قصيدة واحدة. فيكون بذلك شاعرنا قد قال في جميع دوائر الخليل الخمس فكان من الدائرة الأولى الطويل والبسيط ومن الدائرة الثانية الكامل والوافر ومن الدائرة الثالثة الرمل ومن الرابعة الخفيف ومن الخامسة المتقارب. ومن هذه القصائد ما هو مطولات كقصيدة «إلى اللّه اشكو» التي تعبر عن واقع التونسيين في شتى الميادين وقد ضمت مائتي بيت على بحر المتقارب، ومن قصائده المقطعات والنتف مثل المقطعة «الحمد لله» التي لم تتضمن سوى أربعة آبيات على بحر البسيط

والقسم المشترك بينها جميعا زيادة على قيمتها الأدبية انما هو الإصلاح الثقافي والسياسي والاجتماعي في بلد راهن رجاله منذ الاستقلال على التعليم وعلى انارة العقول وفتح البصائر وضمان الرقي والاستقرار

هذه بعجالة بعض الأفكار والملامح التي استقيتها من شعر هذا الرجل العظيم. ومن يدقق النظر في ديوانه يدرك انه كان من شعراء تونس المتميزين لغة واغراضا ومواضيع.

مع الشيخ الحبيب المستاوي شاعرا

بقلم الأستاذ سُوف عبيد

①

إنَ المتأمّل في سيرة الفقهاء والعلماء في إفريقية على توالي العصور وتتالي الأمراء والسّلاطين والبايات يلاحظ

أولا ـ أنهم دأبوا على نشر العلم في الحواضر والبوادي والجبال والفيافي فعاشوا بين الناس عيشة البساطة والشَظف ونشروا اللغة العربية والقرآن الكريم فبفضلهم أضحى اللسان العربي سائدا في ربوع بلاد الأمازيغ بل اِمتدَت بفضلهم لغةُ الضاد إلى ما وراء الصحراء في إفريقيا واِنتشرت على مدى السواحل الشمالية من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من صقلية إلى الأندلس والبرتغال

ثانيا ـ أن الكثير من أولئك الفقهاء والعلماء قد كانوا من المدافعين عن حمى الأوطان أو مرابطين في قلاع الثغور أو مشاركين ضدّ الغزاة أو حاملين للألوية في الفتوحات من بينهم ـ عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المولود حوالي سنة 74 للهجرة وقد شارك في الوقائع البحرية فأسره الرَوم ثم اُفتدي وفُكّ من الأسر فأرسل مقطوعة إلى أهله يقول فيها

ذكرتُ القيروانَ فهاج شوقي ... وأين القيروان من العراقِ
مسيرة أشهر للعِيس نصًا ... على الخيل المضَمّرَةِ العِتَاق
فَبَلِّغْ أنْعمًا وبني أبيه ... ومَنْ يُرجَى لَنَا وَلَهُ التّلاَقي
بأنَّ اللهّ قد خلّى سبيلي ... وَجَدَّ بِنا المسيرُ إلى مراقِ

ومن أولئك الذين حملوا لواء الجهاد الإمام سحنون المولود سنة 160 هـ فقد كان كثيرا ما يَتَمثّل بقوله

كُلّ شيءٍ قـد أراه نُكْـــرًا غيرَ ركـز الرّمـح في ظهـر الفـرسْ
وقيـامٍ في حناديـس الدّجـى حارسًـا للقـوم في أقصى الحـرسْ

ثالثا ـ أن عددا كبيرا من أولئك العلماء والفقهاء كانوا مستقلين عن الحاكمين غير راغبين في تولّي المناصب مثل منصب القضاء والحسبة وتدريس أبناء الطبقة الحاكمة فعاشوا من كدّ يمينهم ومن كسبهم في سائر ضروب المعاش وكانوا ينتصرون للضعفاء ناصحين لأولي الأمر ولا يخشَوْن في الحق لومة لائم وإنّ كُتب التراجم والطبقات زاخرةٌ بعديد الأمثلة من بينها ما أورده حسن حسني عبدالوهاب فقد أورد أنّ الإمام سحنون الذي توفي سنة 240 للهجرة اِشترط على الأمير الأغلبي عندما قلّده القضاء بعد إلحاح أن يبدأ بتطبيق الأحكام على أهل بيته وأعوانه وأن لا يتسلم عطية أو مالا منه فقبل الأمير منه ذلك وأورد كذلك حسن حسني عبد الوهاب أن محرز بن خلف كتب رسالة إلى الأمير الصنهاجي يقول فيها وقد أوصى إليه ببعض تلاميذه ـ أنا رجل عرف كثيرٌ من الناس اِسمي وهذا من البلاء وأنا أسأل اللّه أن يتغمدني برحمةٍ منه وفضل وربما أتاني المضطر يسأل الحاجة فإن تأخرتُ خفتُ وإن ساعدتُ فهذا أشدّ وقد كتبتُ إليك في مسألة رجُل من الطلبة طولب بدراهم ظلما ولا شيء عليه فعاملْ فيه مَن لابد لك من لقائه واِستح ممّن بنعمته وَجدتَ لذيذ العيش واِستعنْ في أمرك بمن يتّقي اللّه

أمَا الملاحظة الأخيرة فإنها تتمثل في أن العديد من أولئك الفقهاء والعلماء في تونس وإفريقية تُنسب إليهم أشعار قليلة أو كثيرة ولم يخالف هذه الوتيرة حتى الفقيهُ اِبنُ عرْفة والمؤرخ اِبنُ خلدون ويمكن أن نعدّ البعض منهم شعراء بارزين في عصورهم مثل مُحرز بن خلف الذي عاصر القرن الرابع والخامس الهجري ومثل إبراهيم الرياحي الذي عاصر القرن التاسع عشر الميلادي وقد سار على هذا المنهج في قرض الشعر كثيرٌ من الشيوخ المعاصرين المتخرّجين من الزيتونة نذكر منهم خاصة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ الخضر حسين وقد نسج على منوالهما الشيخ الحبيب المستاوي الذي نعتبره آخر عنقود الفقهاء الذين جمعوا بين منهج الدعوة الدينية

والشيخ الحبيب المستاوي صاحب ديوان ـ مع اللّه ـ وقد أصدره سنة 1980 نجلُه الأستاذ محمد صلاح الدين بعد وفاته ويبدو أن الديوان هو أقرب إلى المختارات الشعرية التي يجمع بينها النفس الديني المشوب بالدعوة إلى الإصلاح ولعل

المستقبل القريب يسمح بنشر بقية القصائد كي نقف على المسيرة الشعرية الكاملة للشيخ الشاعر الحبيب المستاوي

②

الشيخ الحبيب المستاوي من مواليد سنة 1923 بالرُّقبة وهي واحة جبلية من ضواحي مدينة تطاوين بالجنوب الشرقي من البلاد التونسية وقد حفظ القرآن علي يد جدّه وفي سنة 1935 اِلتحق بجامع الزيتونة بالعاصمة تونس حيث تخرج منه بشهادة العالمية في الآداب سنة 1951 فباشر التدريس والوعظ والخطابة والمحاضرة وكان ناشطا في المجالات الاِجتماعية والسياسية والنقابية وأصدر مجلة ـ جوهر الإسلام ـ سنة 1968 فالشّاعر حينئذ قد عاصر مرحلة الكفاح ضد الاِستعمار ثمّ مرحلة بناء الدولة الوطنية ويبدو أنه قد اِنخرط في الحركة الإصلاحية الدينية العامة قبل أن تتحوّل هذه الحركة إلى التنظّم السياسي المباشر بعد أن تأثرت بالجماعات الإسلامية في المشرق العربي فالشيخ الحبيب المستاوي سليل المدرسة الإصلاحية التونسية التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر والتي تمخّضت عنها الحركة الوطنية بأبعادها المتنوعة لذا نجد الشاعر يذكر بإجلال أحد رموز هذه الحركة وهو الشيخ محمد الفاضل بن عاشور وذلك في قصيد رثائي بليغ بعنوان ـ أنّة مكلوم ـ حيث يقول فيه ص 30

سنبقى ــ مع التوفيق ــ جند محمد ونعمل للإصلاح دون تراجع
فنم مطمئن البال خلفك نخبة سمُوا بالمعالي عن رخيص المطامع
لقد لُقنوا منك الرباط وإنهم لماضون في درب الكميّ المدافع

فالشاعر يَعتبر نفسه من تلاميذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي يمثل أحسن تمثيل المدرسة الإصلاحية التونسية المعاصرة التي اِنبرت منذ القرن التاسع عشر في محاولاتها المتوالية جيلا بعد جيل للعمل في جميع المجالات ضمن الاِجتهاد والتجديد وفي التصدي للحكم المطلق حينا وفي التصدي للاِستعمار الفرنسي حينا آخر وفي بناء أسس الدولة الوطنية بعد الاِستقلال بعد ذلك فالشيخ محمد الفاضل بن عاشور يُمثّل رمزا للعالم المسلم المتأصّل والمتفتّح على العصر والمتجذر في بيئته الوطنية ونرى الشيخ المستاوي يقول فيه ضمن قصيد آخر ص52

لقد عاش بين الناس عيشة مُصلح وعَيشُ ذوي الإصلاح مُرّ مُعذّبُ
قُليل هُمو الواعون أهداف نهجه وغيرهُمُو نابٌ عليه ومخلب
له صبر أيّوب إذا ما تلبّدت غيومُ البلايا أو تجهّم غيهبُ

درسنا مع الشيخ العظيم ظروفنا وأوضاعنا والدّرس وافٍ ومُسهَبُ

③

والشيخ الحبيب المستاوي كثيرا ما نراه يستلهم القيم الإسلامية في دعوته إلى اِستنهاض المسلمين كتأكيده على المساواة والعدل والعمل والعلم والإبداع حيث يقول في ذكرى مولد الرسول المصطفى صلى اللّه عليه وسلّم ص50

وما اللّون والأجناس إلا عوارض فأفضل خلق اللهّ ذو العقل واليد
وأقربُهم لله من كان نفعُه عميما ولم يخلِط بغاية مُفسد
على هذه الأهداف عاشت جدودُنا فظلت تسُوس الكون دون مُهنّد
وبالعلم والإبداع والخلق أخصبت عقولُ بني الإسلام في فجرنا النّدي

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من القيم فإن الشيخ المستاوي يؤكد على الدّعوة السلمية التي كانت أساس اِنتشار الإسلام كأنه بهذا يدعو إلى نبذ العنف ذلك الذي أمسى منهجا لبعض الحركات الإسلامية وبالتالي فإن الشيخ الحبيب المستاوي إنما ينتمي إلى الحركة الإسلامية التي تتبنّى الوعظ والإرشاد والدعوة إلى صحوة إسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة وبالاعتماد على العلم والإيمان حيث يقول في قصيد إلى الأدباء العرب ص48

وما فرّقت إلا الجهالة بيننا ألا إنها ــ لا غيرُها ــ بيننا الخصمُ
ُوليس لنا من مأزق الذل مخرج نُيمّمُه إلا التدين والعلم

ومن الأسباب التي دعت الشاعر إلى التمسك بالقيم الإسلامية ما لاحظه من مظاهر عديدة للتفسخ والانحلال والميوعة فابتعد المجتمع عن أصالته التي كانت قائمة على الأسس الصحيحة للدين الحنيف ومن بين تلك المظاهر نراه يصف الجنوح الأخلاقي الذي كان سائدا لدى عدد كبير من الشباب المتأثر بالموضة الغربية حيث يقول ص38

فترى الفتاة خليعة مرذولة ممسوخة في الشكل والهندام
وترى الفتى متخنّثا متشبّها بالمائسات وساخرا بمـلام
خلع العذار ولم يَخَفْ من خالق أبدا ولم يُمسك بأيّ زمام
زحفت قشور حضارة مزعومة نحو الشباب فغاب في الأوهام

④

من القصائد التي تُعبّر بوضوح عن المنهج الإصلاحي القائم على النّصح والوعظ قصيدة ـ وإذا تنكّر للأصالة أرعن ـ ص35 وهي قصيدة أنشأها بمناسبة زيارته للمغرب الأقصى وقد خاطب فيها الملك الحسن الثاني فاِستهلّها على النمط الجاهلي غير أنه وصف الطائرة بَدَل الناقة حيث يقول

سَبحتْ بنا في الجوّ أختُ حمام ... نفّاثة محفوفة بسلام
تطوي السماء بخفة وبدقة ... فتخالها برقا بدا بغمام
صُنعت لتختصر البعيد فيلتقي ... أهل المحبة من بني الاعمام
قطعت مسافة أشهر في ساعة ... عجبا رأيتُ وما انا بمنام
أين الفدافدُ والسباسب أين ما ... شاهدتُه من بُعدها المترامي
طُويت كما يَطوي السّجلُ كتابَه ... فيلفُه ويُحاط بالإبهام
للّه كم بالعلم حُقّق مأرب ... للعاملين بحكمة ودوام

فالتجديد واضح في الاِستهلال الذي يختمه بالدعوة إلى العلم وهي من ثوابت الشاعر في كثير من قصائده ثم يتخلص بعد ذلك قائلا في ما يقترب من أسلوب المدح التقليدي مؤكدا على شرف النسب ومسؤولية الاِنتساب إلى الرسول المصطفى حيث يقول

جئنا لنشهد أمة عربية ... زحفت تُشيّد مُحكمَ الآجام
أنّى توجّهنا رأينا نهضة ... تبني بجدّ صادق ونظام
والأمن يسحب ذيله متبخترا ... في حُلّة فضفاضة الأكمام
أمّا المآثر والمشاهد فهي قد ... نُقشت بلوح ما يزال أمامي

وتمضي القصيدة العصماء في اِستعراض مجد المغرب الأقصى في شتى المجالات ومغتنما المناسبة لتذكير الملك ببعض النصائح كضرورة الاِلتزام بالعدل واِعتبار الحُكم أمانة وتجنّب الظلم والقهر والأهواء كما ورد في قوله

المُلك عدل والشعوب وديعة ... والحُبُّ يجرحه عنيف حسام
مَن صانه لاشك سوف يصونه ... أبدا فيَضحَى فوق كل خصام
مَن حكّم العقل الرّصين مُجرَّدا ... وافاه ما يرجوه من إنعام

ويؤكد الشيخ المستاوي في الجزء الأخير من القصيدة على أن يكون الإسلام أساس الحكم في جميع المجالات ومذكّرا الملك الحسن الثاني أنه جدير بهذه المهمة حيث يقول

هلاَّ أعَدتُـم يـا مليـكُ بنـــاءه ... في الحكـم في التغليـم في الإعـــلام
في كلّ شيء مـن حيـاة شـبابنا ... في الشـكل في المضمـون في الأفهام
حتـى تكونـوا أسـوة نبويـــــة ... أنتـم لها واللهّ خيرُ إمـــــــام

أما مسك ختام القصيدة فقد تضمن على لسان الشاعر تحية الشعب التونسي وزعيمه الحبيب بورقيبة وقتذاك بالإضافة إلى ذكره لتلاميذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ومن أسرة مجلة ـ جوهر الإسلام ـ التي أسسها وأدارها الشيخ فكانت خاتمة طربفة دالة ومعبرة عن منهجه الإصلاحي القائم على الحكمة والموعظة الحسنة

إنّ مثل هذه القصائد التي تَوجّه بها الشيخ الحبيب المستاوي إلى بعض الرؤساء والملوك والتي دعا فيها إلى منهجه الإصلاحي لابدّ من التساؤل إلى أي حدَ كان الذين خاطبهم فيها مثّلوا جزءا من الفساد الذي واجهه وهل كان بإمكانهم الإصلاح المنشود ؟ وهل كان شاعرا واعيا بذلك ؟

في هذا السّياق من الضروري أن نبحث بعمق وبكل موضوعية في العلاقة التي كانت بين الشاعر الحبيب المستاوي والرئيس الحبيب بورقيبة وكيف تعايش في فترة من الفترات المنهج الإصلاحي لدي الشيخ الزيتوني ذي الأس التقليدي مع المشروع التحديثي لدى الزعيم بورقيبة ذي التوجه الغربي بالرّغم من أنّ ذينك البُعدين يُمثلان طرَفي معادلةٍ سادت على مدى القرن العشرين في تونس وقد تراوحت العلاقة بينهما بين المدّ والجزر حينا وبين الِاختلاف والِائتلاف حينا وبين الوئام والِانسجام أحيانا وقد مثّل شعر الشيخ الحبيب المستاوي صورة لبعض تلك الفترات من العلاقة بين المشروعين المتناقضين في الظاهر لكنهما يمثلان في الباطن جدلية التطور في تاريخ المجتمعات تلك الجدلية التي لم نظفر بمعادلتها الصحيحة إلى اليوم غير أني أرى أنها تتطلب بعض الشروط من بينها

ـ إذكاء حركة الِاجتهاد والتجديد ضمن مقاصد الإسلام السّمحة

ـ اِعتبار المنجزات الإنسانية في العالم من مساهمات العرب المسلمين فيها أيضا

ـ الِابتعاد عن الولاءات الخارجية فلا ولاء إلا للأوطان وحدها

ـ إبراز قيمة العمل والكسب والسّعي نحو الترقّي

ـ إشاعة مناخ الحوار وقبول الإِختلاف في كنف الإِحترام

فلقد قال أسلافنا الصّالحون ـ رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصّواب

⑤

وفي الديوان قصائد أخرى قيلت بمناسبات دينية مثل الحج وحلول شهر رمضان والإسراء والمعراج والمولد النبويّ وغيرها ويؤكد فيها الشيخ المستاوي على القيم الإسلامية وأبعادها المتنوعة وثمة قصائد أخرى في الديوان تتضمّن الشكوى من الحيف الذي نستشفه في غضون بعض الأبيات كقوله ص76

أغثني إلاهي فإني فقير وغوثك يُزجي لقلبي مُناهْ
وجُدْ لي بنصر عزيز على زمان حقود بدا ناجذاهْ
وصُنْ حرمتي بإِكتفاء جميل فغيرك ــ ربي ــ سئمت نداهْ

وقد تضمنت قصيدة ـ إلى اللّه أشكو ـ ص81 ـ عشرين مقطعا يتضمن كل مقطع منها عشرة أبيات يستعرض فيها بلوعة أصناف المجتمع فيبدأ كل مقطع على هذا المنوال

إلى اللهّ أشكو شبابا تردّى وزلّت به الرجل في الهاوية

وكقوله

إلى اللهّ اشكو ضياع الرجولة وما كان في قومنا من فُحولة

وكقوله

إلى اللهّ أشكو رجال الصحافة وأهل العقول وأهل الحصافة

وكقوله أيضا

إلى اللهّ أشكو رجال السياسة لما عندهم من بديع الكياسة

ففي هذه القصيدة نرى الشاعر قد عدّد مظاهر التدهور السائدة في المجتمع ولعله قد مرّ بمرحلة من اليأس بعد محاولاته في الإصلاح على مدى فترات ومناسبات متنوعة تراوحت من المجال التربوي والثقافي إلى المجالات الإِجتماعية والسياسية سواء في تونس أو خارجها مما جعله يركن إلى الشعور بالخيبة في آخر المطاف ولعل السيرة الشخصية بما فيها من ملابسات تاريخية توضح هذه المسألة

⑥

لئن كان هذا الديوان يندرج ضمن سياق الشعر الديني عامة بما فيه من دعوة واضحة إلى المنهج الإصلاحي الإسلامي فإنه يتراوح أحيانا بين الوجدان الرومنطيقي والوجدان الصوفي كقوله في قصيد ـ هو سر الوجود ـ ص45

بسمة الدهر بالسّنَى قد تجلّتْ والأماني ثمارُها قد تدلّتْ
والشحارير بالحبور نشاوى ردّدت لحنها الجميلَ وغنّتْ
والرياض الغَنّاء داعبها البِشرُ فماست أغصانُها ثم صلّتْ
والنسيم العليل ضمّخه العطر ففاحت أنفاسُه وتندّتْ
وعذارى الفردوس ترفُل تيها في حُلاها وحُسنِها قد تبدّتْ

إن مثل هذه الأبيات تؤكد أن الشيخ الحبيب المستاوي لئن اِلتزم في هذه الديوان بالمنهج الإصلاحي فإن شاعريته تبدو ذات شجون وارفة تنداح على أبعاد عديدة لعلنا نقف على معانيها في ما لم يُنشر له من قصائده الأخرى.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الامة محفوظة ما تمسكت بالكتاب والسنة

ما تزال هذه الأمة بخير تتحاماها الخطوب وتتحطم على صخورها النوائب ما تمسكت بكتاب الله وأحيت سنة رسوله تلتفت إليهما كلما إحلولكت الأجواء وتلبدت الغيوم لتجد فيهما المشاعل التي تنير الطريق وتمزق الغيهب وتحقق المغنم والسلامة فخليق بها أن توليهما من الاهتمام والعناية ما يناسب مقامهما الرفيع ويليق بأمة وعت رسالتها الإنسانية وقدرت دورها الحضاري الذي أناطته الأقدار السماوية بعنقها .

لا تزال في الأمة بقية صالحة متمسكة بحبل الله المتين

و لقد مرت بالأمة الإسلامية حقب رأت فيها كثيرا من الهزات العنيفة واللطيفة مرت كلها بدون أن تصيب منها العظم أو تهشم الرأس لأن بقية صالحة من أبنائها ما تزال ممسكة بحبل الله المتين وآخذة بحظها من الآيات والذكر الحكيم .

المنزع الصوفي في شعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه

بقلم الأستاذ الصادق الأطرش

ان من يخوض في موضوع التصوف واتجاهات اعلامه الفكرية والعقدية كمن يخوض في بحر لا ساحل له. إنها متاهات مخيفة اثارت كثيرا من الجدل واسالت كثيرا من الحبر. وقلما ظفر باحث منه أو دارس بضالته المنشودة.

واني لأجد نفسي محرجا بل متجاوزا لقدري بالحديث عن شيخنا الجليل: الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه وان احشره في زمرة المتصوفين. ولكن سالقي بنفسي مكرها في هذه المهمة متوسلا مقاربة بين ما الفه من نفحات شعرية في ديوانه «مع اللّه » وبين اعلام الصوفية وسلوكاتهم في القرون الماضية لعلي اقترب منه قدر الامكان فاستجلي بعضا من حظه في الزهد والتصوف وبعض ميولاته واتجاهاته الفكرية وعسى ان افتح نافذة أو بابا بهذه المحاولة البسيطة لدراسات في الغرض اعمق وأوفى.

ان من يتصفح ديوان الشيخ الحبيب المستاوي يستطيع ان يميز بسهولة اغراضا ثلاثة: هي الوطنيات والابتهالات وشعر المناسبات ولكنه يدرك أيضا ودون عناء اصطباغها جميعا بصبغة دينية ومسحة صوفية فيخيل إليه ان الشيخ- يدفعه الوازع الديني- قد وكلها لتبليغ رسالته في الحياة: مدحا وابتهالا ونصحا وارشادا وتذكيرا بافضال اللّه ومننه على عباده

فهل كان الشيخ زاهدا متصوفا من المتصوفين المتأخرين؟ ام كان ذلك الشاعر العربي المسلم الواعي بواجبه نحو شعبه وامته يحمل همومها ويالم لآلامها ومآسيها؟

ان اول ما يطالعك- وانت تاخذ ديوان الشيخ بين يديك- عنوانه «**مع اللّه** » فتندفع مطمئنا إلى الحكم بوجود علاقة وثيقة بينه وبين الفرقة الصوفية وتجول بخاطرك فرق شتى: كالمعية الالهية والمعية المحمدية التي يبدو انها ظهرت في مصر ثم انتشرت في العالم الإسلامي وحتى في بعض الدول الغربية ثم ما تكاد تمضي في قراءة قصائده –وقد تكفيك مطالعها أو بعض ابياتها- حتى يغمرك اريج من نفحات صوفية يضوع من مناسم معاجمها ومن انفاس اساليبها وتوهج معانيها فيتاكد لديك الظن

فتحسب الشيخ علما من اعلام الصوفية يتكلم على لسانها. ويظهر امامك السري السقطي والبسطامي وابن عربي وأبو الحسين النوري وغيرهم بل يخطر بذهنك بعض من آرائهم ونظرياتهم في المحبة والفناء وفي الحلول ووحدة الوجود وغيرها من الموضوعات- وانك لتستمع إلى الشيخ المستاوي يقول على الوافر من قصيدته (احمد المجتبى)

ليس مثل التوفيق في الأرض شيء ان تجلى معانقا للدوام
يرفع المؤمن الصدوق فيسمو عن فراغ ومتعة الاجسام
يربط الروح بالمعاني فتجري نحو غاياتها بكل انسجام
تدرك الخالق العظيم تعالى من خلال الاحياء والاعدام

فتدرك ما بين الشيخ المستاوي وبين هؤلاء المتصوفة من روابط وثيقة ابرزها واكده رابطة ارادة التطهر والصفاء الروحي لادراك الخالق. وانك لترى عجبا من التوافق- في سياق آخر- بين شيخنا والمتصوفة. فقد كان كلاهما ينشد التوق والانعتاق والمحبة (طريق الوصول إلى اللّه) عبر آلية الوصال ومعجم الغزل ففي قصيدة (من فيض رمضان) يقول الشيخ على الطويل:

ايا واصلا من بعد هجر مبرح ترفق بقلب ان نايت يذوب
ودعه بحق الحب يرشف خمرة من الوصل صرفا إنّه لحبيب

وفي أخرى بعنوان (الاسراء والمعراج) يقول على الكامل

والصب ذو الاشجان تذهله الرؤى فتهيم منه الروح والاشباح
بمهامه الغيب السحيق سوابحا نشوى وما عبثت بها الاقداح
والسكر يحلو بالجمال وطيفه فاذا انتشيت به فلهو الراح

ان ذاك الا نفحة علوية هتك السجوف شعاعها الوضاح

بينما ترى المحب: ابا الحسن سمنون يقول

وليس لي سواك حظ فكيفما شئت امتحني
ان كان يرجو سواك قلبي لا نلت سؤلي والتمني

وتقول رابعة العدوية:

احبك حبين: حب الهوى وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى فشغلني بذكرك عمن سواك
واما الذي انت أهل له فكشفك لي الحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

واما ابن عربي فيقول

ما لمجنون عامر في هواه غير شكوى البعاد والاغتراب
وانا ضده- فان حبيبي في خيالي فلم ازل في اقترابي
فحبيبي مني وفي وعندي فلماذا اقول ما بي وما بي

ولعل ما يؤكد هذه العلاقة فيقطع الشك باليقين ما يبدو واضحا في خطاب الشيخ للرسول صلى اللّه عليه وسلم فهو يغمره بحب لا نظير له يكاد ينتزعه من بشريته فهو المغيث وهو النور والفرقد وهو اشراقة الوجود ومنار الهدى وهو في هذا لا يكاد يختلف عن اعلام الصوفية مثل ابن عربي الذي يقول «ان الرسول صلى اللّه عليه وسلم هو قبة هذا الكون وان السماوات والارض وكل الكائنات خلقت من نوره وانه اول موجود وبه كان الوجود « وفي هذا السياق أيضا يقول احدهم:

ولذ به في كل ما ترتجي فانه المامن والمعقل
وناده ان أزمة انشبت اظفارها واستحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسال

في حين ينزل البوصيري الرسول منزلة ارقى تفوق منزلة الانبياء وجميع الخلق فيقول في الهمزية:

كيف ترقى رقيك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ويقول في قصيدة (البردة)

يـا اكـرم الخلـق مـا لي مـن الـوذ به — سـواك عند حدوث الحادث العمم
ولـن يضيـق رسـول اللهّ جاهك بي — اذا الكريـم تحلى باسـم منتقـم
فـان مـن جـودك الدنيـا وضرتهـا — ومـن علومـك علم اللـوح والقلم

وهذا شيخنا يقول على الخفيف من قصيدة له بعنوان (نداء)

دينـك السـمح سـلم للمعـالي — يـا رسـولا دعـا لـكل كمال
انـت اشراقـة الوجـود تبـدت — باتـزان وروعـة وجلال
لم تكـن قبلـك الحيـاة وربي — غير عسـف ومتعـة وضلال
وبانـوارك المشـعة اضحـت — منبـع الخير والهـدى والنـوال

ولعل ذلك يتضح اكثر في قوله على الوافر من قصيدته (هو سر الوجود)

بسمة الدهر بالسنى قد تجلت — والاماني ثمارها قد تدلت
انه النور من وليد جديد — ان اشعاعة الهدى قد اطلت
هو سر الوجود دون ادعاء — رحمة اللهّ فيه خصت وعمت

أو في قوله على الطويل من قصيدته (اليك شباب المسلمين)

تالـق في ليـل الـضلالات فرقـد — وارسـل بالقـرآن والنـور (احمـد)
ورددت الصحـراء ترتيـل آيـه — فهـام بهـا مـن كان للشـعر ينشـد
ومـن مكـة الفيحـاء شـع شـعاعه — فلا حلكـة الا واضحـت تبـدد
تفجـر نبـع الخير يطفـي اوامهـا — وماسـت به الاغصان كالغيد تنهد

وقد ياخذك العجب مرة أخرى من ذلك الشبه الشديد بين هؤلاء وبين شيخنا فيما يبديه كلاهما من ذهول وحيرة وشوق ولوعة – فهذا شيخنا في ذهول الحائر المشتاق يقول على الخفيف من قصيدته (من وحي الحرم)

حائـر- دلنـي لخير سـبيل — انـت- لا غير- يـا إلهـي دلـيلي
ايـن قلبـي واين شـوقي وروحي؟ — مـا لهـذا الذهـول ؟ ويـح ذهـولي
كيـف القـى الحبيب مـن بعد وجد — وغيـاب ولوعـة وعويـل؟

وذلك ابو الحسين النوري في حيرته يشكو وجده وشوقه قائلا :

إلى اللهّ اشكو طول شوقي وحيرتي ووجدي بما طالت علي مطالبه
فيا ليت شعري ما الذي فيه راحتي وما اخر الامر الذي انا طالبه

وانك لتزداد عجبا من التماهي الكبير بين شخصية شيخنا وبين المتصوفين في الوله والبكاء فقد كان الشيخ على رواية تلاميذه وبعض اقربائه واصدقائه بكاء سرعان ما تطفو عبراته كلما قرا أو قرئ عليه ما تيسر من القرآن الكريم أو استشهاد بسيرة النبي صلى اللّه عليه وسلم أو بسيرة اصحابه والتابعين أو تمثل موقف نبيل من الصالحين أو وقعت عينه على بائس لكعته الخصاصة واذله الفقر وخاصة من تلاميذه الذين كان كثيرا ما يقدم لهم يد المساعدة- لقد كان شيخنا مرهف الحس شديد التاثر باحوال الناس يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم وكان لا يستطيع حبس دموعه في المواقف الرهيبة وفي ذلك يقول على الخفيف عند دخوله الروضة النبوية الشريفة

جئت للروضة الشريفة ابكي طالبا خائفا بصيرا سميعا

ويقول أيضا في (حمى المصطفى) على الخفيف

وجئت والدمع يجري مني هتونا يغسل الروح من بقايا فساد

وكذلك كان سمنون المحب يبكي فيمسي وقد حفرت الدموع بخده رسوما فيقول:

امسي بخدي للدموع رسوم آسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحسن في المواطن كلها الا عليك فانه مذموم

وكذلك دعا ابن عربي إلى البكاء والتباكي متوسلا الوقفة لطلبه فيقول:

وقفا بي على الطلول قليلا نتباكى بل ابك مما دهاني
الهوى راشقي بغير سهام الهوى قاتلي بغير سنان

أما رابعة العدوبة فكانت تتساءل عن علة بكائها قائلة:

وزادي قليل ما اراه مبلغي ألزاد ابكي ام لطول مسافتي

وقد تميز المتصوفون في زمانها بكثرة البكاء فهذا صديقها رياح بن عمرو القيسي كان يبكي اذا دخل المسجد ويبكي اذا دخل بيته ويبكي اذا دخل الجبانة

واما أبو الحسين النوري فكان يقول

جوع وعري وحفا وماء وجه قد عفا

وليس للانفس ان تخبر حقا عما خفا
قد كنت ابكي طربا فصرت ابكي اسفا

وكما كان المتصوفون أمثال الجنيد والشبلي وغيرهما ينشدون الصمت والعزلة هروبا من الدنيا وزيفها كان شيخنا يأوي في كثير من الاحيان إلى الجبال (على رواية أقربائه وبعض أصدقائه) ينشد السكينة والصفاء عساه يظفر في خلوته وفي ابتعاده عن دنيا الناس بما يشف الغليل ويطفئ لظى حيرته أو يزيل بعضا مما تجرعه نغبا من شعبه الضعيف المتواكل المستكين الذي لم تحركه دعوات الإصلاح والذي اغتر بخطاب المتغربين من بني وطنه ودينه أولئك الذين اعتنقوا مذاهب أخرى والذين ما انفكوا يناهضون مبادئ الإسلام ويغمزون قيمه النبيلة- يقول الشيخ المستاوي متبرما من دهره وانقلاب قيمه متأففا من ناسه الضعفاء الأغبياء الذين يمدون ايديهم لغير اللّه : يقول على المتقارب من قصيدته (اعد مجده يا الهي جديدا)

فلا حول للعبد فيما يروم إذا اللطف منك- الهي- جفاه
وينكره كل خل ودود وقد كان امس القريب اخاه
يبدله رغم طول الوداد ويطلب خلا جديدا سواه
فاف لدهر وناس ضعاف وآه عليهم-بل- الف آه
وتعسا لعبد غبي سخيف لغير المهيمن مدت يداه

وقد يبلغ به الشعور بالمرارة وخيبة الأمل في شعبه وامته حدا تنقلب فيه الدعوة إلى التقريع وجلد الذات فيقول على الخفيف من قصيدته نداء

ايه يا أمة الخلود لماذا فاتك الركب؟ افصحي بالمقال
هل فتنا ببهرج وطلاء وانتشينا بفارغ الآمال
ونبذنا تراثنا بازدراء في عقوق وقحة وابتذال
اقفر القلب والعزائم خارت وأصيب الذكاء بالامحال
ثم لذنا بكل عذر سخيف شان أهل المراء أهل الجدال
ونسبنا لديننا كل نقص ورمينا دعاته بالخبال

اذن يمكن القول بان ظهور النزعة الصوفية في شعر شيخنا الحبيب المستاوي في جميع أحواله ومستوياته وفي تماهيه باهل التصوف بين ومتاكد لا يرقى إليه الشك

ولا نرى في ذلك غرابة اذا ما علمنا ان الشيخ ينحدر به النسب إلى حفيد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الحسن بن علي بن ابي طالب بحسب ما ورد في شجرة النسب التي يمتلكها بعض المهتمين بالانساب من اهالي منطقة (الرقبة- تطاوين) وان اسرته جذورها ضاربة في الاصالة والمحافظة متدينة ملتزمة بمبادئ العقيدة الإسلامية على سيرة الزهاد والمتصوفين اولياء اللّه الصالحين وغيرهم ممن يتردد ذكرهم وذكر سيرهم وكراماتهم في مجالس السمر وفي المناسبات الدينية خاصة – وانه نشا وترعرع في قرية بالجنوب الشرقي التونسي نمط حياتها وتقاليدها وعاداتها واحاديثها واخبارها وقصصها واحاجيها كلها مطبوعة بالموروث الديني لا تكاد تخرج عن الوعظ والارشاد والمدائح والاذكار واخبار الصالحين واصحاب الكرامات ولا شك ان هذه العوامل ستفعل فعلها في شعر شيخنا عبر قانون الوراثة فتؤثر فيه وتصبغه بصبغة صوفية في معجمه واساليبه وحتى مضامينه اضف إلى ذلك ما تهيأ له من أسباب قوت فيه هذا المنزع الصوفي وبلورته. فقد وجد إلى جانبه جده احمد يحفظه القرآن منذ صغر سنه ويلقنه بعض القواعد الاولى للفقه ثم يلتحق بجامع الزيتونة دارسا ومدرسا ثم مختلفا إلى الامامة خطيبا أو متنقلا بين المدن التونسية وبين الدول المغاربية والعربية أستاذا محاضرا ينشر العلم والمعرفة دون هوادة بقلب نابض يتقد حيوية ونشاطا ويفيض من الشعر رقيقا ينهل من رياض التصوف رحيقا مفعما بالحب والحياة وها هو يقول على الخفيف من قصيدته (احمد المجتبى).

أي شيء مثل الهداية يرجى؟ انها مطمح العباد الكرام
ما ألذ التوفيق بعد ضياع هل تساويه نشوة من مدام؟
نشوة الكأس بعدها ألف داء وهي أصل الخسران والأسقام
نشوة الحب بعدها صدمات من فراق أو جفوة أو ملام
نشوة الملك قد تصاب بعزل يجعل الأنف في أحط رغام
نشوة العترة المنيعة تمنى بانقطاع يجيء غب التئام
نشوة المال والبنين وجاه هل تنجي من علة أو حمام؟
نشوات بل كلها نزوات ترهات في عالم الأحلام

ذلك هو فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي كما يبدو من خلال ما جادت به قريحته من نفحات شعرية عطرة متدثرا برداء الصوفية يتنفس بأنفاسها ويلهج بلسانها ويمتطي معاجمها وأساليبها في التعبير عن أفكاره واتجاهاته ولكنك ما تكاد تتملى في هذه

النفحات وما فيها من عبر ونظر حتى يستوي امامك السبيل وينكشف الغطاء وينقشع الضباب عن ظن اثم فتتجلى الحقيقة ويخرج عن عباءة الصوفية عالما من علماء الدين وزعيما من زعماء الإصلاح بل وشاعرا من شعراء هذا العصر واعيا بما آل إليه واقع وطنه وحال امته من تخلف وجهل وذل وصغار- شاعرا تعتلج بداخله نوازع وتطلعات ظلت كامنة في اعماق نفسه الظمآى إلى الحرية والانعتاق.

وفي الواقع لم يكن الشيخ ظاهرة غريبة بل كان شانه كشان كل شاعر عربي مسلم غيور متعطش إلى رؤية وطنه وامته يرفعان راية الإسلام عالية مرفرفة في اسماء شامخة شموخ الشمس.. لقد كان امتدادا لشعراء النهضة امثال الرصافي وشوقي وحافظ ابراهيم والشابي وغيرهم بل كان واحدا منهم مؤمنا بقضايا وطنه وامته ملتزما بها كل الالتزام لا تثنيه عوائق ولا بوائق يفضح مكائد المحتل وأطماعه ويندد بممارساته القمعية وافاعيله الوحشية ويحث شعبه وأمته ويدفعها إلى النهوض والخروج من الجهل والتخلف ويدعوهم إلى التمسك بالعروة الوثقى: بالشريعة الحنيفية آخذين بأحكامها وقيمها يذبون عنها ويتصدون لمناهضيها جادين في مواجهة قضاياهم المصيرية بالصبر والمجاهدة

الا ان المتأمل في مضامين ديوان «مع اللّه » يرى بوضوح تركيز الشيخ المستاوي على الجانب الدعوي ففي نظره ان معضلة الامة تتمثل في انحلالها واخلالها بمبادئ دينها الحنيف وفي انصراف اهلها وانسياقهم للترهات والاراجيف وما يدسه اعداء الإسلام من سموم ومكائد عدو كان جاثما على الامة العربية والإسلامية من جهل وتخلف وغفلة ولهذا وذاك كان الشيخ يصعدها زفرات مضمخة بالحرقة والالم يذكر أهل الإسلام مرة بفضل دينهم ومبادئه عليهم فيقول على الطويل من قصيدته (اللّه اكبر):

الا يا وفود المسلمين تاملوا حقائق دين اوشكت تتغور
بها وحدها فزنا على كل امة بها وحدها نزر من الجيش ينصر

ومرة أخرى يقسو عليهم فيقرعهم ويجلد ذواتهم فيقول على الرمل من قصيدة لهيب العزم:

مزقي صهيون اشلاء العرب وافعلي ما شئت فالقوم خشب
مزقيهم دنسي اقداسهم احرقيهم بلظى ذات لهب
فهم اليوم غثاء دابهم زخرف القول وتنميق الخطب

اذ اراهم والردى يجتاحهم عبدوا اللّهو وهاموا بالطرب
همهم والخطب ينكى جرحهم والغد الاسود منهم يقترب
شهوات البطن والفرج وما يقتل الدين ويزري بالحسب

ويمكن القول أيضا بان قصائد الشيخ في هذا الديوان كلها أو اغلبها تكاد تكون تعبيرة شعرية عما ورد في الكتاب والسنة من عبر ومواعظ ووعد ووعيد واخبار وأقاصيص أو قل في خطب الجمعة في بنائها ومواضيعها يلقيها الشيخ على المصلين يبدأها بالمقدمة تضرعا وابتهالا فيطرح القضية ويحللها ثم يختمها بالدعاء كما هو الحال في قصيدة (من وحي الحرم) يبدأها بقوله:

حائـز دلنـي لخير سـبيل انـت لا غير يـا الهـي دلـيلي

ثم بعد حديثه عن الحرم ومحتوياته وذكره لافضاله وبعد تضرعه لله يختم القصيدة بالدعاء فيقول:

رب ثبـت على الطريـق خطانـا واجعـل العـزم مثل سـيف صقيل
وتفضـل بحمـل ازكـى صلاة لرسـول الختـام والتكميـل

ثم ان القول في النهاية يخلص بنا إلى ان ما جاء في ديوان الشيخ من دعوة إلى التوبة والزهد والعمل الصالح انما هو من صلب الإسلام ومبادئه وليس خاصا بالزهاد والمتصوفين فالرسول صلى اللّه عليه وسلم كان على درجة كبيرة من الزهد والتصوف في مفهومهما الحقيقي الذي لا يخرج عن الاحسان: احد الاركان الثلاثة للدين الإسلامي (الإسلام- الايمان- الاحسان) وهو ما عرف عن النبي وصحابته والتابعين والمجتهدين من بعدهم- وما كان شيخنا الحبيب المستاوي زاهدا ومتصوفا على سيرة اولئك المتصوفين الذين ادخلوا فنونا أخرى من البدع والانحرافات كلبس الصوف الخشن وغيره وانما كان مقتديا بسيرة رسوله الاكرم واصحابه يدعو إلى العمل الصالح والى ما فيه خير وصلاح شعبه وامته بل كان على درجة كبيرة من الايمان والوعي بما تستوجبه علاقته بربه وبرسوله وما تقتضيه المسؤولية تجاه وطنه وامته يسال اللّه لها الهداية والنهوض من سباتها والعودة إلى ما كانت عليه من تقدم وازدهار وريادة

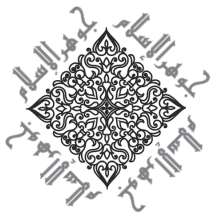

قراءة في مسيرة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله (جانفي 1923 ـ سبتمبر 1975)

بقلم الأستاذ الضاوي موسى

1) حياته:

أـ مولده ونشاته وتعلمه:

هو **الحبيب بن محمد بن احمد المستاوي** ولد بالرقبة في 9 جانفي 1923م (1342هـ) شب مغرما بالعلم فحفظ القرآن الكريم على يدي جده أحمد المستاوي ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1935 وتخرج منه حاملا لشهادة العالمية «شعبة الآداب».

ب - عمله:

باشر **الشيخ المستاوي** العمل كأستاذ بالفرع الزيتوني بمدنين ثم نقل إلى فرع قفصة نتيجة قيامه بنشاط وطني ثم ارجع إلى فرع الزيتونة بتطاوين. وفي سنة 1961 اختير ضمن وفد من الاساتذة للتدريس بالقطر الليبي الشقيق وهناك اشتغل بالتدريس في معهد احمد باشا الديني كما كان يلقي دروسا في الارشاد بمساجد مدينة طرابلس وكانت له حصص دينية بالاذاعة الليبية.

وفي سنة 1962 انتدب الشيخ المستاوي للتدريس بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس وظل من اساتذة الكلية طيلة عشر سنوات إلى ان وقع نقله بداية من اكتوبر 1973 إلى المعهد الثانوي بقفصة للتدريس هناك. وقد تولى التدريس أيضا خلال اقامته بالعاصمة بالاكاديمية العسكرية وذلك من 1966 إلى 1973م واحيل الشيخ المستاوي على التقاعد بداية من غرة جويلية 1975 وعمره آنذاك يقارب الاثنتين وخمسين سنة.

ج ـ وفاته:

توفي الشيخ المستاوي في 12 رمضان 1395هـ الموافق 18 سبتمبر 1975 وقد قيلت عند وفاته الكثير من القصائد منها قصيد الأستاذ **البشير العريبي** الذي يقول في مطلعه

زغـردت عنـد قبـره فحسبنـا أن فـي قبـره عروسـا تـزف
وأشـرأبـت أعـنـاقنـا فعلمنـا أن أم الحبيـب جـاءت تـدف
وأكـبت وقبـلتـه وفـي العيـ ـنين شـح ورب عيـن تجـف

ومنها ابيات جادت بها قريحة شاعر الرقبة «**علي الجليدي**» وهو تلميذ شيخنا المرحوم يقول فيها:

ليـت المنايـا يستـرد جماحهـا فنـرد عنـك المـوت بـالأرواح
يـا شـمعة ذابـت تضـئ ظلامنـا بـل أنـت كالمشـكاة كالمصبـاح
قـد عشـت أيامـا تعـد قليلـة فـي عدنـا وكثيـرة الأربـاح
قـد عشـت صداحا لسـان حقيقة قـد كنـت للإسلام خيـر سلاح

إلى جانب عدة مقالات صدرت بالعدد الاول من السنة الثامنة لمجلة «**جوهر الإسلام**» شارك فيها كل من السادة: **محمد الهادي بالحاج ومحمد الشادلي النيفر والدكتور التهامي نقرة والدكتور صلاح الدين كشريد والأستاذ البشير العريبي من تونس والأستاذ التجاني زغوده (الجزائر) وانوز الجندي (مصر) ومحمد مسعود جبران (ليبيا) ومحمد ابراهيم بخات (المغرب)**..

د ـ انشطته:

ولم يكن نشاط الشيخ الحبيب المستاوي مقصورا على التدريس بل انه مارس العديد من الانشطة في مختلف الميادين فمنذ 1962 كانت للشيخ حصص اسبوعية بالاذاعة التونسية (حديث الصباح وحصة في تفسير القرآن الكريم) وقد باشر الشيخ امامة جامع مقرين منذ سنة 1964 إلى تاريخ وفاته. واصدر الشيخ سنة 1968 مجلة «**جوهر الإسلام**» وتولى بنفسه ادارتها ورئاسة تحريرها. ولم تتوقف المجلة عن الصدور إلى اليوم فقد تولى الاشراف عليها من بعد الشيخ ابنه الأستاذ صلاح الدين محافظة على الرسالة التي آلى الشيخ على نفسه تبليغها خدمة للإسلام والمسلمين. كما كانت للشيخ انشطة أخرى منها محاضراته التي كان يلقيها سواء خارج الجمهورية

بالاقطار العربية الشقيقة أو داخل مساجد الجمهورية وعل منابر اللجان الثقافية بمعظم ولايات الجمهورية خاصة خلال شهر رمضان المعظم.

وتولى الشيخ بداية من 1970 الامانة العامة لجمعية المحافظة على القرآن الكريم وشارك الشيخ **المستاوي** في مؤتمر الحزب الذي انعقد بالمنستير عام 1971 وانتخب عضوا باللجنة المركزية ومارس بمقرين مسؤولية رئاسة شعبتها لفترة طويلة ومما يذكر له أيضا مساهماته في المؤتمرات الإسلامية الدولية مثل **المؤتمر الاول للدعوة الإسلامية** الذي انعقد بطرابلس سنة 1970. **ومؤتمر الشباب الإسلامي العالمي** سنة 1973 بنفس المكان. وفي نفس السنة شارك في **الملتقى السابع للفكر الإسلامي بالجزائر** وفي سنة 74 وشارك في **مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية بمكة المكرمة** وشارك في **الملتقى التاسع للفكر الإسلامي سنة 1975 بالجزائر**.

2 ـ آثاره:

اصدر **الشيخ المستاوي** سبع مجلدات من مجلة «**جوهر الإسلام**» احتوى كل عدد منها بقلمه على افتتاحية وموضوع في التفسير وقصيدة شعرية. إلى جانب احاديثه بالاذاعة وخطبه ودروسه في المساجد.

وينحصر انتاج الشيخ **المستاوي** فيما يلي:

* **التفسير**: تناول الشيخ بالتفسير عدة آيات من القرآن الكريم وكان يفسر هذه الآيات كلما راى ان الحاجة تدعو إلى ذلك. فكان يغتنم الفرص والمناسبات حتى يذكر بمعاني القرآن الكريم يتحسس مواطن الداء في المجتمع ويبحث عن الدواء الشافي من كتاب اللّه وسنة رسوله الكريم. وكان يعمد في تفسيره غالبا إلى تفسير الآية بالآية والآية بالحديث... ولا يكترث بالتفسير اللفظي الضيق.

** **المقالات**: وهذه المقالات ترد في افتتاحية كل عدد من مجلته المذكورة طيلة سبع سنوات ضمنها الشيخ اراءه الدينية والاجتماعية في عصره. وقد توخى فيها نفس ما توخاه في التفسير من معالجة لمشاكل عصره.

*** **شعره**: نستطيع ان نقسم شعر المستاوي إلى ثلاثة اقسام-الوطنيات-الابتهالات الدينية-شعر المناسبات- ويغلب على هذه الاغراض جميعها المسحة الدينية التصوفية ولا تخلو كلها من معالجة للاوضاع الإسلامية والاجتماعية... ويبدو ان الشيخ يعاني من هذه المشاكل إلى حد «تبرمه» بالناس والمجتمع حين يقول:

إلى اللّه أشكو بقلب جريح ... و جسم تهدمه النائبات
وطرف كسير كليل جريح ... و روح تعذبها المنكرات
وقد طال ليلي بلا مؤنس ... فكن يا إلهي أنيس الحياة
وفرج هموما تطاردني ... و فتح أمامي سبيل النجاة

فهو يشكو إلى اللّه قساوة قومه ويشكو رجال الصحافة ورجال العمائم ورجال السياسة وغيرهم... يشكو إلى اللّه ضعفه ويستجير به ويطلب عونه فيقول في قصيدة أخرى

أيا من علا فوق كل الظنون ... ولما يصل كنهه الإكتناه
ويا واحدا في الجلال المحيط ... جميلك ربي فسيح مداه
وما الناس عنك سوى عالة ... وكل ضعيف فأنت عصاه
دعوتك عند اشتداد الكروب ... وخفق القلوب وخفض الجباه
لتنقذني من دواهي الخطوب ... وتنصرني في عراك الحياه
فقد ساورتني هموم جسام ... وأصبحت منها ضعيف الأناه
وغاب الحجي والحبيب المغيث ... وهيهات ينجى غريقا حجاه

ولعل الضيق الذي يشعر به الشيخ لم يكن ليسيطر عليه طول حياته ولم يمنعه من معالجة مشاكل أخرى عديدة منها في قوله:

يقولون إفكا إن دين محمّد ... به أمة الإسلام قد تتأخّر
فهل زهد الإسلام في العلم مرّة ؟ ... ودعوته للعلم في الكون تؤثر
ولو بات شعب المسلمين مطبقا ... لما في كتاب اللّه يطوى وينشر
لما ظلّ مهزوما قرونا عديدة ... ولا كان يوما للوراء يتقهقر

غير ان ايمان الشيخ بزوال الدنيا ونعيمها يجعله دوما غارقا في هذا البحر الروحاني، فيقول:

الا ان عيش المرء ومضة بارق ... فويل لمفتون يتيه ويخدع
وطوبى لعبد عاش جل حياته ... مع اللّه : بل لله: وهو التمتع
سينسى تفاهات الحياة وسخفها ... ويمقت ما فيها يد المكر تصنع

ولا يمكن لنا في هذه العجالة الاحاطة بانتاج **الشيخ المستاوي** شعرا كان أو نثرا فآثار الشيخ الكثيرة وحياته ونضاله في سبيل اعلاء كلمة اللّه تمثل جميعها مادة دسمة لدواوين وكتب ومؤلفات عميقة مطنبة لذوي الاختصاص والراسخين في العلم.

خواطر الشيخ الحبيب النفطي

نشأ الشيخ **المستاوي** نشأة عادية لا تكاد تميزه عن غيره. وكانت اسرته تتردد بين البادية والقرية وقد تلقى القرآن على يدي جده **احمد المستاوي** وكان جده يحبه كثيرا ويعطف عليه. وهو شيخ طاعن في السن نصف مقعد يجلس في ظل النخيل لتعليم الصبية القرآن الكريم وكان جده نتيجة عجزه البدني في حاجة اكيده إلى من يساعده. وكان اخوة المرحوم لا يتحملون طلبات جدهم. اما هو فانه على عكسهم يمد له يد المساعدة وتكونت من هناك علاقة المحبة التي كانت تربط شيخنا بجده ومؤدبه.

وقد حفظ الشيخ **المستاوي** القرآن كله اذ تلقاه عن جده وعن غير جده امثال الشيخ **التهامي بالحاج عمر والشيخ التهامي بن البشير** وغيرهم.

كان ابوه ذا عائلة كبيرة يعمل عملا متواضعا يتردد على ليبيا والشمال التونسي طلبا للرزق وقد تحمل الشيخ **المستاوي** اعباء العائلة مبكرا وانقطع عن الدراسة فكان تاجرا. فضرب في ميدان التجارة بسهم لا باس به وكان شغوفا بتربية الحيوان وكانت له دراية بخصائص التربية اكثر من سكان البادية العريقين في البداوة.

وكان ماهرا في الصيد. عارفا باشغال الفلاح أثناء المواسم الفلاحية وكان ينشئ حداء ليترنم به مرافقوه من المسافرين وأصحاب القوافل.

– كان سريع الحكم الا انه كان متواضعا ان ظهر له الحق عاد اليه.

– كانت اشعاره الوطنية سببا في نقله إلى قفصة بعد ان كان يمارس التدريس بمدنين ذلك انه كان يمدح زعماء تونس وغير تونس من العرب فكان بذلك عرضة لمكر العدو الاستعماري ومضايقاته ووطن الشيخ المستاوي ليس تونس فحسب بل كانت البلاد العربية والإسلامية كلها وطنا له.

-منـــــــاجاة-
إلى روح الشيخ الحبيب المستاوي

بقلم الأستاذ محمد جنيفان

بسم اللّه الرحمان الرحيم

شيخنا الحبيب اسما في الأسماع، وصفة في الانفس، أحببت أن أناجي روحك التي صعدت إلى ربها، والتي بها نستحضرك، فلا نتحدث عنك بضمير الغائب.

شيخي الحبيب،

ما زالت حية، في نفسي، تلك العشيّة الخريفية التي حللت فيها بمدنين، لتدرّس طلبة الفرع الزيتوني حديث النشأة، ونزلت، صحبة زميلك الوقور الشيخ عمر الواعر، مقابل غرفة من غرف قصر مدنين كنت اسكنها.

أتذكر لما جئنا، إليكما، أنا وزميلي الجيلاني الفرجاني،رحمه اللّه، على استحياء ورهبة،مسلمين ومرحبين...

أتذكر أننا رغبنا، منكما، أن تتكرما، فتقبلا أن نعدّ لكما وجبة العشاء التي تعودنا، من عوائد أهلنا، أن يعدها المقيم للجار، في أول ليلة ينزل فيها بالدوار أو بمضارب الخيام؟

أمّا أنا فمازالت تلك الجرأة تخجلني، وأنا ابن الخامسة عشر، من عمري، وما زلت أذكر بإعجاب، كيف كان تخلصك اللطيف واعتذارك الأبوي عن العرض الطفولي ...

ما زلت أذكر يا شيخي الحبيب أنك استنسبتنا، وسألتنا عن دراستنا، وعن شيوخنا. وقلت لنا نحن وأهلكم في (بنقرد ان) ابناء عمومة...

لم يطل جوارك، ولكننا كنا نراك، ونسمعك، ونسمع عنك، في رحاب جامع سيدي (علي بن عبيد)، حيث تتولى أنت، وثلة من شيوخنا الكرام، تعليمنا وتربيتنا.

لقد ملأت الأبصار والأسماع، في أوساط الطلبة، بنصائحك، وبلاغتك، وألمعية رؤاك، وبتواضعك الجم...

ولعلك ما زلت تذكر يوم دعوتني، وثلة من زملائي، وكلفتنا بحفظ أدوار في مسرحية ألفتها، وسهرت على إخراجها، وجندت لها رجالا، من البلدة، ذوي مكانة معنوية، ساعدوا على نجاح العرض، وجمعوا، بالمناسبة، مالا أصبحت لنا به مكتبة ثرية، حرصت،بوعيك الطلائعي للإصلاح التربوي والفكري، على انشائها،واختيار كتبها،لنكرع منها، في أوقات الفراغ من الدروس بالجامع...

شيخي الحبيب،

تذكر أني كنت أقول لك، كلما التقينا، بعد نهاية تعلمي، إني من تلاميذك، رغم أني لم يسعدني الحظ بأن يكون اسمي مرسما في الطرق التي كنت تدرس طلبتها... وإنما كنت أغتنم كل فرصة تسمح لي بأن أستمع، متطفلا، بعض دروسك، لإحساسي بجاذبية وإعجاب تجاه ما تقدم فيها.

أتذكر أننا كنا،حين نلتقي، نتحدث عن شؤون أهلنا، في ولاية مدنين... فكنت تنصحني... وتسألني، وتنبهني، وكأنك مشفق علي، ،وأحس أن بيننا ودّا بريئا، ورابطة لا أعرف سرها.

أتذكر لما التقينا، في مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري، سنة 1971 بالمنستير، مترشحين لعضوية اللجنة المركزية؟

لمحت لي، بذكائك ومهارتك، إلى دقة المرحلة، واحتدام الصراع، وبعض خفاياه... واتفقنا على التعاون... وعدتك، صادقا، بأن أدعو نواب لجنة التنسيق الحزبي بمدنين للتصويت لك، رغم بعض نواب من منافسيّ ومنافسيك...

وتبادلنا التهاني بالنجاح، ولم يزعجني، أبدا، أنك كنت، في مرتبة نجاحك، متقدما عليّ، وعجبت لفوزك بعدد كبير من أصوات المؤتمرين... وتأكدت، بعد الصدى البعيد لمداخلتك التي بهرت بها المؤتمرين، من قدرتك الفائقة على التأثير في من يستمع إلى خطاباتك...

تعرف، جيدا، أنا كنا، في ذلك المؤتمر، نعد حزبنا وبلادنا للعبور إلى مرحلة سياسية جديدة، ولكنا كنا حالمين... وعرفنا،بعد تطورات عشناها، أن جسر العبور المؤمل مسدود...

شيخي الحبيب.

.. سأبوح لك، اليوم، بما كان في نفسي عن مسيرتك، منذ وعيت مقومات شخصيتك الكبيرة .

لقد كنت أشعر أنك ترنو إلى بعيد... وأنك تطمح للنهوض بدور كبير، فتبحث حولك عن مقوماته، وعن رجاله، فلا تجد ما يريحك ويطمئنك، فتثور نفسك وينفعل كيانك... وتلتفت إلى ما يجري حولك، فتلمس الخبث، والمكر، ووضاعة بعض الأنفس، فتثور... ولكنك تقدر أهمية الدور... فتمسك عن الانفعال... وتلجأ إلى اللّه تدعوه، وإلى الرسول تتوسل به وإليه.. ونراك،فنحس معاناتك، فلا تفصح، ولكنك ترنو، إلى أفق بعيد، تستشرف، وتنتظر، وتجأر وتدعو... وتمثل دور صالح في ثمود... وظني أنك كنت تشعر بضيق المادة أمام فيض الروح.

هذه أحاسيس أحد تلاميذك ومحبيك... هل هي صائبة ؟ لا أطالب جوابا... ولكني أظن أن اللّه استجاب لك... فأراحك من دنيا تسود فيها النسبية التي تقلق النفوس الكبيرة مثل ما هي نفسك... فحرّرك، ذات يوم من شهر سبتمبر سنة 1975، من قيود المادة النسبية، لتصعد روحك إلى مجال المطلق، الذي لعلك أردته في ابتهالاتك ودعواتك وصلواتك... فصعدت إلى مجال رحب وتركتنا، بعدك، في ضيق نخفف من وقعه علينا بذكراك.

لقد غبت عنا ذاتا، ولكنك ظللت بيننا معنى وفكرا وروحا... وأثرا نبيلا ملهما،ولن ينقطع عملك بيننا بحول اللّه، لان صدقاتك الجارية قائمة، وأنت لا تسمح، تعففا، بأن نتحدث عنها، والعلم النافع الذي بثثته في الصدور لا زال حيّا، وسيظل...

والابن الصالح الذي يدعو لك ليس، فقط، ابنك البار (صلاح الدين) وإخوته، ولكنه في كثيرين منا، اعتبرتنا أبناءك الروحيين، واعتبرناك، بهذا المعنى، أبا لنا. ندعو اللّه أن يجعلك مع أولئك الذين قال عنهم في كتابه الكريم :

﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ .

وسلام عليك ورحمة / ابنك محمد جنيفان

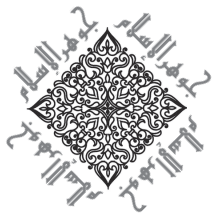

الشيخ الحبيب المستاوي : خبير بروح الإسلام ومقاصده

بقلم الأستاذ مصطفى عطية

عندما قرأت ديوان العلامة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه الحامل لعنوان «مع اللّه » مرّة ومرّات وجدت نفسي وقد أبحرت في عالم الإيمان العميق حيث «المخافة» و«المحبّة» و«المعرفة»، وهي تلك القيم التي تُثبّت صدق المسعى وتقود إلى «الإيمان الخالص» الذي يتصدّى إلى كل أشكال النفاق والظلم

«هـذا إيمان المؤمـنين وحصْنُهـم هـذا البنـاء وغيره التخريـب»

إنها الرغبة الجامحة في بلوغ «المعرفة والحقيقة» والوصول إلى «الطمأنينة»

هي التي دفعت العلامة الشيخ الحبيب المستاوي إلى التجلي في رحاب اللّه . «مع اللّه » هذا العنوان المبهر، هو استجابة لقوله تعالى في الآية الخمسين من سورة الذاريات ﴿فَفِرُّوا إلى اللّه﴾.

يقول شيخنا في إحدى قصائده المعبّرة

قـد تنبّهتُ من سُـباتٍ عميـــــق وحَمـدْتُ الالـه ذي الانعـام
إذ رأيـت الضيـاء يشرق حـولي مـن سـنى مرسـل لـكل الأنـام

ثم ينطلق في البحث عن تجليات اللّه تعالى وعن ظهوره وانكشافه بإبراز أسمائه وصفاته اهتداء بالآية الكريمة من سورة البقرة : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يقول الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه .

بأسْمَائِـكَ الحُسـنى أصـوغُ وأنثُـرُ ولا عـونَ لي إلاّكَ يامتـكبّرُ

فالعمل الصالح من العبد والإمداد النوراني من اللّه، والعارفون لا يعرفون اللّه إلاّ بمعرفة المحسوسات والمعقولات، وهذا هو الأصل في معرفة اللّه تعالى المعرفة الصحيحة. يقول الشيخ الحبيب المستاوي مؤكّدا ذلك في ديوانه

«هـذا إيمانُ المؤمـنين وحصنُهـم هـذا البنـاءُ وغيرُه التخريـبُ»

ويضيف :

«الحمـد لله ذي الإمدادِ والمـــــددِ الحمـد لله فـوق الحصر والعـددِ

يوجد في شعر العلامة الشيخ علاقة قوية وعميقة بين الإيمان وبين القيم الأزلية الثابتة لارتباط هذه القيم بالخير والحق والجمال، ويتجلى ذلك بالخصوص في مدحه للنبي محمّد صلى اللّه عليه وسلم بمحبّة تفوق الوصف.

أنت إشراقـــةُ الوجـــودِ تبـــدَّت باتـزانٍ وروعـةٍ وجلال
أنـت في الخُلـدِ والفراديـس معنـى مـن معـاني التنعيـم والإفضـال

ثم يعود إلى شغفه بالحقيقة ليجدها وقد تجسمت في سيّد الأنام سيدنا محمّد صلى اللّه عليه وسلم.

لـــم تكـــن قبلَـــك الحقيقـــة إلا ترّهـات وأضربـا مـن خيـال

إنها ذروة المحبّة محبّة رسول اللّه ﷺ، التي تحمله إلى أعلى مراتب البَوْح الصادق:

«هـو سرّ الوجـود دون ادّعـــاء رحمـة اللّهّ فيـه خصّـت وعمّـت»

ويضيف كاشفا :

يَشـهد الخَلـقُ والملائِـكُ أنِّـــي مُـذْ دَخلـتُ الحيـاة كنـتُ تَبيعًـا
لنبـيٍّ أتَـى بديـــنٍ حنيـــفٍ لم يـزلْ شـامخًا قويّـا وسـيعا

لقد بدا العلامة الشيخ الحبيب المستاوي في أغلب قصائده وكأنه انقطع إلى اللّه تعالى من البشر، ويسعى إلى الأخذ بالحقائق بعد يأسه مما في أيدي الخلائق.

وهي صفات التصوّف. وإن كنا لا نجزم بأن شيخنا العلامة كان متصوّفا، وإن أخذ عن التصوّف «حفظ شرائع الدّين وحسن الخُلـُق مع الخلق أجمعين وسلب الارادة إلاّ لله ربّ العالمين» حسب تعريف الشيخ العربي ابن أحمد الدّرقاوي.

يقول الشيخ المستاوي في ديوانه «مع اللّه »

«وكُـن لي معينًـا أيـا خالِقـي فـإني على العهـد دومًـا مُقيـمُ

في جانب آخر مثير من هذا الديوان حوّل الشيخ العلامة الراحل الحبيب المستاوي الدّعاء إلى ما يشبه العبادة اقتداء بقوله تعالى في سورة يونس ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني لا تعبد من دون اللّه، وقال سبحانه وتعالى في الفرقان ﴿لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي لو لا عبادتكم يدعو شاعرنا اللّه قائلا :

يـا منْ إذَا مـا الخَطْبُ عَسْـعَسَ ليلُهُ ودعـاكَ مَكلُـومُ الفـؤاد كئيـبُ
لَبَّيْتَ مَنْ نادَاكَ يهتِفُ صارخًـــا يـا ذَا الجَلالَِ : فأنـتَ أنـتَ مُجيـبُ

في مكان آخر من الديوان نجده ينشد الرحمة، بمعنى الإيمان، وهو الذي سعى طول حياته إلى تعميق إيمانه، اهتداء بقوله تعالى في سورة هود وقول نوح ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ يعني إيمانا من عنده.

يواصلُ شاعرنا رحمه اللّه تجلياته ويقول :

«أنـتَ المجيبُ إذَا المُضَطـرُّ أحْرَجَهُ خَطْبٌ جسـيم يَهُدُّ البـأسَ والجلدَا

ثم يضيف :

اللُّطفُ منكَ ومنكَ العفْـــوُ تُنْزِلُـهُ عَندَ الشـدَائِد يُشـفى القلْب والجَسدَا

وبقلب يغمره الإيمان يتساءل الشاعر المكلوم عن مصير أمّته وقد حادث عن السراط المستقيم، فاستباح الغاصبون أرضها ودنسوا مقدّساتها

«أمـة الإسلام هـل يُوقظهـا مشـهد الأقصى ونـار تلتهـبُ»
«أمّـة القـرآن هـل يؤلمهـــا مسـجد الصخـرة وهـو المكتئـبُ»

ويضيف في قصيدة أخرى قائلا :

«ولـو طبّقوا الإسلامَ وفْقَ نصُوصه لأوفَى لهـم ربُّ البَرِيّـةِ بالوَعْـد

ثم يُلخِّص مأساة الأمّة بقوله :

أقْفَـرَ القلـبُ والعزائِـمُ خـارَتْ وأُصيـبَ الـذكَاءُ بالامحـال
ونَسَـبْنَا لدِينِنَـــا كُـــلَّ نقـــص وَرَمَيْنَـا دُعاتَـهُ بالخَبَـالِ

إنه يرى أن لاخلاص للأمّة إلا في رحاب قوّة الإسلام كما كان عليه الحال في الصدر الأول الذي مازالت آثاره معجزة تحيّر الدارسين من كل حدب وصوب وفي

جميع العصور. إن جولة في قصائد هذا الديوان، المحمّل بروح فائرة بالإيمان، غامرة بالمحبّة، محبة للّه تعالى ورسوله الكريم صلى اللّه عليه وسلم تؤكد ان الشعر الحقيقي ليس لغوا تهذي به القرائح وإنما هو كما قال العقاد «حقيقة الحقائق والجوهر السليم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول وهو ترجمان النفس والناقل الأمين على لسانها. انه ضرب من ضروب الإلهام.

هذا الديوان «مع اللّه» فتح أمامنا أبواب اكتشاف طراز خبير بروح الإسلام ومقاصده، عارف بأسرار الإيمان، مطلع على خبايا الواقع، واسع الفقه عقيدة وشريعة، موغل أيّما إيغال في محبة اللّه ورسوله، متمكّن من لغة القرآن، وكشّاف ماهر لدررها إن أيّ إبْحار عبر هذه القصائد تحفّ به صعوبات عديدة إن لم نقل مخاطر إذ أن كل بيت شعري يحمل بين طيّاته مخزونا هائلا من المعارف والمرجعيات والدلالات، وكثيرا من الإيحاء القرآني مما يفرض على الدارس والباحث المزيد من الحذر واليقظة ولكن هذا لا يحول دون المتعة والاستفادة والتأمّل، فأغلب القصائد وبعضها وصفها صاحبها بالتأمّلات هي دعوات للتأمّل في عظمة اللّه سبحانه وتعالى وفي قدرته وصنع خلقه، وفي الدّرجة الرفيعة لنبيّه الكريم سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم، وفي ذاك الفيض المبهر من المحبّة، وذاك الشغف الكبير بالحقيقة، حقيقة اللّه سبحانه وتعالى وحقيقة محمد عليه الصلاة والسلام، وحقيقة رسالة الإسلام، وحقيقة الكون.

كان الشاعر في جميع قصائده بعيد النظر عن النفس وعن الدنيا قال تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ (سورة القصص آية 83) قال ابن عطاء العلو هو النظر إلى النفس والفساد النظر إلى الدنيا.

رحم اللّه العلامة الشيخ الحبيب المستاوي ونفعنا بعلمه، فلم يكن ينظر إلى نفسه ولا إلى الدنيا.

أجدد شكري الجزيل لمؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات العلمية والتكوين وعلى رأسها الصديق الفاضل الأستاذ الشيخ صلاح الدين المستاوي الذي وفّر لنا هذه الفرصة الكريمة للمساهمة في هذه الندوة إحياء لذكرى عالمين من علماء الإسلام الصالحين (الإمام البوصيري والشيخ المستاوي رحمهما الله).

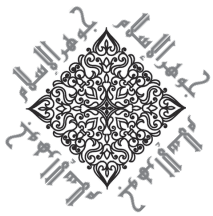

الحبيب المستاوي المثقف والمربي والملتزم والمصلّح

بقلم: الأستاذ حسين المزوغي

من الأعلام التونسيين الذين برزوا خلال أواسط هذا القرن العشرين خصوصا بعد الاستقلال إبان بناء الدولة الوطنية وتركيز دعائم الخطاب الثقافي وكان له دور فعال في مقاومة الاستعمار وتحقيق الحرية وتطوير المجتمع التونسي بشكل جعله ينخرط في ركب الحداثة ويساهم فيه... من هؤلاء الرواد الوطنيين الذين كانت لهم أياد بيضاء في هذا الاتجاه نجد الأستاذ الشيخ **الحبيب المستاوي** الذي أبلى البلاء الحسن إلى جانب ثلة من المثقفين التونسيين من أجل ترسيخ القيم الجديدة وتأصيل مسيرة الاستنارة والتفتح دون الخروج عن روح الثقافة العربية الممتازة بنبوغ علمائها ومفكريها والمتميزة بآثارها وريادتها التاريخية. لقد كان الرجل من بين الوطنيين الذين حملوا المشعل بعد سنة 1956 عن قادة حركة التجديد -الذين قضوا نحبهم في النضال- وواصلوا الطريق الذي نحت أولئك الرواد معالمه لتونس... فلم يدخر الرجل جهدا في هذا المضمار وأبان عن قدرات عالية وكفاءة ذات شان وأخلاق جعلته قبسا دائم التوهج بل شعلة لا تنطفئ رغم الصعاب وطبيعة المرحلة الجديدة التي تختلف شكلا ومضمونا عن مرحلة الاستعمار... مما استوجب من النخبة مزيدا من الصبر والأناة والبذل والعطاء... وذلك ما تجلى فعلا مع صاحبنا إلى أن توفي سنة 1975 وهو يكافح من أجل غد أفضل لبلاده ووطنه... فمن هو صاحبنا؟ وفيما تمثلت ثقافته؟ ذلك ما ارتأينا التعرض إليه .

نبذة مختصرة عن حياته

ولد الشيخ **الحبيب المستاوي** بجهة «الرقبة» من ولاية تطاوين بالجنوب التونسي في 9 جانفي 1923. ونشأ في كنف رعاية جده أحمد المستاوي الذي حرص على تعليمه أصول الكتابة والقراءة وحفظ القرآن والتحلي بأخلاق أهل الجنوب التونسي المعروفين بالجلد والشهامة وحسن الطوية... ولما كان المرحوم الحبيب يتمتع بذكاء وفطنة وقدرة فائقة على الاستيعاب فانه سرعان ما نبغ في الدرس والتحصيل والتحق في ذلك العصر (1935) بجامع الزيتونة ليكرع من مناهل العلم ويتخرج منه في سنة 1951 محرزا على شهادة العالمية في الآداب. فامتهن التعليم بعدة جهات إلى سنة 1961 انتدب للتدريس والوعظ ضمن بعثة تونسية إلى القطر الليبي ثم عاد إلى تونس وتولى التدريس بالكلية الزيتونية وبالأكاديمية العسكرية طيلة سنوات، ومارس عدة نشاطات اجتماعية ونقابية وسياسية على الصعيدين الجهوي والقومي... وانتخب (في سنة 1971) عضوا باللجنة المركزية للحزب في مؤتمر المنستير. وتولى الأمانة العامة للجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم إلى تاريخ وفاته»[1]. فكان خلال هذه المسيرة الحافلة بالأنشطة والمهام مثالا للعمل المتواصل والإخلاص للوطن والتفاني في خدمة قضايا البلاد والعباد، خصوصا على مستوى تجذير قيم ايجابية كالتفتح والتسامح والتطور. والسعي إلى تربية الشباب تربية عربية إسلامية راقية. لذلك نجد الأستاذ الحبيب انطلاقا من دوره كمرب وداعية للعلم والمعرفة... قاوم الجهل والتقاليد البالية ورفع مشعل النور وراية العقل... ليجتث الشبهات وينتزع الخرافات ويزرع بذور الثقافة الحق. ثقافة الإيمان بالإنسان الطموح. وقد كان صاحبنا يدرك أن مثل هذا العمل يتطلب منه المزيد من الجهد فعزم على توسيع دائرة نشاطه وعدم الاقتصار على المجال التربوي... فانخرط في الميدان الإعلامي والثقافي يؤسس ويذيع آراءه وأطروحاته.

نشاطه الفكري والثقافي

لئن كان للمرحوم **الحبيب المستاوي** أنشطة مختلفة في مجالات متنوعة إلا أن أهمها تركز في المجال الثقافي. فالرجل يعد من دعاة الإصلاح لم ير أفضل فضاء يمكن له من خلاله مخاطبة العقول وتغيير ما بالنفوس سوى فضاء الفكر والقلم...

(1) انظر مشاهير التونسيين لمحمد بوذينة. تونس، 1992، ص162.

لذلك توجه إلى الناس متسلحا بالكلمة الصادقة والرأي النزيه عبر محطات متعددة يمكن اختزالها في ثلاث:

1) حصص إذاعية توعوية تنويرية اجتهد فيها الأستاذ المستاوي لطرح عدة مشاغل بأسلوب عربي مبين تغلب عليه البساطة والوعظ والتوجيه الهادف «ومثلما كانت حياة الشيخ المستاوي الاجتماعية خصبة كانت حياته الثقافية على حض من الخصب والثراء. فقد قضي أمدا ليس بالقصير يقدم إلى مستمعي الإذاعة الوطنية التونسية حصتين في الأسبوع تلتقيان في منهجهما الديني وروحهما الإسلامية مع ما كان عليه في حياته الاجتماعية»[1] من أخلاق عالية وحب للغير وتفان في خدمة المصلحة العامة.

2) مجلة «**جوهر الإسلام**» التي حرص الفقيد على إصدارها في سنة 1968 والإشراف عليها بنفسه:

«ذلك أنها تمثل وسيلة من وسائل الدعوة والإصلاح التي توخاها في عمله الإصلاحي: فجوهر الإسلام هي أول مجلة دينية تصدر بعد الاستقلال. فمنذ احتجاب المجلة الزيتونية لم تصدر إلا جوهر الإسلام سنة 1388هـ/ 1968 وشاءت الأقدار أن يكون شرف المبادرة في هذا المجال للفقيد العزيز فقد أدرك بوعي أهمية الكلمة المكتوبة ودور الصحيفة والمجلة في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة فبادر إلى المطالبة بإصدار جوهر الإسلام لتسدّ الفراغ الموجود وتقوم بالدور المطلوب وأرادها أن تكون مزدوجة اللسان (بالعربية والفرنسية) منفتحة على كل الأقلام في الساحة العربية والإسلامية...»[2]. وفي موقفه هذا، دليل على أخذه بأسباب العصر وإيمانه بالثقافات الإنسانية والحضارات التاريخية وما فيها من علوم ومعارف ينبغي الإطلاع عليها والاستفادة منها بشكل من الأشكال.

رجل التفتح

وقد جعل الأستاذ الحبيب من مجلته منبرا ثقافيا مفتوحا للأقلام الحرة لتعبر عن آرائها وتقدم وجهات نظرها فيما يشغل الوطن والأمة من قضايا حديثة وتحديات تطرق الحياة العربية. كما التزم هو شخصيا بأن يساهم فيها بتحرير جميع افتتاحيات

(1) انظر «مع اللّه : تأملات شعرية»... مقدمة الكتاب بقلم البشير العريبي، ص4.
(2) انظر «من وحي الإسلام» للشيخ الحبيب المستاوي. مقدمة الكتاب بقلم نجله الأستاذ صلاح الدين المستاوي، ص6.

أعدادها ليتناول إشكاليات حديثة تولدت بمفعول تطور المجتمع العربي الإسلامي كمسالة العلم والتسامح والحوار وضرورتها في حياتنا اليوم. فعصر الرأي الواحد قد ولى وانتهى. كما أن تقوقع الإنسان وتعصبه لعقيدة أو مذهب يفضي به حتما إلى الجمود والتأخر والاضمحلال نهائيا... وفي هذا الصدد «رأى الفقيد في العلم ومكتشفاته وانجازاته خير مساعد على تقديم الإسلام وتحبيبه للناس ونادى قومه أن لا تناقض بين الإسلام الحقيقي والعلم الصحيح والعقل السليم بل على العكس إنها جميعا تصب في مهيع واحد وتؤدي إلى نتيجة واحدة»[1] ألا وهي تقدم الإنسان وتحقيق كرامته وحريته وعزته وسعادته الدنيوية والأخروية.

3) نظم الشعر وبناء القصائد العمودية العصماء. فالأستاذ **الحبيب المستاوي** شاعر فحل مرهف الحس واسع الخيال جياش العاطفة غزير المعاني أحب القوافي ودعا إلى الكلام الموزون ورفع لواء بحور الخليل. أليس هو القائل:

«ألا فليكن للشعر مركزه الفخم ... ففي ملتقى الأحرار يحلو لنا النظم
ألا فانثروا تلك الكنانات ولتكن ... سهام القسي المشرعات بها السمّ
فما ضجعة الأقوام إلا حصيلة ... لنومة شحرور ألمّ به العقم
وما كان عزم اليعربيّ مثلجا ... وما كان خد الحرّ يلحقه اللطم
فهل صوّحت تلك الخميلة أم غدت ... أجاديب لم يبرح جوانبها العدم؟
وهل أن أم الفارهين تقزّمت ... فليس لها إلا المشوه والقزم»؟[2]

إن شعر الأستاذ **الحبيب المستاوي** لئن غلبت عليه المسحة الدينية كما يبدو ذلك جليا من عنوان ديوانه «**مع اللّه** »[3] فقد اختلفت فيه المشارب وتنوعت به الأغراض... ففيه الرثاء على غرار قصيدته التي ابن بها المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور ومطلعها:

«أمن قلبي المكلوم سالت مدامعي؟ ... أم النار شبت في الحشا والأضالع؟
أم الكون أضحى عابس الوجه مظلما ... فما نجمنا الوضاء فيه بطالع؟
أم الحالكات السود قد جدّ جدّها؟ ... وشمس الهدى قد لفعت بالبراقع؟

(1) المرجع السابق، ص5.
(2) انظر ديوان مع اللّه ... للمرحوم الحبيب المستاوي، ص48.
(3) نشر بتونس سنة 1980 بعناية ابنه الأستاذ صلاح الدين المستاوي. كما نشر له سنة 1981 كتاب «من وحي الإسلام».

طـوى حـادث الأيـام صوتـا مجلـجلا يـبشر بـالإسلام بين المجامـع
طـوى الموت طـودا جال شرقـا ومغربا ليجنـي للإسلام خير المنافـع
طـوى الدهـر بـدرا قـد سرى متألقـا يبـدد ديجـور الـضلال المقـارع
هـو (الفاضـل) البحـر الخضـم عبـا به علـوم، فهـل في أرضنا من مضـارع»[1]

وفي شعره كذلك الفخر بالأوطان والأمة والأرض كقوله

«ففـي أرضنـا الـبترول يحـرق مـاردا ويخضـع مـن أعمـى بصيرتـه الوهـم
وفي أرضنـا الزيتـون والماء دافـق وفيها ليوث الحـرب أبطالنا الشـم»[2]

تعلق بالوطن وبالعروبة

والحقيقة أن شعره جاء ملتزما بالتعبير عن رؤى صاحبه ومواقفه، من قضايا عصره من الوجهة الدينية الصحيحة الخالية من الشبهات والنقية من ادعاءات المغالين والمتعصبين... فيه دعوة حارّة إلى الشباب للأخذ بأسباب العلم والعقل والحكمة... وفيه تفنيد لآراء المفترين والمتشدقين... كما يلمس القارئ من خلاله اعتزاز المرحوم بالإسلام والعروبة وحبه الفياض لامته ووطنه. جاء في مقدمة ديوان الشاعر[3] ما يلي:

«وواضح أنني إذ أرجو أن تجد في المقدمة ما يعينك على تحديد وجهة صاحب الديوان في الحياة لا أكاد التزم لك بأنك ستجد فيها ما يحدد لك وجهته في الشعر. لان مذاهب الشعر شتى، وقلما التزم شاعر مذهبا منها في كل أشعاره وان كان إمام المذهب.

وما من ريب:

أ) في أن اندماجك مع الشاعر في ديوانه هو خير ما يعرفك بمكانته في الشعر. وذلك أفضل ألف مرة من أن يقدم إليك رأي جاهز. وقد تتبناه بلا روية، ثقة في قائله، أو اعتمادا على انه اعرف منك بصاحب الديوان، والصق بشعره.

ب) في أن مذهبه الشعري، أي منحى انتحى، وعلى أية درجة من سلم الشاعرية وضعه، لا يقوى على أن يقصيه عن مذهبه في الحياة. وهو مذهب سليم حكيم، يضعه:

(1) انظر ديوان مع اللّه ... ص30.
(2) المرجع السابق، ص49.
(3) وهي بقلم الأستاذ البشير العريبي.

– من جهة إزاء الحياة الواقعية والأحياء. ليعيش معهم آمالهم وآلامهم، أفراحهم وأتراحهم، ويعبر عن الرغبة في التماس حياة أكمل وأفضل... وذلك اصدق ما انتهى إليه مذهب الالتزام في الأدب.

– ومن أخرى إزاء الدين الإسلامي الحنيف والمسلمين ليصور ماضيهم المجيد، وحاضرهم الآمل، ويعبر عن مستقبلهم الطموح، وذلك من اجل وأجمل ما يمكن أن يفضي إليه الإيمان الصادق والشاعرية الشاعرة»[1].

وفي النهاية هذه كلمة خاطفة وومضة سريعة عن المربي الأستاذ الشيخ **الحبيب المستاوي** تحية لروحه الطاهرة واعترافا له بجميل خصاله وفضائل أعماله... آملين أن يجد فيها القارئ بعض العناصر المساعدة على تسليط الضوء على تاريخنا الثقافي المعاصر في فترة حساسة من حياة المجتمع التونسي واستكمال بناء الدولة الوطنية العصرية...

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

لا خلاص للامة إلا بالعودة إلى القرآن

و إنه لمن المسلم به لدى ذوي الانصاف من أهل البحث العلمي الذين عنوا بتاريخ الشعوب أن النافذة الوحيدة التي تطل منها النوائب على المسلمين لم تكن غير نافذة الابتعاد عن الهدي القرآني والإرشاد المحمدي أو محاولة الإسغناء عنهما بما لا يسد الفراغ ولا يحقق المرغوب . ولقد أعطت التجارب المتكررة عبر العصور أن أمتنا الإسلامية كلما حاولت الخلاص مما حل بها أو حلت به من ضيق ومكروه لم يكن خلاصها أبدا إلا عن طريق العودة إلى القرآن ولغته وعلومه وأحكامه . ففيه وفي السنة النبوية الطاهرة تجمعت جميع عناصر المنعة والخلود بما حققاه من مزج والتئام بين القوتين المتحكمتين في مصائر الأكوان

(1) مقدمة ديوان مع اللّه ... ص8.

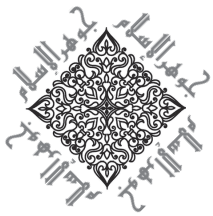

الحبيب المستاوي رحمه اللّه : إسلامه يتجّلى في أقواله وأفعاله

بقلم السيد حسين صميدة

تحتضن تونس عددا كبيرا من أيمة العلم ورجال الأدب وقادة الرأي ممن كان لهم دور في بناء نهضة ثقافية وتدعيم أركان الإسلام فخلد لهم التاريخ صفحات مجد كتبت بأحرف نورانية وباركت الأجيال أعمالهم ومازال الناس يستقصون آثارهم بالدرس والبحث

من هؤلاء الأعلام عالم جهبذ وشاعر لا يشق له غبار بليغ فصيح وشيخ في العلوم الدينية قام برسالة العلم وناضل بعزم المؤمنين من أجل الحفاظ على الشخصية العربية والإسلامية في بلاد خضعت لحكم المستعمر البغيض وعرفت الاستلاب والاغتراب وطمس الهوية فتمسكت بفضل أبنائها بهويتها وحضارتها.

كافح مع المكافحين الأبرار في أشدّ محنة عرفتها تونس، هذا الشيخ المجاهد (بكل معاني الكلمة) هو **الحبيب المستاوي** رحمه اللّه .

فمن هو هذا الرجل الذي علا ذكره وأضاء نجمه وذاع صيته في بلاد العرب والمسلمين.هو من مواليد سنة 1923 بتطاوين اشتهر بالذكاء والحنكة. أول ما بادر بفعله هو السعي لتوحيد صفوف عروش بلدة تطاوين في ذلك العهد وجمع الأنصار لتخليص البلاد من الاستعمار وفق خطة القادة السياسيين الكبار في الحزب آنذاك وشجع الأدباء وطلاب العلم وجمعهم وجالسهم فتكونت شخصيته وعرف بحسن الفهم والحذق والصبر في استقصاء مسائل العلم وبحثها.

هذه العوامل هي التي جعلت منه الشيخ المجتهد والعالم المناضل وسمت به في مراتب علمية عالية مع ما أوجده اللّه فيه من عناصر الاستعداد لقيادة توجيهية نضالية

وتربوية ثرية المادة حكيمة التكوين ومن خلال ما وصلنا عن الرجل من خلال بعض تلامذته ومعاصريه وأهله وذويه تعرفنا عما كان له من صيت علمي وما كان له أيضا من إشعاع ينفذ إلى القلوب فيزيدها تعلقا بالعلم لأن من كان مثل الشيخ **المستاوي** علما وعملا جدير بأن يكون قوة مؤثرة وشخصية تتفتح النفوس لسماعه ووعي ما يقدم لها من زاد. حدثنا مشائخ عاصروا المرحوم وعرفوه عن قرب وجلسوا معا على مقاعد الدرس فقالوا عنه انه كان إماما في الدين وله إلمام في شتى فنون العلم واشتهر بالفقه والحديث واللغة والنحو والتفسير والشعر والأدب مع انه على نصيب وافر من النبل والحذق والشجاعة وكان في كل شعبة من شعاب المعرفة يحسن طرق الجدل والمناظرة.

تخرج الشيخ من جامع الزيتونة المعمور بتونس العاصمة وبه درّس فانتهج منهج العلماء الأجلاء الأوائل وواصل رسالتهم في **الكلية الزيتونية** وفي كل مكان حل به وبخاصة جامعي **سبحان اللّه ومقرين** اللذين كان يعقد فيهما مجالسه العلمية ويجتمع برواده وتلاميذه.

وكان له في الشعر والأدب باع وأي باع وكانت له لقاءات مع أعلام العالم الإسلامي شرقا ومغربا وكانت له زيارات رسمية وخاصة إلى السعودية وليبيا ومصر والكويت والأردن والمغرب والجزائر وكان له بها أصدقاء يناظرهم ويحاورهم ومنزله بضاحية **مقرين** المتاخمة لتونس العاصمة كان كعبة القصاد من أصدقائه ومعارفه الذين يردون عليه من داخل البلاد وخارجها يساعد طلبة العلم في مهماتهم العلمية ويبذل النصح لذوي القربى وللناس جميعا- ولله الفضل ثم للشيخ الذي تدخل شخصيا لدى السلط لبناء جامع مقرين الذي تولى إمامته وخطابته ثم خلفه ابنه صلاح الدين المستاوي فكان أحسن خلف لخير سلف قام بالمهمة وواصل الرسالة من بعده.

لقد كانت مجالس الشيخ العلمية تستقطب الشيوخ والشباب والمثقفين والمتعلمين على حد السواء يوجهها بفكر ثاقب ويغذي روادها بما يشفي نفوسهم المتعطشة لأن صاحبها لم يكن فقيها فحسب بل كان أيضا له حظ في علوم الحديث وروايته وفي الأدب وتفسير القرآن وحفظ الشعر واشتهر بالبحث واستقراء الأقوال، قوي السند صريح القول فصيحه، لا يبالي عند إبداء الرأي ولو خالف آراء غيره فعلا صيته وطارت شهرته.

كان عالما فقيها وأديبا شاعرا انتدب للتدريس بالكلية الزيتونية (كما اشرنا) وقبل ذلك بالمعاهد الثانوية. وأسس مجلة إسلامية هي «**جوهر الإسلام**» سنة 1968 وظلت محافظة على نقائها وصفائها وكان لها إسهام فعال في تقديم رسالة الإسلام الصحيح روحا وجوهرا وأعطاها الشيخ جزءا من حياته وبعضا من كيانه لكي يصلب عودها ويرسخ قدمها بالرغم من أنها لم تحظ بوسائل الدعم لضمان مقومات النمو والتطوير والخلود. نشط في دار الإذاعة بإعداد برنامج عرف بـ«حديث الصباح» كان يذاع صبيحة كل يوم سبت.

تأمل في القرآن وتدبره واستلهم منه فيضا حتى سما به إلى العلو فذاب فيه عشقا وحبا وشفافية وترجم تقواه وحبه للخير سلوكه وأعماله. تعبر كتاباته وأشعاره بصدق عما يعتمل بين ضلوعه وجوانبه من ألم لما أصاب الإسلام وما حل بالمسلمين فتعمق في دراسة العلل والأدواء التي أصابت الكيان الإسلامي والأمراض التي نخرت مجتمعه ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كان إسلامه يتجلى في أقواله وأفعاله في سلوكه وتصرفاته ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فنحن إذا تتبعنا حياة الشيخ نجد أنه كان يحمل بين جنبيه روحا دينية متحمسة وتطلعات عميقة ولكن تلك الروح أصيبت بعثرات وخيبات عاقته عن ادراك المنشود **(وكان الأجل دون الأمل)**

*** «من خدم الأوطان مجتهدا نال الخلود وأرضى اللّه والدين».**

إن الحديث عن مناقب المرحوم له جوانب عديدة أشفق على نفسي من أن آخذها على عاتقي لأن الرجل اكبر من كلماتي وإمكاناتي المتواضعة بل حسبي في هذه العجالة أن أملأ ثغرة وأسدّ فجوة هي بعض من حق الرجل علينا، وهي قطعا لا تغنيه شيئا ولا نفع منها ولا ضرّ وقد واراه التراب وغاب في زحمة السنين. لكن في الأثر **(إنما المرء حديث بعده)**.

فهو المكافح الوطني والمناضل إلى جانب الشاعر والناثر والصحفي والأستاذ والمثقف والأديب المنادي بإصلاح التعليم وتعريبه إلى جانب انه منشئ الكتاتيب والجوامع مما يطول تعداده.

ولم يلن ولم يضعف ولم يتأخر عن أداء رسالته بل رفع صوته في كل الأحوال والظروف داعيا وناصحا يصدع بكلمة الحق غير هياب ولا وجل مدركا أسرار الدين الحنيف.

ولست مبالغا في شيء ولا هو ادعاء ولا هو كلام المعجب المفاخر وإنما هي سيرته شاهدة عليه (**وتلك آثارنا تدل علينا**)

*** «وما من عالم إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه»**

فسلوا عنه عارفيه ومعاصريه وحتى أولئك الذين حاربوه وطاردوه (وكان ما كان). وفي أخريات حياته كما أشرت آنفا اشتد قلقه لأسباب وأسباب وظل في مجاهدة روحية ينشد سبيل الخلاص من كل القيود والتضييقات يدفعه الشعور بأن على عاتقه رسالة يجب تبليغها ولسان حاله يقول (**نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا**) وكم من مريد للخير لم يصبه.

آثر العزلة وابتعد عن مخالطة الناس إلا اضطرارا وما كانت عزلته تلك وابتعاده ذاك عن شعور بكونه غريبا عن أولئك الناس وعن نمط تفكيرهم وقد عوض إحساسه بالغربة بميل شديد وشغف كبير ونهم عظيم بالقرآن وتدبره آناء النهار وزلفا من الليل. وفي القرآن ظفر بالجليس الحبيب الذي يذكره بالموت وبالجنة وبالنار وفناء الدنيا وخلود الآخرة فإذا هو يشتاق إلى لقاء ربه طمعا بما عنده فتعجل الموت ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وكأني به خاطب ربه وهو في ظروف صحية واجتماعية لا يحسد عليها قائلا (**إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي**) ومرددا قوله جل من قائل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. هكذا فعلت بنفسه مدرسة القرآن والجهاد والتقوى والفلاح فطوباك رحلت عزيز النفس.

وبعد فهل أراني في حاجة إلى أن أؤكد على أن أقل الواجبات نحو الشيخ **الحبيب المستاوي** رحمه اللّه الذي حقق من الأعمال ما يخلد اسمه في سجل الشرف والنضال على مر السنين وتوالي الأجيال أن نحيي ذكرى وفاته فنكرم بذلك أحد أبناء تطاوين بخاصة وتونس بعامة وذلك بإقامة ملتقى يحمل اسمه ويخلد ذكره. ولا يفوتنا ههنا أن نثني على البلدية والسلط بتطاوين التي أكرمته بأن أطلقت اسمه على أحد أنهج المدينة وإنّا لنأمل من وزارة الثقافة والسلط الجهوية أن تلبي الدعوة إحياءً وتكريمًا لأحد رجالات الفكر والأدب والعلم نذر عمره للفكر والدرس وخدمة الوطن اعترافا له وبخدماته الجليلة وذلك لمزيد تعريف أبناء الجيل الحاضر به وباعماله في الميادين التي خاض في حلبتها فأسلمت له قيادتها وكان اسما فصار رمسا وطوبى لمن يموتون ليحيوا. فعسى أن تكون فيها تبصرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. واللّه من وراء القصد./ .

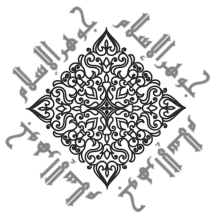

الشيخ الحبيب المستاوي
الشاعر المصلح

بقلم الأستاذ الهادي خلفه

يمثل الشيخ الحبيب المستاوي ظاهرة فذة في عالم العمل الديني ولكن أهميته لا تقف عند هذا الحد بل تتعداها لخصال مزدوجة مجدية فهو العالم والمدرس الناشط والداعية الواعي والكاتب المقتدر والخطيب البليغ والشاعر المصلح الملتزم والإنساني الحق وهو من اصلب الذين جاهدوا النفس والمادة وضحوا في سبيل الحق وسعادة الإنسان بأوقاتهم وواجباتهم وبأنفسهم أيضا وهكذا فإننا نقف اليوم أمام هرم شامخ يتطاول ليعانق السماء ويشرف على المجتمع هاديا ومرشدا بالكلمة الطيبة المعبرة والسلوك الإسلامي المرضي والأخلاق الأصيلة المتجددة ونجد ونحن نحاول صعود هذا الهرم «بطاقة تعريف شخصية بإمضاء **الشيخ الحبيب المستاوي**»... نبت أصيل من أبناء الأمة الإسلامية بتونس غرس بأرض الجنوب وعلى مشارف الصحراء حيث تجد النفس حرية الانطلاق نحو اللّه، نحو الحقيقة، ونحو الحياة. وكان يوم 9 جانفي 1923م (1342هـ) يوما سعيدا ببلدة الرقبة من معتمدية وولاية تطاوين عمت فرحته أرجاء القرية منطلقة من بيت آل المستاوي الذي عرف منذ القديم بنزعته الدينية والتمسك بالعقيدة في عصر عم فيه الجهل وانصرمت فيه قوى الوحدة والاستقرار وتبعثرت فيه قبائل الجنوب بين رحل يهيمون في صحراء موسمية الرزق والعطاء ونازحين نحو الشمال فارين بمكاسبهم إلى ارض المطر والمزارع ومستقرين قانعين بقدر يسير من الرزق عن طريق الفلاحة التقليدية أو الأعمال الحكومية ولمن أسعفه الحظ...

ولا شك أن ينشا الفتى نشأة إيمانية إسلامية قوية انطلقت أسسها من حفظه القرآن على يدي جده احمد المستاوي وبذلك تشكلت ومنذ اللحظات الأولى حياته ورسمت اتجاهاته ولما شب تعلقت همته بجامع الزيتونة أمنية كل شاب لما يمثله من منبع المعرفة للمنتسب إليه... ورغم بعد المسافة وضنك الحياة وقلة التجربة جمع الفتى أدباشه وزاده والتحق مع زمرة من أبناء القرية بجامع الزيتونة وتفتحت ملكاته على دراسة الدين والفقه واللغة العربية واندفع يكرع من زلال الزيتونة ويتلقى عن شيوخها حتى تخرج حاملا لشهادة العالمية (شعبة الأدب) واتجه إلى التدريس بمدنين اقرب فرع للزيتونة لبلدته عله يعوض سنوات البعد والغربة عن الأهل والموطن وقضى على نفسه أن يكون المربي الناجح والوطني المخلص فنراه أستاذا بالفرع إلى جانب وطنيته الصادقة والبلاد تعاني من آخر وثبات الاستعمار الغاشم الذي يتلكأ في الخروج ويدافع من اجل البقاء ودفع المستاوي ثمن وطنيته إذ نقل إلى فرع قفصة كعملية عقاب ولما كان العمل الوطني يتطلب معرفة دقيقة بالمحيط وبنفسيات الرجال سعى للعمل بالفرع الزيتوني بتطاوين وبذلك يكون بين أهله وذويه مما سيشجعه على الدعوة والتخطيط المحكم للعمل الوطني وهناك بتطاوين مارس التدريس إلى جانب العديد من المهام الوطنية وتحمل عدة مسؤوليات حزبية وأخلاقية وإرشادية ورغم نجاحه في أدواره فان همته لم تقف عند هذا الحد إذ كان يؤمن أن دوره لا يقف عند هذه القرية أو المدينة أو البلاد وإنما يرتبط بعمل إنساني إسلامي داخل البلاد وخارجها فشارك ضمن وفد من الأساتذة للتدريس والإرشاد بليبيا وهناك إلى جانب تدريسه بمعهد احمد باشا الديني كان يقوم بالإرشاد في مدينة طرابلس وبإلقاء حصص دينية من الإذاعة الليبية ثم رجع إلى تونس بعد أن فتحت الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بعد إغلاقها بعنوان تطوير مناهج التدريس وفتح الجامعة التونسية وكان من الذين يغارون على الزيتونة هذه الجامعة الفذة العريقة ويخافون عليها من العواصف الهوجاء التي شعروا بها وهي تمهد لإحالة للتقاعد الإجباري وكم حاول إلى جانب غيره إلى أن تبقى الزيتونة مصدر إشعاع علمي وأخلاقي ولذلك ما إن فتحت بثوبها الجديد تحت عنوان «الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين حتى انتدب للتدريس بها وظل من أساتذتها إلى أن نقل في أكتوبر 1973 إلى قفصة للتدريس... وتذكر وهو يقطع المسافة بين تونس وقفصة... نقلته الأولى إليها من مدنين... وكانت المقارنة... وكانت بداية الرحلة مع المصادمات ومع نظرات الغضب من هنا وهناك ورغم تحمله ذلك بصدر رحب

وإنابة إلى اللّه ... يشعر بان ذلك البناء الشامخ بدأ يهتز وبدأت مراجعات المواقف والسبل وينتهي الشيخ إلى حقيقة مرة: تنكر من الجميع وإعراض من الجميع ويتعجل الشيخ الموت...وكان يوم 12 رمضان 1395هـ الموافق 18 سبتمبر 1975 كان يوما ملتهبا في تونس وفي مقرين خاصة... انه يوم موته... وأعلن الخبر وتجمع الأصدقاء والأعداء ليودعوا رجلا أحب الجميع وضحى في سبيل الخير والحق بالغالي النفيس وتعالت أصوات التأبين وتزاحمت برقيات التعزية وعلم القريب والبعيد من المحيط إلى الخليج... لقد ولد المستاوي في صمت وعاش في صخب وحركية ومات في إجلال... إنها خمسون سنة يفتخر بها الدين الإسلامي -... قضاها الشيخ في سبيل الإنسان وخدمة الدين والوطن والأخلاق. خمسون سنة... لم تهدأ فيها نفسه عن الانطلاق والعمل الجدي... في الدرس والتدريس والإرشاد والتوعية بفروع الزيتونة والمعاهد الثانوية والكليات المختلفة وعلى أمواج الأثير في إذاعتي ليبيا وتونس وعلى صفحات الجرائد والمجلات وبحلقات الدروس بالجوامع المختلفة عبر البلاد وخارجها أو في لقاءاته المتعددة بالطلبة والعمال وفي محاضراته عبر الملتقيات والمؤتمرات العربية والإسلامية وانه لأقرب دليل أن نتصفح مجلة **جوهر الإسلام** التي أرادها ملتزمة بالدعوة والإرشاد والتوعية والرد على أعداء الدين فكانت الافتتاحيات وكانت القصائد الشعرية وكان التفسير لآيات القرآن ومات الشيخ في تلاشي المادة لكن أفكاره محفوظة في **سبع مجلدات من مجلة (جوهر الإسلام)** احتوى كل عدد منها بقلمه الفياض افتتاحية وموضوعا في التفسير بالإضافة إلى قصيدة وموضوع آخر. وفي **ديوان شعر** نشرت اغلب قصائده بالمجلة أو غيرها من المجلات والنشريات وفي **مجموعة أحاديثه الدينية** التي ألقاها بالإذاعة التونسية طوال أكثر من عشر سنوات وفي **تفسير لعدة أجزاء** من القرآن الكريم نشر بعضها وما زال البعض يتوالى في أعداد المجلة المقبلة.

وهكذا نجد اليوم أنفسنا أمام هيكل ثابت الأصل والقامة والقمة أمام المربي والمفسر والشاعر وان اخترنا أن نقف أمام المستاوي الشاعر آملين الرجوع إلى الجوانب الأخرى من شخصيته (إننا نؤمن بأن الشعر كان من البوادر الأولى التي أخذت طريقها للظهور منذ الصبا... فبيئة نشأته وظلال افقه الرحب جعلت منه شاعرا منذ الطفولة ثم تشكلت الهواية ونضجت هذا إلى جانب وجود ديوان يجمع اغلب القصائد التي نشرت وجاء بعنوان «**مع اللّه** ») آملين أن تجمع افتتاحياته وتفسيره في

أسفار خاصة تعين على الدراسة والتحليل. فيجد فيها الدارس خير معين لاستخراج المنهج التربوي والنزعة في التفسير عند الشيخ الحبيب المستاوي.

يحتوي ديوان «**مع اللّه** » على سبع وثلاثين قصيدة تتراوح بين الطول والقصر وقد قيلت في مناسبات ثلاثة أ)- مناسبات دينية (مولد نبوي-ذكرى الهجرة-الإسراء والمعراج-رمضان-الحج) ب)- لقاءات عربية أو اخوانيات ج)- تأملات وتحاليل لنفسيات بعض الأنبياء وتلتقي هذه القصائد في موضوعين بارزين.

أ- الدعوة والإرشاد (الجنوح الاجتماعي)

ب- تأملات وتحاليل صوفية (الجنوح الديني)

كلمة عامة حول شعره: إن الدارس لشعر المستاوي يلتمس انه يستمد شعره من الوعي والذهن ويمر في نظمه بمراحل تنطلق من الإحساس الناتج عن المؤثرات المادية أو الشعرية ثم يقع الانفعال فالاستجابة الطبيعية وقد امتازت عنده بحساسية ممزوجة بوعي وتجارب ماضية وقد تبلور هذا الانفعال في صورة لفظية مفهومة ومعبرة وإيقاع موسيقي مؤثر ولقد أكد الشاعر على أن الشعر نبضة قلب وإحساس صادق قبل أن يكون فكرة مجردة وهو حالة نفسية وارتعاش قبل أن يكون قضية فكرية جامدة وهو صدق في التعبير قبل أن يكون ترادفا أو تكديسا للكلمات وتلاحظ وأنت تقرأ أشعار المستاوي تكرارا في الموسيقى والمعاني ولكنك لا تمل ولاتسام لان الشاعر لا يدعك تسام أو تمل وهو يكرر ويكرر إلى ما لا نهاية قدرة اللّه أو صفات الرسول أو وصف واقعي لماضي وحاضر الأمة الإسلامية وهو لا يدعك تسام أو تمل وهو يحشد ما لا يحصى من الإشارات إلى أحداث التاريخ وقصص القرآن... وسير الرسل والأنبياء وبطولات الأجداد وطبائع الإنسان والعلوم الحديثة التي تأخذ نواتها من القرآن من فلك وهندسة وبيولوجيا وطب مع إشارات تصوفية.

والشاعر يعبر عن انقياض وأمل ودعوة عما يجيش في نفس كل عربي مسلم انك تجد نفسك أمام تجربة كاملة صادقة لها قيمتها في المجال السياسي والاجتماعي والأخلاقي وتظهر في فهم الطبائع وإدراك المشاعر وتحليل الواقع وقدرة التأثير والتوجيه. وانك وأنت تقرأ للمستاوي الشاعر لا تحس التصنع بل تحس القلب والعاطفة والعقل والإيمان وتبصر الأدب والتواضع والثقة بلا حدود كل ذلك ينقدح في ومضات ولمحات وخفقات وهو شعر تقدمي يؤدي رسالة كتب على الشاعر أن يؤديها ويجاهد في سبيلها فجاء شعرا ملتزما صادقا وارتفع به عن هدايا الموسم

وعلى تقديم للتهنئة أو المدح وسما به عن الكلام المنمق الدال على براعة لغوية أو رياضة ذهنية يلجا إليها الناظمون فجاء شعره رسالة من حيث الدعوة إلى الحق والخير والمحبة ومحاربة الظلم والرجعية وهكذا كان في شعره فيلسوفا ومصلحا.

أ- الجنوح الاجتماعي والنظرة الواقعية

ولكن على أي أساس أقام المستاوي شعره ومن أي نبع كان يستقي فلسفته في الدعوة والإرشاد والإصلاح؟ لقد عاش المستاوي مثلما رأينا نشأة شعبية ودينية عقائدية هادفة ولذلك غلب عليه الجنوح للواقعية فكان عقلانيا لا يعول في حكمه إلا على منطق الواقع يرى الحادثة فيحس بها ثم ينفعل ويتفجر وكان إنسانا عربيا مسلما يعاني ما تعانيه الأمة من تحديات عديدة تحاول إثارة الشبهات حول حقائق الإسلام وخاصة حول مفهومه الاجتماعي من حيث انه منهج حياة ونظام مجتمع وتحاول ضرب الإسلام من الداخل عن طريق قوى مشبوهة عميلة تتظاهر لاحتضان مفاهيم إسلامية ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق الشريعة الإسلامية وتتبنى هذه القوى الهدامة دعوات ضالة كإحياء الفكر الباطني والإباحي والمادي ونبذ القديم وانتقاصه وتدعو إلى التبعية وتزينها وذلك ببث التصور بقدرة الأمم الأخرى على تطوير المتخلفين وطرد الجهل والجوع والضياع مما يؤدي إلى إذابة الشخصية وتحللها حتى تصبح صورة مهلهلة مضطربة ومقابل هذه التحديات شهد العالم الإسلامي تيارا قويا مضادا من الشعور الديني وتجاوبت صيحات المسلمين في شتى الأقطار بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية وإحلالها محل القوانين الوضعية والمناداة بالحل الإسلامي بديلا للحلول المستوردة وهكذا سرت في الأمة الإسلامية يقظة وصحوة وتحولت اليقظة إلى دعوة والدعوة إلى حركة عالمية هزت الضمائر وغيرت الرأي العام إلى صف الإسلام وأنشأت جيلا بل أجيالا مسلمة الفكر والعاطفة والسلوك والهدف وكان وراء ذلك رجال مصلحون صادقون وكان الشيخ الحبيب المستاوي احدهم ولقد شعر المستاوي بالتحدي فاهتز وناصر وساند القوى الإسلامية الهادفة وكان وهو الشاعر الواقعي يتآكل ويتمزق وهو يرى الأمة الإسلامية تتخبط في الجهل والتخلف والتناحر فيصيح:

ايــه يــا أمــة الخلــود لمــاذا؟ فاتــك الركــب افصحــي بالمقــال

ويحـاول الشـاعر تحديـد أسـباب هـذه الوضعيـة السـيئة وكان السـبب الأول ابتعاد المسـلمين عـن دينهم.

وقد جرف التيار أمة أحمد حنانيك ربي فلتصنها من الجهد
ولولا ابتعاد المسلمين عن الهدى لما كابدوا داء القطيعة والحد
ولو طبقوا الإسلام وفق نصوصه لأوفى لهم رب البرية بالوعد

وهكذا يفند الشاعر تهم الأعداء وافتراءاتهم التي ترمي التهمة على الإسلام كسبب رئيسي لتخلف المسلمين فلو طبق المسلمون مبادئ وأحكام دينهم ولو أقاموا أمور المجتمع كلها على أساس من شريعته ونظمه لانتصروا واثبتوا وجودهم «**إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**» وينطلق المستاوي من الواقع المر، من الواقع المحزن للأمة الإسلامية فها هي مقدساتها تهان وتداس على مرأى ومسمع من مئات الآلاف فصور لهم أمجادهم ودعاهم لليقظه.

أمة الإسلام هل يوقظها مشهد الأقصى ونار تلتهب
ليتها يخرج منها قائد يبعث الدين فتنزاح الحجب
كابن تاشفين وقطز بعده وصلاح الدين لما أن وثب
فأفيقوا ويحكم طال الونى والعبوا في ألكون دور المنتخب

وكان السبب الثاني للتخلف تمزق المسلمين وتناحرهم وتفشى الأنانية والانزواء وراء حدود مصطنعة خططها الاستعمار ليفرق فظهرت القوميات والجنسيات وتحاربت الأجناس واللغات وضاع مفهوم الأخوة.

هزائمنا منا ومن نبذ ديننا وإقبالنا عن موجبات التشرد

وكان السبب الثالث والخطير انه التبعية التي شككت في الشخصية الإسلامية ورسمت للغير صور البطولة والقدرة على خوارق العادات فتنكر المسلمون لدينهم وماضيهم وقطعوا كل ما يربطهم به ونسبوا له كل نقص وعجز ورجعية:

ونبذنا تراثنا بازدراء في عقوق وقحة وابتذال
ونسبنا لديننا كل نقص ورمينا دعاته بالخبال

وتتكون لدى الشاعر حساسية ونقمة على العلم والحضارة التي خدعت المسلمين فلم يجنوا منها غير الخسران والوبال هذه الحضارة التي ظهرت في شكل بهرج وطلاء وموضات ومادية وقنابل للتهديم.

وما فلسفات الغرب إلا خرافة وما هي إلا كالطلاء على الجلد

لئن حققت بالعلم زحفا إلى الفضا وأنتجت الصـــاروخ للفتك والهـد
فمـــا حققت للروح شيئا مشرفـــا يميز أهـــل العقل عن فئة الأســـد

فالحضارة الغربية التي غلبت على العالم زمنا طويلا عجزت عن منح الإنسان السعادة التي ينشدها واكتفت بتهيئة الرفاهية والمتعة على حساب الأمن والسكينة إنها متعت الجسد ولكنها عذبت روحه أعطت الإنسان الوسائل والآلات وحرمته من المقاصد والغايات وأصبح الإنسان يعاني القلق النفسي والجمود العاطفي والتحلل الأخلاقي والتخبط الفكري والتفكك الأسري والتناقض الاجتماعي ولذلك فهي تسير سريعا نحو نهايتها.

لقـد أمعنـت في الـسير نحـو نهايـة أراهـا وأيـم اللهّ جريـا إلى اللحـد
ولسـت أعـادي العلـم أنكـر نفعه ولكنـه قـد صـار كالمارد الوغـد

وهكذا كان المستاوي الإنسان الواقعي الصادق المشاعر نحو أمة لديها علـوم العالمين وفنهم لديها (**كتاب اللّه**) كنز مجدد

ولكنها تنكرت وحادت عن سبيل النجاح والتوفيق فكانت الهزائم وكانت مأساة العصر مأساة فلسطين التي انسكبت معها شكوى الإنسان العربي ونزف جرحه المأسوي سيولا من الكلمات المتمردة وفي هذا الجو انطلق الشاعر يحكي قصة الضياع وقصة الواقع وقصة المستقبل. عبر سنوات التمزق والاستيطان والتعذيب واتخذ الشاعر الكلمة المعبرة الصادقة أداة لتحريك السواكن مناديا لتحرير الأرض وتطهير المقدسات.

فلسطين قـد ضاعت وان دام نومنا عليها فلن يبقى لهـا بيننـا رسـم
فهبـوا إلـى إنقاذ عرض ملـوث وخير سلاح الـنصر يـا قومنا الحزم

ويتصدى لمزاعم اليهود مفندا أراءهم القائلة بشرعية الاستيطان وبميراث القدس ويهودية إبراهيم

زعموا بان القدس ارض جدودهم كـذب تصـك الأذن منـه صراح
ولسـوف يبقـى للعروبـة مـوطنا وتظلهـم فـي ظلـه أدواح

ويمضي يصور جهاد الجزائريين ونضالهم رغم وحشية العدو وكثرة عدته وعتاده.

والثائـر الجبـار فـي أوراسـه وغـذاؤه الإيمـان وهـو سـلاح

جمع الطغاة لـه العتـاد وخلفهـم حلـف عنيـد ارعـن سفـاح
جبهـوا بجـن لا يطـاق مـراسه نـار تضـرمهـا الغـداة ريـاح
فلسوف تسحق بالنضال رؤوسهم مـا دام لـم يقنعهـم الا لمـاح

ويؤمن المستاوي بان ما أخذ بالقوة لا يمكن استرجاعه إلا بالقوة لذلك نجده يسخر من التجاء العرب لمجلس الأمن أو منظمات دولية أخرى فالتجربة والواقع علمانا أن العالم يعبد القوة ويرهب الأحلاف ويملك ضميرا حيوانيا مضطربا.

وبنـو الـدنيـا عبيـد كـلهـم للـذي في حومـة ألحـرب غلـب
(مجلس الأمـن) هـراء بـاطـل كـم تـخـلى وتـدلى وهـرب
وضميـر (العالـم الحـر) هـراء كيف يخشى من ضـمير مضطرب

ويلتفت المستاوي يمينا وشمالا عبر خارطة الأمة العربية فيجدها متوزعة بين طبقين فوق طاولة واحدة وسادة العالم من سفيات وغرب يقررون المصير ويتبادلون المصالح ويتقاذفون بخيرات الأمة العربية ويقدمونها هدايا عيد الميلاد لبعضهم البعض والعرب وقد خدعتهم الكلمات ازدادوا التصاقا وإيمانا بقدرة الآخرين وتصديقا للأخوية الكاذبة فيصيح الشاعر

وبنـو (لينين) أعـداء الهـدى مـا عرفنـا منهـم غير اللعـب
منيـة (السـفيات) (والغـرب) معا أن يظـل العـرب دومـا في شـغب

ويحس المستاوي بيأس من صحوة العرب فلا الواقعية ولا النداءات ولا المصداقية حركت فيهم الضمير ودغدغت فيهم الكرامة والنخوة فيلتجئ إلى الأسلوب المعاكس، إلى التعبير عن الكره عن النقمة ويغالب نفسه فيصيح صيحة أخيرة صيحة كره يقويها الحب ولكنها ليست صيحة شماتة وتشفى إنها كره ومرارة وتأسف... انه يصيح كرهتكم يا عرب لأني أحبكم... أحبكم أقوياء صامدين ويدعو الصهيونية إلى التنكيل بالعرب هذه الأجسام بلا ضمائر، هذه الهياكل بلا مشاعر.

مزقـي صهيـون أشـلاء العـرب وافعلي مـا شئت فالقـوم خشب
مـزقيهـم دنسـي أقـداسهـم احـرقيهـم بلظـى ذات لهـب
فهـم اليـوم غـثـاء دأبـهـم زخـرف القـول وتنميـق الخطب
إذ أراهـم والـردى يجتـاحهم عبـدوا اللهـو وهامـوا بالطـرب

وهكذا تظهر لنا مشكلة الشاعر فالواقع السياسي والاجتماعي والعقائدي الذي عاشه كان واقعا شديد المرارة والتعاسة ومن المؤكد أن هذا الواقع أصاب الشاعر بألم شديد وأشعل فيه استعداده للعمل والدعوة والإرشاد.

وماذا يمكن أن نترقب من شاعر يعيش في مثل هذا المجتمع الذي يعيش أفراده على الشهوات والضلالة.

همهم والخطب ينكى جرحهم والغد الأسود منهم يقترب
شهوات البطن والفرج وما يقتل الدين ويزرى بالحسب
جاهليات وكفر وهوى كل قلب قد غدا مثوى لرب

ويتألم المستاوي وهو المربي والراعي المسؤول عن رعيته في البيت والقسم والمسجد والشارع عندما يرى الأخلاق تتآكل وتداس بأقدام الشباب حامل المشعل ومستقبل الأمة وماذا نترقب من امة فقد شبابها الأخلاق وفقد الشعور بالمسؤولية وانغمس في الخلاعة والمجون فالفتاة أم الأجيال والمدرسة الأولى خليعة تنظر: فترى الفتاة:

فترى الفتاة خليعة مرذولة ممسوخة في الشكل والهندام

أما الفتى فليس أحسن حالا:

وترى الفتى متخنثا متشبها بالمائسات وساخرا بملام
خلع العذار ولم يخف من خالق أبدا ولم يمسك بأي زمام

هكذا صدم المستاوي بهذه النماذج من جيل المستقبل فراح ينقل الحقيقة ليضع الجميع أمام الواقع وأمام المسؤولية ويلتفت الشاعر لمن يهمهم الأمر ليناقش معهم هذه الظواهر العجيبة ويبحث معهم عن الحلول... ويخاطب الآباء فتذهله المشاهد.

رأى ما رأى في أب عابث وفي أمه المرأة الغاوية

ويهرع إلى المربي والواعظ:

رأى واعظا إن علا منبرا يقول الورى حبذا الداعيه
وفي سره العكس مما يقول وفي فعله لوثة بادية

وينفض الشاعر يديه على هذا المجتمع الذي ساءت أحواله ولا يجد ملجأ غير اللّه

إلى اللهّ أشكو ضياع الأمانة ... وما قد فشا بيننا من خيانه
تحطمنا فهي داء وبيل ... وموت لروح الإخا والديانة
فكم من بلاء وكم من شعوب ... بها أصبحت بعد عزّ مهانه
إلى اللهّ أشكو ضياع الفضيلة ... وما قد فشا بيننا من رذيله
نمارسها في وضوح ودعر ... ولا نستحى ان نراها ثقيلة
فأين الكرامة أين الحياء ... وأين الصيانة؟ ولت ذليلة

وهكذا يفقد المجتمع كل مقوماته الأخلاقية ويتنكر لكل المبادئ الإسلامية ليصبح ماديا بحتا يرى الصلاة رجعية والفضيلة خوفا وجبنا والحياء شعورا بالنقص والأمانة تخلفا... وهكذا تنقلب الحقائق فيسجلها الشاعر بكل مرارة وغايته من ذلك إظهار الحقيقة وإثارة العواطف والتأثير في النفوس وإصلاحها ما استطاع. وهكذا فان إحساسه العميق بمشاكل المجتمع وأخلاق الشباب خاصة كانا من اشد الدوافع إلى نظم الشعر إيمانا منه أن الشعر هو لغة المشاعر وبإمكانه مخاطبة الضمائر والتأثير عليها بسهولة بما يحمله الشعر من ازدواجية المعنى والإيقاع.

ب ـ الجنوح الديني أو الطريق نحو اللّه

لقد ركز الشاعر على الجانب الديني في ديوانه فاشتمل على عدة قصائد في التأمل والتسبيح والاعتراف بقدرة اللّه وفي تحليل نفسيات الأنبياء... وبديهي والحال تلك أن يكون المستاوي في رحلة روحية نحو اللّه منطلقا من حبه الشديد لله والدعوة إليه: وبهذا اختار سبيل الصالحين والداعين للإسلام النقي وبدا يحاول ولوج باب اللّه ويسير في الطريق إليه وانه لمن الحقائق أن الإنسان لا تتأتى له الانطلاقة الكبرى نحو اللّه إلا بالعبودية الخالصة لله وحده لا شريك له والمتولدة في الإنسان بعد التأمل والتدبر ومنها بدا المستاوي.

وتأملت ما رأيت بقلبي ... وبروحي ونعمة الإلهام
من ترى يمسك السماء فتبقى ... في مداها من غير أي إنخرام
من يدير الأفلاك تجري سراعا ... في مداراتها بدون اصطدام
إنه البارئ العظيم تعالى ... صاحب الطول شارع الإسلام

وهكذا يضع الشاعر الأشياء في مواضعها ويتدبر حالاتها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة منطلقا من اقرب الحقائق للإنسان، نفسه، ليكون الدرس ويكون الطريق نحو اللّه .

مبدأ الخلق لو جعلناه درسا ... زال أصل الغموض والإبهام
انظر النطفة الصغيرة تمنى ... إنها أصلنا فهل من كلام
من دحاها إلى قرار مكين ... من أتاها بلحمها والعظام
من أشاع الحياة فيها فمرت ... بظروف دقيقة الاحكام
من حماها في جوف أم رؤوم؟ ... من حباها براحة وسلام
من أتاح النزول سهلا عسيرا ... من محل يضيق بالإبهام
من أفاض الحنان في قلب أم ... أوشكت أن تموت من آلام
من هدى الطفل نحو ثدى فأضحى ... راضعا ثديه بلا إرغام

وما من شك أن القارئ أو السامع لا يملك نفسه من الإجابة عن كل بيت. انه اللّه ... انه اللّه انه اللّه .

إنه البارئ العظيم تعالى ... صاحب الطول شارع الإسلام

ويرتفع الشاعر بادراكة إلى معرفة اللّه ... إلى تحديد دائرة الإيمان الناجع القوى... والإحساس بنور اللّه يغمر النفس ويهدى إلى سواء السبيل.

رأيتك يا ربي بنور بصيرتي ... وأدركت سر الخلد فيما تكور
رأيتك في قلبي تنظم نبضه ... وتغمره بالنور أنت المقدر
رأيتك في أكلي وشربي ولذتي ... رأيتك في نومي وما أتفكر

وبهذا يصل المستاوي إلى قمة التصوف... أي معرفة اللّه وتوحيده ووسيلته في ذلك هي الصفاء والذوبان في ذات اللّه عبر نعمه وقدرته وانطلق المستاوي من بداية الطريق... الطريق الروحي نحو اللّه من حبه الشديد لله ولرسوله الكريم والتأسي به في أدق الأمور.

احمد المجتبى شفيع الأنام ... لك دوما تحيتي وسلامي
لك عقلي سبلته ولساني ... لك قلبي ومهجتي وغرامي
لك دنياي كلها وحياتي ... لك أهلي ومطمحي ومرامي

ويؤمن المستاوي أن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى خطى الرسول واتبع سنته ولزم طريقته... وطوبى لمن عرف اللّه ... ورآه في أدق الأمور... وأحبه الحب كله... وطوبى لمن أحب الرسول... وسيلته لحب اللّه ... وتكتمل الروحانية الخالصة... ويتواصل الطريق نحو اللّه ... بالتوبة الصادقة:

الهي لئن كان مني اجتراح لذنب فضيع وعيب تراه
فإني انبت إليك واني محب لخير الورى مجتباه

وإذا ما صفت النفس وتخلصت من شوائبها... طلبت الإعانة والتوفيق لتكمل المشوار متغلبة على الشهوات والعراقيل الدنياوية.

يا كاشف الغم حالي أنت تعلمه ارحم الهي فؤادا يشتكي كمدا
أنت المجيب إذا المضطر أحرجه خطب جسيم يهد البأس والجلدا

وهكذا عاش المستاوي على الصفاء ومات على الوفاء مؤمنا بدوره ورسالته ينشر العقيدة ويبشر بالإسلام ويدعو بالتي هي أحسن متخذا من نفسه القدوة الحسنة:

وقلبي مليء بنور اليقين وروحي محلقة في سماه
هنائي رهين بما قد يرى على بائس من وفير الرفاه
فهذا طريقي... ولهو اتجاهي ولست أرى غير ذا الاتجاه

وينتهي الشاعر في نهاية المطاف إلى حقيقة وجودية شكلتها التجربة وغذتها روح المؤمن الطاهر المتعلقة باللّه .

ألا إن عيش المرء ومضة بارق فويل لمفتون يتيه ويخدع
وطوبى لعبد عاش جل حياته مع اللّه بل لله وهو التمتع

رحم اللّه الشيخ الحبيب المستاوي فقد قدم لامته الكثير الكثير ولا أظن أن الأجيال التي تتلمذت عليه ستنسى ما زودها به من روح تتسم بالجدية والواقعية وبعد النظر.

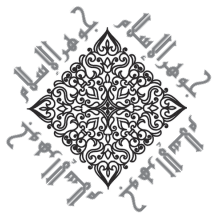

من أعلام الزيتونة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه
(1923 ـ 1975)

بقلم الأستاذ محمد العزيز الساحلي

هو المنعم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي المدرس الإمام الخطيب المفسر الفقيه الأديب الشاعر الوطني الغيور، ولد بقرية الرقبة بمدينة تطاوين سنة 1923، وبعدما حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية بمسقط رأسه التحق بجامع الزيتونة المعمور بتونس العاصمة واندرج في سلك طلبته ودرس على المشائخ الاعلام وارتقى بنجاح من سنة إلى أخرى من سنوات التعليم الزيتوني إلى أن نال شهادة العالمية ليلتحق بعد ذلك بسلك التدريس في الفروع الزيتونية بمدنين وتطاوين وقفصة وتخرج على يديه جموع من الطلبة يذكرونه ويشكرون فضله.

وكان الفقيد طيب اللّه ثراه إلى جانب خطة التدريس يقوم بنشاط وطني مكثف وكانت تحركاته محل متابعة وملاحقة من السلطات الاستعمارية الفرنسية، ولذلك ابعدته المرة تلو المرة في محاولات يائسة للحد من حركيته ونشاطه لكنه واصل مسيرته النضالية إلى أن تحصلت تونس على استقلالها. وفي بداية الستينات اختير شيخنا المفضال مع مجموعة من زملائه المدرسين وفي مقدمتهم المنعم العلامة الشيخ عمر العداسي ليكون ضمن البعثة التربوية إلى الشقيقة ليبيا فقام بهذه المهمة احسن قيام اذ كان المدرس والواعظ والخطيب والشاعر والمعد للحصص الدينية للاذاعة الليبية وارتبط بعلاقات أخوة مع نخبة من اخوانه المشائخ الليبيين التي استمرت مدة طويلة.

بعد العودة من هذه البعثة استقر فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي بالعاصمة وسكن ضاحية مقرين فبدأ بتأسيس جامع تولى الخطابة والامامة فيه إلى أسبوع وفاته وعمل رحمه اللّه صحبة مجموعة من أهل البر والإحسان على أن تكون مقرين منطقة

سكنية خالية من الحانات ونقاط بيع الخمر، وشيدوا مساجد وكتاتيب عصرية في أحياء مقرين. كما كانت للفقيد أنشطة إعلامية حيث أعد للاذاعة الوطنية حصتين أسبوعيتين قارتين (حديث الصباح وحصة لتفسير القرآن الكريم امتدت لأكثر من عشر سنوات)، بالاضافة للانشطة السياسية التي لم تنقطع من خلال حضوره الفاعل في هياكل الحزب الاشتراكي الدستوري والذي توج بنيله ثقة المؤتمرين في مؤتمر 1971 بالمنستير اذ انتخب بالاجماع عضوا في اللجنة المركزية للحزب.

هذا ولقد باشر الشيخ برد اللّه ثراه التدريس في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وأوكل إليه عميد الكلية المنعم العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مساعدته في الاشراف على قسم الوعظ والارشاد فتخرجت على يديه ثلة من خيرة الوعاظ الذين اشرف على تكوينهم وساعد الراغبين منهم على مواصلة دراستهم في بعض الدول العربية الإسلامية.

لقد اصدر فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي سنة 1968 مجلة جوهر الإسلام وهي أول مجلة دينية تصدر بعد الاستقلال وتتمخض للثقافة العربية الإسلامية انضم إلى أسرتها البقية الباقية من مشائخ الزيتونة الأفذاذ إلى جانب أشقائهم من علماء العالم العربي الإسلامي وكان بيته العامر في مقرين ملتقى هؤلاء العلماء كلما زاروا تونس يكرم وفادتهم ويفيد بهم من حوله من تلاميذه ومحبيه ويبحث معهم شؤون الامة وقضايا دينها. صدر من مجلة جوهر الإسلام في حياة الشيخ سبع مجلدات وتواصل صدورها من بعده في نفس الخط الذي سطره لها مؤسسها في عشر مجلدات باشراف ابنه البار فضيلة الشيخ الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي إلى أن احتجبت سنة 1986 عندما تعذر تواصلها على نفس الخط، ثم عادت للظهور قبل ثلاث سنوات نتمنى لها النجاح والتوفيق. تحدث أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور ابولبابة حسين عن هذه المجلة فقال: «لقد حولت «جوهر الإسلام» اعدادها إلى رياض خضراء تغذي الروح وتنشط العقل وتلبي حاجة الوجدان، فالعدد الواحد منها تجده غنيا متنوعا، ينبض ايمانا وعلما ورشدا وارشادا، وينضح تاريخا وحضارة واستشراقا، وثقافة ولغة انيقة وبيانا آسرا باقلام علماء افذاذ هم ارباب البيان امثال الشيخ الطاهر ابن عاشور ونجله النجيب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، والمفسر الفقيه الشاعر الاديب الشيخ الحبيب المستاوي وغيرهم» (انظر مجلة جوهر الإسلام، السنة18، العدد7و8، 1440/ 2019)

توفي الراحل العزيز في 12 رمضان المعظم 1395 هـ/ 18 سبتمبر 1975م اثناء تاديته لصلاة الفجر رحمه اللّه رحمة واسعة بقدر ماتدبر وفكر وقال الكلمة الطيبة وكتب وحبر واسكنه فراديس جنانه وبارك له في ابنه البار واسرته الكريمة وانا لله وانا إليه راجعون

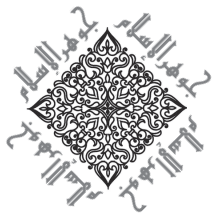

مقدمة ديوان (مع اللّه) للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

بقلم الأستاذ البشير العريبي

يـا من سما فـوق الجـلال جـلاله ... وسبـى عيـون الـوامقين جمالـه
النـور أنت .. ومـا سـواك معتـم ... لـولا ضيـاؤك لـم تـزح أقفالـه
كـرمتنـا بالعقـل .. فهـو دليلنـا ... أبـدا يحلـق، لا يحـد مجالـه
مـا دام متـزنـا يجـول بحكمـة ... لم يغـوه، رغم القصـور، خيالـه
سلحتـه بالعلـم، والشـرع الـذي ... جمع الهدى، فتـرابطت أوصالـه

رحم اللّه أخانا الشيخ **الحبيب المستاوي**، وبرد ثراه، وعفا عنه، واسكنه فسيح جنانه، لقاء ما اخلص دينه لله، وقدم من خدمات لإعلاء كلمة اللّه، ليس بأقلها هذا الديوان، وما لم يزل مخطوطا من أشعاره وآثاره.

لقد كان الرجل في كل ذلك، وسواه من سائر ألوان حياته، ملتزما -شديد الالتزام- للإسلام، مبادئ ووسائل وغايات، أصولا وفروعا، جواهر ومظاهر...

وكان يريد أن يكون مطبوعا بطابع الإيمان والإسلام:

- في حياته الشخصية كما في حياته العائلية.

- وفي حياته المهنية كما في حياته الاجتماعية وحياته الثقافية التي يندرج فيها هذا الديوان.

* لو تتبعنا نشأته الأولى، لوجدناه في طفولته يختلف -مع أتراب له- إلى كتاب القرية ليتعلم الكتابة والقراءة والخط والرسم .. وليحفظ القرآن الكريم. ولوجدناه يوالي ذلك حتى يحذق كتاب اللّه حذقا رافقه -بفضل اللّه - إلى آخر حياته.

* ولو تتبعناه في شبابه لوجدناه بين تلاميذ «**جامع الزيتونة**» يتلقى علوم الثقافة الإسلامية على اختلافها، من شرعية وأدبية وعقلية، حتى يصبح من طلبة «الجامعة الزيتونية» ويتخرج ببعض شهاداتها.

* ويؤثر هذا على اتجاهه المهني، فيعدل عن التجارة التي مارسها في بداية أمره، ليصبح مدرسا في أحد فروع جامع الزيتونة، فمنتدبا للوعظ والإرشاد بالقطر الليبي الشقيق، فأستاذا بأحد المعاهد الثانوية التونسية، أو أستاذا مساعدا بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين.

* ويؤثر هذا الجو الإسلامي الذي يعيش فيه على حياته العائلية، فيحمله على الالتزام، بينه وبين نفسه[1] بأن لا يسمي أبناءه إلا أسماء مضافة إلى «الدين» لفظا ونصا[2] ما عدا واحدا كانت الإضافة فيه إلى الدين معنى وروحا[3].

* وما من ريب في أنّ رجلا تلك مكوناته وهذا محيطه، لا بد أن يكون لكل ذلك انعكاس على سلوكه الذاتي. وشهادتنا فيه أنه كان مؤمنا عابدا لله، قانتا يحذر الآخرة، حتى توفاه ربه وهو بين ركوع وسجود فجر يوم من أيام الصيام[4].

وتؤكد تلك الشهادة شهادة -بل شهادات- أعدها الرجل بنفسه فيما خطه من مقالات، أو اسمعه من مواعظ وخطب، أو انشده أو أنشأه من أشعار. فجل ذلك ينزع فيه منزعا إلهيا، وخصوصا إذا حزبه أمر، أو نابه مكروه، فهو لا يجد ملجأ إلا رب العالمين يعتصم به «**ومن يعتصم ب اللّه فقد هدى إلى صراط مستقيم**».

يا مخـرج الأحيـاء من أمواتهـا ومقيـل رجل العبـد من عثراتهـا
ومخلص المصفـود مـن أصفـاده ومقـدر الأقـوات في أوقـاتهـا
يـا واحـدا وسع الخلائـق بـره وحمى ضعـاف الخلق من آهاتها
أنـت الملاذ لمن تطارده الـدنـا تحميـه مـن طغيانهـا وطغاتهـا

* وهنا أيضا يجب أن نقول أن وجهة الشيخ الدينية غلبت على وجهته السياسية.

(1) أشعرني بذلك الشيخ المستاوي نفسه رحمه اللّه خلال حديث أخوي وبصورة عرضية.
(2) أفادني كبير أنجال الشيخ: الأستاذ صلاح الدين المستاوي صاحب مجلة (جوهر الإسلام) ورئيس تحريرها أن الشيخ خلف من الأبناء: صلاح الدين، جمال الدين، عز الدين، بدر الدين، محمدا، نصر الدين، حسام الدين.
(3) هو (محمد) الذي ولد وسمي عندما كان الشيخ في رحلة بعيدة.
(4) 12 رمضان 1395-18 سبتمبر 1975.

ذلك انه مثلما جرب مهنيا التجارة ثم مال إلى التدريس فقد جرب العمل السياسي واضطلع ببعض المسؤوليات فيه أمدا لم يلبث أن اقتنع بعده أنه خلق للحياة الاجتماعية دونه، وخصوصا منها الدينية الإسلامية، فمحض نفسه لها، ولكن بعد أن تركت الممارسات السياسية في حياته بعض آثارها.

* وجاءت الحياة الاجتماعية الدينية التي آثرها، ونشط في مجالها، خصبة بحق، بارك اللّه له فيها، وطال نفسه بها، وسجلت له فوائد دينية تذكر، وعوائد أدبية تشكر، **(وما عند اللّه خير وأبقى)**:

– كان الشيخ المستاوي خطيبا في مسجد جامع على مدى سنوات، يحرص على التفاعل مع الأحداث الإسلامية الجارية، ويحمل جمهور المصلين على أن يتفاعلوا معها مثله، فلذلك كان يرتجل خطبه ارتجالا، ولا يخطها بالكتابة تحنيطا.

وهو يعتمد في ارتجاله على ما وهبه اللّه من وعي للحقائق، ومعرفة بالدين، وشجاعة في إعلان الحق، وحفظ لنصوص الكتاب والسنة، ولسانة تفصح عن المطلوب، وانسجام مع الحاضرين.

– وكان الشيخ المستاوي مدرس وعظ وإرشاد، له في العديد من جوامع العاصمة التونسية وأحوازها القريبة مجالس يلتقي فيها بعامة الناس، فيلقى إليهم بمعارف دينية ينير بها سبيلهم إلى اللّه، ويتلقى مسائلهم ويجيب عنها بما أعطاه اللّه من فقه في الدين وبذلك خرج من دائرة الكتمان، إلى ما يرضى الملك الديان.

– وكانت للشيخ المستاوي مشاركة في الملتقيات الإسلامية، داخل تونس وخارجها، ومساهمة فيما يقدم بها من بحوث ودراسات، ونشر لجل ما ألقى بها في مجلته «**جوهر الإسلام**».

– وكانت له لقاءات إسلامية مع بعض عملتنا بالخارج، وخصوصا بفرنسا حيث التقى –غير مرة– بجموع من المسلمين عن طريق التونسيين هناك.

– وفي هذا الميدان الاجتماعي كان الشيخ المستاوي من ذوي النشاط في المنظمات الملتزمة الهادفة، وأحقها بالذكر «**الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم**» التي كان حتى وفاته أمينها العام. يعمل مع العاملين فيها بمختلف الوسائل والأساليب، على نشر كتاب اللّه بين الناشئة والراشدين، وإحياء لما تضمنه ذلك الكتاب من أحكام وحكم، ابرز المستاوي بعضها فيما تولى تفسيره من آيات

بينات[1]، كما عبر عنها في مختلف قصائده الإسلامية، كقوله ضمن قصيدته: «**في حمى المصطفى**»:

اسمعوا صيحة الرسول ينادي: يا لقومي، ويا لأهل الضاد!
اسمعوه يتلو (الكتاب) عليهم باتزان وحكمة واعتداد
ليس شعرا.. وليس سحرا.. ولكن فيض سر، وما له من نفاد
معجز اللفظ، محكم النسج، بحر للمعاني الفسيحة الأبعاد
فيه من عبرة القرون دروس محكمات لطالب الإرشاد
فيه للحكم والنظام دساتير وفيه عمران كل بلاد
فيه وعظ منبه وعنيف فيه بشرى ودعوة للجهاد

* ومثلما كانت حياة الشيخ المستاوي الاجتماعية خصبة، كانت حياته الثقافية على حظ من الخصب والثراء.

– فقد قضى أمدا ليس بالقصير يقدم إلى مستمعي الإذاعة الوطنية التونسية حصتين في الأسبوع، تلتقيان في منهجهما الديني، وروحهما الإسلامية مع ما كان عليه في حياته الاجتماعية.

إحدى الحصتين : حديث الصباح.

وثانيهما : حديث الجمعة.

– ولعل أهم نشاط ثقافي قام به الشيخ **الحبيب المستاوي** رحمه اللّه هو إصداره[2] «مجلة ثقافية إسلامية جامعة»، تحمل عنوان «**جوهر الإسلام**» تمرع اليوم في ربيعها الثاني عشر، بفضل ما بذل لها في حياته من جهد ومال، وما يبذله لها اليوم –ومنذ وفاته– نجله البر الأستاذ صلاح الدين المستاوي وبعض إخوانه وبعض أصدقاء الشيخ.

وعلى صفحات هذه المجلة بدأ الناس يقرؤون جل ما نشر على صفحات هذا الديوان من قصائد ومقطوعات كان يجمع بينها عنوان: تأملات إسلامية».

(1) كان أعد تفسير تلك الآيات لحصة إذاعية كان منتجها وهي الآن تنشر تباعا في مجلة «جوهر الإسلام».
(2) سنة 1388هـ1968–م.

وقد كانت تلك القصائد هناك في المجلة كما هي هنا في الديوان متعددة الموضوعات منوعتها، وان كان بينها سلك جامع، هو النزعة الدينية الإسلامية، والرغبة في الكشف عن محاسن الإسلام وكتابه ورسوله وكافة رسل اللّه وأنبيائه من آدم إلى محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وعرض لمبادئ الإسلام الحنيف وأصوله، والذب عنها، وإيقاظ همم المسلمين لينسجوا على منوال سلفهم الصالح في بناء الكيان الإسلامي المتين، ونشر الحضارة الإسلامية في العالمين، بما جعلها اليوم حضارة إنسانية واضحة المعالم تخدم البشرية خدمة جليلة، وتوفر لها أسباب الخير والسعادة.

* فهو يحدثنا عن مولد رسول اللّه وبعثته وما جلبته من خير عميم، فيقول عنه -صلى اللّه تعلى عليه وسلم- انه:

هدية من إله العالمين لنا ... أكرم بها تحفة تسمو عن المثل
ضمت ينابيع خير ثرة أبدا ... عبيرها إن ترد أحلى من العسل
طارت بنا في مجال السبق، واندفعت ... مثل الصواريخ في تحليقها العجل
في كنهها الخير كل الخير إن فهمت ... بدون حيف، ولا زيغ ولا حيل
ألم نشاهد ظلال الأمن وارفة؟! ... ألم تخفق له الرايات في القلل؟!
ألم يسد في ربوع الأرض قاطبة ... بالعلم والعدل، لا بالسيف والأسل؟![1]

وهذا الدفاع المستميت عن العقيدة والشريعة قدر مشترك بين قصائد هذا الديوان مهما يكن موضوعها.

* اقرأ إن شئت قصيدته منوعة القوافي: «**إلى اللّه أشكو**»، فستجد في كل مقطع منها موضوعا يكاد يكون مستقلا عن سابقه ولاحقه، ولكنه يتصدى فيه لمناهضي الإسلام، والمنحرفين عنه من أبنائه، فيناقشهم الحساب بطريقته الإيمانية المتحمسة، ويختمها بهذا المقطع:

إلى اللهّ أشكو شعارات جنس ... تغنى بها قبلنا كل نكس
تباعد بين الأشقاء دوما ... وتقصى عن اللهّ حقا وتنسى
شعوبية حطمت صرحنا ... ولم ينج منها لنا أي أس

(1) انظر قصيدته «الم نشاهد ظلال الأمن وارفة».

أعـادت بقايـا قـرون تـولـت[1] وأصبـح كـل ورا هـم نـفـس
وقـد وحـدتـنـا شـريعـة طـه فكـانـت لأمـتـنـا خيـر تـرس
وكـانت ضيـاء وصبحـا وضيئـا وكـانت لنهضتنـا مثـل شـمـس
تبـدد زيـف القـرون الخـوالي ولـمـا تـذر أي شـك ولـبـس
سمـونا بهـا فـوق هـام النجـوم وجـزنـا حـضـارة روم وفـرس
فـلا اللـون فـي ديننـا فـارق ولا العـرق يـدنى بغيـر التـأسي
ربـاط العـقيـدة أسمـى ربـاط فيـا ويـح من باعها بيع بخـس!!..

* وبمثل هذا الحماس في الذب عن الإسلام ومبادئه يستحث المسلمين اليوم على مواجهة قضاياهم المصيرية بالصبر والمصابرة والجهاد والجلاد.

فاقرأ ما نظمه في ذكرى غزوة بدر الكبرى، وانظر كيف استلهم منها العبرة، واستخلص درسا يصلح اليوم للمسلمين في جهادهم بفلسطين:

يـا (بـدر) إنـك فيصـل ومنـارة تـوحـى لأتبـاع الهـدى بفـخـار
يـا أهـل بـدر والـزمـان مسجـل صـور البطـولـة مشعـلا للسـارى
إنـا لـنـركـع للجـلال تـحيـة تـوحـى بمعنـى العـز والإكبـار
إنـا نحيـى الـذكـريـات تجلـة للـخـالـديـن، هـداتـنـا الأبـرار
وبـروحـهـم: روح الفـداء، نـخـوضـهـا بـالـقـدس، تـمـحـو طـغـمـة الأشـرار
والنـصـر يبعثـه الإلـه لجـنـده والـفـوز لـلأبـطـال والـثـوار[2]

لو استرسلنا في عرض النماذج لكان علينا أن نسرد الديوان سردا آخر. وليس من همنا في هذه المقدمة أن نفعل هذا أو نقوم بدراسة تحليلية لشعر المستاوي، ولكن غايتنا التعريف ببعض ظروف الرجل واتجاهاته في الحياة، عسى أن يعين ذلك قارئ الديوان على فهمه. ومن هنا لن نعن بالشكل الذي قدمت به قصائد الديوان ومقطوعاته.ذلك أن لكل إنتاج شكلا معينا أو أشكالا، وله محتوى هو الجوهري منه ومهما يكن حكمنا على الشكل في شعر المستاوي فان محتواه الأصيل النبيل يعطيه من الأهمية ما فيه الكفاية، ويوليه العناية، وإن قدم -أحيانا- في قالب لا يرضى عنه الفن كل الرضى.

(1) يعنى عصور الجاهلية، إذ الشعوبية التي يندد بها نوع من دعوى الجاهلية التي ينكرها الإسلام.
(2) انظر قصيدة: « اللّه اكبر في الكفاح شعارهم».

ولئن كان القديم يقول! «الشعر نكد، يقوى في الشر، ويضعف في الخير»!

فإن المحدثين انتهوا إلى أنّ الأدب –ومنه الشعر– التزام أو لا يكون.

وفي هذا المجال الالتزامي –بالمعنى الإسلامي والمعنى الأدبي على السواء– كم ذا نجد المستاوي في ديوانه وفي غيره من الاشعار التي لم يحوها الديوان من آثار جديرة بالتأمل والاعتبار، اختم هذا التقديم بقطعة منها [1]

إلهي، لئن كان مني اجتراح ... لذنب فظيع، وعيب تراه
ومطل لدين، وترك لحق ... ولغو يردد بين الشفاه
وجري وراء طموح كذوب ... تكيفني كيف شاءت يداه
فاني أنبت إليك. واني ... محب لخير الورى. مجتباه
وقلبي مليء بنور اليقين ... وروحي محلقة في سماه
أشارك أهل الشقاء المرير ... وأسعى لإنقاذهم من لظاه
وأرثى لحال الأبي الهمام ... إذا دهره في هوان رماه
وانفر من طائش ارعن ... يرى عابثا ساخرا بالأباه
ويسعدني ما أرى من نعيم ... يصرفه ربه في تقاه
وأجمل شيء أهيم به ... وأنسى همومي إذا ما أراه
توطد ركن الإخاء النزيه ... وتوثيق أسبابه وعراه
وبسط الأكف برفد بريء ... يراد به وجهه لا سواه
ومحو السخائم من أنفس ... أناخ بها الحقد.. ألقى عصاه
هنائي رهين بما قد يرى ... على بائس من وفير الرفاه
وهذا طريقي.. ولهو اتجاهي ... ولست أرى غير ذا الاتجاه

تلك – قارئي – ملامح من الرجل قدمتها بين يدي ديوانه، وفيها هنا وهناك لقطات تعطيك ملامح من شعره أو تعينك على تحديد وجهته في الحياة فان لم تفدك المقدمة شيئا من ذلك فاحرص على اكتشاف الرجل بنفسك من خلال ديوانه.

وواضح أنني إذ أرجو أن تجد في المقدمة ما يعينك على تحديد وجهة صاحب الديوان في (الحياة) لا أكاد التزم لك بأنك ستجد فيها ما يحدد لك وجهته في (الشعر) لأن مذاهب الشعر شتى، وقلما التزم شاعر مذهبا منها في كل أشعاره وإن كان إمام المذهب.

(1) انظر قصيدته: «اعد مجده – يا الهي جديدا».

وما من ريب:

أ) في أن اندماجك مع الشاعر في ديوانه هو خير ما يعرفك بمكانته في الشعر، وذلك أفضل ألف مرة من أن يقدم إليك رأي جاهز وقد تتبناه بلا روية، ثقة في قائله، أو اعتمادا على انه اعرف منك بصاحب الديوان، والصق بشعره.

ب) في أن مذهبه الشعري، أي منحى انتحى، وعلى أية درجة من سلم الشاعرية وضعه، لا يقوى على أن يقصيه من مذهبه في الحياة. وهو مذهب سليم حكيم، يضعه:

– من جهة إزاء الحياة الواقعية والأحياء. ليعيش معهم آمالهم وآلامهم، أفراحهم وأتراحهم، ويعبر عن الرغبة في التماس حياة أكمل وأفضل.. وذلك اصدق ما انتهى إليه مذهب الالتزام في الأدب.

– ومن أخرى إزاء الدين الإسلامي الحنيف والمسلمين ليصور ماضيهم المجيد، وحاضرهم الآمل، ويعبر عن مستقبلهم الطموح، وذلك من اجل وأجمل ما يمكن أن يفضى إليه الإيمان الصادق والشاعرية الشاعرة.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

ليس بين الناس وبين الاسلام الا معرفة حقائقه

ليس بين الناس وبين الإسلام إلا معرفة حقيقته ونصاعة الداعي إليه ، وهذان الركنان الأساسيان هما اللذين ينشدهما المجتمع البدائي والمجتمع المتقدم فما أحوجنا في هذه الظروف التي يجتازها العالم الإسلامي بل والعالم بأسره إلى رجال يجعلون شعارهم التوسط في كل شيء (و خير الأمور أوساطها) ويجعلون شعارهم أيضا الاعتدال والإشفاق والحب ويبتعدون عن الملق والمصانعة من أجل تحقيق الغايات الشخصية الرخيصة تلك الغايات التي تفقدهم هيبتهم وتجعلهم يبؤون بالخسران الآجل والعاجل ويبتعدون أيضا عن اليبوسه والتطرف وحمل الناس على محمل السوء قبل أن يتبين منهم ذلك بقول أو عمل . وفقهاؤنا الكبار قد قرروا منذ أزمنة بعيدة (أن الناس محمولين على العدالة ما لم يتبين خلافها) وأيضا أثبتت التجربة العملية أن المبلسين الذين ضرب على قلوبهم بالأسداد وتمحظوا للشر والفسوق والعصيان ليسوا أكثرية في البشر بل هم أقلية في كل زمان ومكان يمكن أن يعطل شرها وتشل حركتها إذا ما استعمل دعاة أنصار الفضيلة الطرائق الحكيمة

من كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث

تأليف احمد عبد اللطيف الجدع وحسني ادهم جرار

حياته:

ولد **الحبيب المستاوي** عام 1342هـ، 1923م بقرية الرقبة-تطاوين ولاية مدنين في تونس الخضراء... ونشا في بيت علم وأدب.. وكان في طفولته يختلف إلى كتاب القرية ليتعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.. فحفظ القرآن وأصول العربية على يدي جده لأبيه المرحوم أحمد **المستاوي**.. وحذق كتاب اللّه حذقا رافقه إلى آخر حياته.

والتحق بجامع الزيتونة سنة 1935م ليتلقى علوم الثقافة الإسلامية على اختلافها، من شرعية وأدبية.. وتخرج فيه حاملا الشهادة العالمية في الآداب سنة 1951م.

وباشر التدريس بالفرع الزيتوني بمدنين ثم نقل إلى قفصة وعاد إلى تطاوين إلى أن انتدب للتدريس والوعظ ضمن بعثة تونسية إلى القطر الليبي سنة 1961م. وعاد من ليبيا ليعمل أستاذا للشريعة وأصول الدين بالكلية الزيتونية.. وظل من أساتذتها إلى أن نقل إلى قفصة للتدريس بأحد معاهدها. وتولى التدريس بالأكاديمية العسكرية عدة سنوات إلى أن أحيل على التقاعد عام 1395هـ، 1975م.. وفي شهر رمضان المبارك من العام نفسه انتقل إلى دار البقاء رحمه اللّه .

نشاطه:

الشيخ المستاوي عالم فاضل من علماء تونس اخلص دينه لله وقدم خدمات جليلة لإعلاء كلمة اللّه .. كان شديد الالتزام بالإسلام، وكان يحاول أن يكون مطبوعا

بطابع الإيمان.. في حياته الشخصية والعائلية والمهنية والاجتماعية والثقافية. مارس الأستاذ **المستاوي** مهنة التجارة في بداية حياته العملية ثم مال إلى التدريس، وجرب العمل السياسي واضطلع ببعض المسؤوليات فيه ولم يلبث بعده أن اقتنع انه خلق للحياة الاجتماعية والدعوة إلى الإسلام.. فمحض نفسه لها..

وجاءت حياته الاجتماعية التي آثرها، ونشط في مجالها خصبة بحق.. فكان الشيخ **المستاوي** خطيبا في المسجد الجامع بمقرين على مدى سنوات، وكان يحرص على التفاعل مع الأحداث الإسلامية الجارية، ويحمل جمهور المصلين على أن يتفاعلوا معها مثله، ويرتجل خطبه ارتجالا يعتمد فيه على ما وهبه اللّه من وعي للحقائق، ومعرفة بالدين، وشجاعة في إعلان الحق، وحفظ لنصوص الكتاب والسنة، ولسانة تفصح عن المطلوب، وانسجام مع الحاضرين.

وكان الشيخ **المستاوي** مدرس وعظ وإرشاد، له في العديد من جوامع العاصمة التونسية مجالس يلتقي فيها بعامة الناس، فيلقي إليهم بمعارف دينية ينير بها سبيلهم إلى اللّه، ويتلقى مسائلهم ويجيب عنها بما أعطاه اللّه من فقه في الدين.

وقام بعدة نشاطات اجتماعية ونقابية وسياسية.. ومارس الخطابة والمحاضرة على منابر النوادي واللجان الثقافية في مختلف ولايات الجمهورية التونسية..

وكان من ذوي النشاط في المنظمات الاجتماعية الهادفة، وأهمها في نظره «الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم» التي كان حتى وفاته أمينا لها، يعمل مع العاملين فيها بمختلف الوسائل والأساليب، على نشر كتاب اللّه بين الناشئة والراشدين، وإحياء ما تضمنه ذلك الكتاب من أحكام وتعاليم، ابرز **المستاوي** بعضها فيما تولى تفسيره من آيات بينات.

ولم يقتصر نشاط الشيخ **المستاوي** على بلده فكانت له لقاءات إسلامية داخل تونس وخارجها، ومساهمات كثيرة فيما يقدم من بحوث ودراسات.. وقد قام بعدة زيارات لبلدان إسلامية وشارك في لقاءات ومؤتمرات إسلامية في السعودية والجزائر وليبيا.

وكما كانت حياة الشيخ **المستاوي** الاجتماعية خصبة، كانت حياته الثقافية على حظ من الخصب والثراء.. فقد قضى مدة طويلة يقدم إلى مستمعي الإذاعة الوطنية التونسية درسين في الأسبوع في التفسير والحديث تتجلى فيهما الروح الإسلامية الحقة.. ولعل أهم نشاط ثقافي قام به **الحبيب المستاوي** رحمه اللّه هو إصداره مجلة

ثقافية إسلامية جامعة عام 1388هـ تحمل عنوان «**جوهر الإسلام**» وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها إلى تاريخ وفاته.. وما زالت تصدر حتى اليوم بفضل ما بذل لها في حياته من جهد ومال، وما يبذله لها اليوم نجله الأستاذ صلاح الدين **المستاوي** وبعض إخوانه وأصدقائه.

وعلى صفحات هذه المجلة كان الناس يتابعون مقالات الشيخ الإسلامية وقصائده الشعرية.. كما كانوا يتابعونها في مجلات أخرى كالبلاغ الكويتية والشهاب اللبنانية ورابطة العالم الإسلامي المكية والهدي الإسلامي الأردنية ودعوة الحق المغربية والصباح التونسية..

وكان لهذا الجو الإسلامي الذي عاشه الشيخ اثر كبير على حياته العائلية، فحمله على الالتزام بينه وبين نفسه بأن لا يسمي أبناءه إلا أسماء مضافة إلى «الدين» لفظا ونصا ما عدا واحدا كانت الإضافة فيه إلى الدين معنى وروحا[1]..

وما من ريب أن رجلا تلك مكوناته وهذا محيطه، لا بد أن يكون لكل ذلك انعكاس على سلوكه الذاتي.. فلقد كان مؤمنا عابدا لله قانتا يحذر الآخرة حتى توفاه ربه وهو بين ركوع وسجود وعمل وجهاد..

وبعد وفاته قام ولده محمد صلاح الدين **المستاوي** بجمع أعماله شعرا ونثرا في أسفار لتكون بين أيدي المسلمين في تونس وخصوصا الشباب الذين رباهم الشيخ على الإيمان وآمن بقدرتهم على تغيير أوضاع المسلمين في بلدهم الحبيب..

وصدرت المجموعة الأولى من أعمال **الحبيب** في الذكرى الخامسة لرحيله وكانت مجموعة شعرية بعنوان «**مع اللّه**».

شعره:

الشيخ **المستاوي** عالم وشاعر.. عالم قضى حياته في مقاومة التغريب ورد الناس إلى حظيرة الإسلام..

وشاعر تطلع إلى أبناء أمته وهم يلهثون وراء الحضارة الغربية في كل أمورهم، فهاله حالهم.. وجاء شعره نداءات وصرخات، وزفرات وأنات ملأت عليه قلبه فنطق

(1) خلف الشيخ من الأبناء: صلاح الدين، جمال الدين، عز الدين، بدر الدين، محمدا، نصر الدين، حسام الدين.

بها لسانه وخطها يراعه فوجدت في نفوس المسلمين وجموعهم صدى.. إذ أصبحنا نلمح في الأفق تباشير نهضة ويقظة وعودة حقيقية إلى الإسلام..

قال الشعر في نواح منوعة وموضوعات متعددة.. قاله في دعوة الناس للعودة إلى الإسلام.. وقاله في المناسبات الإسلامية كالهجرة والمولد النبوي الشريف، وقاله في رثاء العلماء ودعاة الإسلام، وقاله في التأملات والابتهالات وفي الشكوى إلى اللّه من المنحرفين عن الإسلام..

والدارس لشعره يرى فيه النزعة الإسلامية، والرغبة في الكشف عن محاسن الإسلام، وعرض مبادئه القويمة والذب عنها، وإيقاظ همم المسلمين لينسجوا على منوال سلفهم الصالح في بناء الكيان الإسلامي المتين، ونشر الحضارة الإسلامية في العالمين..

فهو يدعو الناس إلى الاقتداء بالرسول صلى اللّه عليه وسلم والى العودة إلى القرآن الكريم.. فيقول في قصيدة بعنوان «في حمى المصطفى»:

اسمعوا صيحة الرسول ينادي: يا لقومي، ويا لأهل الضاد!
اسمعوه يتلو (الكتاب) عليهم باتزان وحكمة واعتداد
ليس شعرا.. وليس سحرا.. ولكن فيض سر، وما له من نفاد
معجز اللفظ، محكم النسج، بحر للمعاني الفسيحة الأبعاد
فيه من عبرة القرون دروس محكمات لطالب الإرشاد
فيه للحكم والنظام دساتير وفيه عمران كل بلاد
فيه وعظ منبه وعنيف فيه بشرى ودعوة للجهاد

ويدعو الشباب إلى الاعتزاز بالإسلام والى الذود عن مبادئه فينظم قصيدة في ذكرى «الإسراء والمعراج» عام 1380هـ يقول فيها:

يا من حظيت بالانتما لمحمد أفخر بدينك ما عليك جناح
وارفع على هام الزمان لواءه وليخس قزم عائب نباح
وازأر إذا ديس الحمى من أرعن فلقد يذود عن الحمى مطماح
والهمة القعساء ضربة لازب وبدونها عرض الشريف يباح
وادع الذين تنكبوه غواية وتوغلوا في غيهم وأشاحوا
أن يكرعوا فلقد تفجر نبعه يروي العطاش وانه لقراح

ولسوف يبقى دين طه خالدا و اللهّ أكبر والحياة كفاح

ويقف الشيخ **المستاوي** في وجه دعاة التغريب الذين يلهثون وراء الحضارة الغربية ويدعون إلى تغريب امة القرآن.. فيقول في قصيدة بعنوان «فخضها بعون اللّه ».

وما فلسفات الغرب إلا خرافة وما هي إلا كالطّلاء على الجلد
لئن حققت بالعلم زحفا إلى الفضا وأنتجت الصاروخ للفتك والهدّ
فما حققت للروح شيئا مشرّفا يميّز أهل العقل عن فئة الأسد
لقد أمعنت في السير نحو نهاية أراها وأيم اللّه جريا إلى اللحد
ولست أعادي العلم أنكر نفعه ولكنّه قد صار كالمارد الوغد

ويقف شامخ الرأس أمام الطغاة الذين يريدون أن يلووا عنان القافلة الإسلامية ويقيمون سد الظلام أمام الهدى والنور الذي جاء به الإسلام.. فينظم قصيدة بعنوان «إليك شباب المسلمين» يقول فيها:

وللحائر المقهور في الأرض منفذ إلى عالم التحرير يرجى ويقصد
فلا العسف بعد اليوم يثنيه صاغرا ولا بابه المفتوح للنّور يوصد
لقد أرسل الرحمن منقذ خلقه منار الهدى وهو النبي (محمّد)
يسدد للطاغوت أفتك طعنة وللواحد القيوم يدعو ويعبد
وكم زعزع الطغيان حقٌّ مجلجلٌ وكم دك للطغيان صرح ممرّد
هي الثورة العظمى على كلّ فاسد هو الحق مهما صعد العسف يصمد

إلى أن يقول:

لئن أدبرت عن خالص النصح أمّة وقامت لأهل النصح ترغي وتزبد
فلن يعدم الدّاعي إلى اللهّ عصبة تناصره والحق بالحق يسند

وبمثل هذا الحماس في الدعوة إلى الإسلام ومبادئه والوقوف أمام أعدائه نراه يستحث المسلمين على مواجهة قضاياهم المصيرية بالصبر والمصابرة والجهاد والجلاد.. فيقول في قصيدة بعنوان « اللّه اكبر في الكفاح شعارهم» نظمها في ذكرى غزوة بدر الكبرى.. واستلهم منها العبرة، واستخلص درسا يصلح اليوم للمسلمين في جهادهم بفلسطين:

يا (بدر) إنك فيصل ومنارة توحى لأتباع الهدى بفخار

يـا أهـل بـدر والـزمـان مسجـل ... صـور البطـولـة مشعـلا للسـارى
إنـا لـنـركـع للجـلال تـحيـة ... تـوحـى بمعنـى العـز والإكبـار
انـا نحيـى الـذكـريـات تجلـة ... للـخـالـديـن، هـداتـنـا الأبـرار
وبـروحهـم: روح الفـداء نخوضهـا ... بـالقـدس تمحـو طغمـة الأشـرار
النصـر يبعثـه الإلـه لجنـده ... والفـوز للأبطـال والثـوّار

ويرى شاعرنا ان للأدب اثره الفعال في توجيه الناس وان للشعر دوره في آثاره النفوس وتحريك الهمم.. وأن على الأدباء أن يبرزوا تراثنا الخصيب ويزيحوا عنه ما لحقه من أوهام وركام.. فينظم قصيدة بعنوان «واقعنا» يوجهها إلى مؤتمر الأدباء العرب يقول فيها:

ألا فليكـن للشـعر مركـزه الفخـم ... ففـي ملتقـى الأحـرار يحلو لنـا النظم
ألا فانثـروا تلـك الكنانـات ولتكـن ... سـهام الـقسي المشرعـات بهـا السـمّ
فما ضجعـة الأقـوام إلا حصيلـة ... لنومـة شـحرور ألمّ بـه العقـم
ومـا كان عـزم اليعـربي مثلجـا ... ومـا كان خـدّ الحـر يلحقـه اللطـم
فهـل صوّحت تلـك الخميلة أم غدت ... أجاديـب لم يبرح جوانبهـا العـدم؟
وهـل أنّ أم الفـارهين تقزّمـت ... فليـس لها إلا المشـوه والقـزم؟
سـوانا مـع الأفلاك حلـق باحثـا ... ليعلـم مـا يطـوي بأحشـائه النجـم
ونحـن قبعنـا لا نحـرّك سـاكنا ... كفانـا هوانـا ذلـك الوخـز واللكـم
وخلفهمـو نجـري عبيـدا أذلـة ... لأكل فتـات مـا بـه الشـحم واللحـم
ومـن عـاش يرجـو مـن لئيـم تكرّمـا ... فليـس لـه إلا القمامـة والعظـم
لنـا الخصـب في أحلامنـا، وتراثنـا ... خصيـب إذا ما زحزح الوهـم والردم
لأمّتنـا الحسـن الطبيعـي مفـردا ... ووجه الحسـان البيض يمسخه الوشم

ويفقد دعاة الإسلام علما من أعلامهم في تونس.. ويطوي الموت صوتا مجلجلا قضى حياته يبشر بالإسلام ويجمع الناس عليه.. فيودعه الحبيب باللوعة والحزن وتفيض شاعريته بمراثٍ صادقة تصف فقيد الحركة الإسلامية في تونس العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه اللّه .

ومن مراثيه في الفقيد قصيدة بعنوان «فأين الهداة المخلصون لدينهم»؟ قال فيها:

ألا ليت شعري هل من الموت مهربُ وهل يدفع المقدور طب يطبّبُ
وهل يقبل المولى بديلا وفدية لمن لم يزل دور الطليعة يلعب
فهذا ولي اللّه من عاش (طاهرًا) وخلد ذخرًا نبعه ليس ينضب
لقد عاش بين الناس عيشة مصلح وعيش ذوي الإصلاح مرّ معذب
قليل همو الواعون أهداف نهجه وغير همو ناب عليه ومخلب

وقال يصف لقاءاته مع الشيخ الفقيد.. تلك اللقاءات التي تدارسا فيها أحوال المسلمين وقاما بتشخيص الداء ووصف الدواء لأمة قادها المضللون إلى مسالك الجهل وانحرفوا بها بعيدا عن الإسلام.. قال:

درسنا مع الشيخ العظيم ظروفنا وأوضاعنا والدرس واف ومسهب
فكان لباب الرأي أنّ شعوبنا طواها مع الأيام جهل مركّب
يزهدها في منهج اللّه كاذب يعلمه التلفيق من هو أكذب
يدس على الإسلام ما ليس ينطلي على من له عقل حصيف مدرّب
فلا بد من بعث صحيح أساسه كتاب من الرحمن جاء يؤدب
وهدي رسول اللّه من شاد أمّة على العلم والتوحيد تغزو فتغلب
هما العنصران الخالدان وفيهما كنوز لمن عنها مجدًا ينقب

وكان رحمه اللّه ينزع في شعره منزعا إلهيا، وخصوصا إذا حزبه أمر، أو نابه مكروه، فهو لا يجد ملجأ إلا رب العالمين يعتصم به.. «**ومن يعتصم باللّه فقد هدي إلى صراط مستقيم**».. قال في قصيدة من ابتهالاته بعنوان « اللّه »:

يا مخرج الأحياء من أمواتها ومقيل رجل العبد من عثراتها
ومخلص المصفود من أصفاده ومقدر الأقوات في أوقاتها
يا واحدا وسع الخلائق بره وحمى ضعاف الخلق من آفاتها
أنت الملاذ لمن تطارده الدّنا تحميه من طغيانها وطغاتها

وقال في قصيدة بعنوان «الحمد لله»:

الحمد لله ذي الإمداد والمدد الحمد لله فوق الحصر والعدد
الحمد لله في سر وفي علن الحمد لله في البأساء والرغد

الحمد لله بالأحشاء أجمعها وبالفؤادوبالوجدان والجسد
الحمد لله عن دين شرفت به وعن هداية رب مفرد صمد

ومع استعراضنا السريع لألوان من شعره نرى أن الشيخ **المستاوي** شاعر ملتزم بالمعنى الإسلامي والمعنى الأدبي على السواء... شاعر صور الحياة الواقعية لأبناء أمته وعاش معهم آمالهم وآلامهم، وأفراحهم وأتراحهم، وعبر عن الرغبة في التماس حياة أفضل وأكمل.. شاعر آمن بالإسلام عقيدة ومنهاجا للحياة، وصور المسلمين في ماضيهم المجيد، وأشفق عليهم في حاضرهم، وعبر عن مستقبلهم الطموح..

إلهي، لئن كان مني إجتراح لذنب فظيع، وعيب تراه
ومطل لدين، وترك لحق ولغو يردد بين الشفاه
وجري وراء طموح كذوب تكيفني كيف شاءت يداه
فإني أنبت إليك، وإني محبّ لخير الورى مجتباه
وقلبي مليء بنور اليقين وروحي محلقة في سماه
أشارك أهل الشّقاء المرير وأسعى لإنقاذهم من لظاه
وأرثي لحال الأبي الهمام إذا دهره في هوان رماه
وأنفر من طائش أرعن يرى عابثا ساخرا بالأباه
ويسعدني ما أرى من نعيم يصرفه ربه في تقاه
وأجمل شيء أهيم به وأنسى همومي إذا ما أراه
توطد ركن الإخاء النزيه وتوثيق أسبابه وعراه
وبسط الأكف برفد بريء يراد به وجهه لا سواه
ومحو السخائم من أنفس أناخ بها الحقد، ألقى عصاه
هنائي رهين بما قد يرى على بائس من وفير الرفاه
فهذا طريقي ولهو اتجاهي ولست أرى غير ذا الاتجاه

مختاراتنا من شعره:

1 – «نداء».. قصيدة نظمها الشاعر في ذكرى المولد النبوي الشريف.. وصف فيها رسالة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وما حققت للبشرية من خير وهدى.. ووجهها إلى أمة الإسلام في هذه الأيام لتفيق من سباتها وتعود إلى سالف عزها ومجدها.

2- قصيدة «لهيب العزم».. زفرات وحسرات.. انطلقت من قلب الشاعر لتنير النفوس وتهز القلوب وتوقظ النيام.. قصيدة تصف النار التي أحرقت الأقصى،.. وتتحدث عن العرب الذين فقدوا غيرتهم وتبلد إحساسهم وكأنهم خشب مسندة.

3- «إلى اللّه أشكو».. كانت آخر قصيدة للشاعر.. وهي قصيدة طويلة هادفة نشرت تباعا على حلقات بمجلة «**جوهر الإسلام**» وكان القراء يتابعونها بشغف ولهفة لما امتازت به من جرأة وتصوير دقيق ونقد هادف لفئات مختلفة من المجتمع.. قصيدة منوعة القوافي.. في كل منها موضوع يكاد يكون مستقلا عن سابقه ولاحقه..

قصيدة يتصدى فيها لأعداء الإسلام، والمنحرفين عنه من أبنائه.. فيناقشهم الحساب بوعي وإيمان.

كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث (الحلقة9)

تأليف احمد عبد اللطيف الجدع وحسني ادهم جرار

مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1403هـ-1983م

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله :

الإسلام لا يحد من نشاط العاملين

أصالة الشعوب و رفعتها في إيمانها بقيمها الروحية التي هي مصدر للمشاعر النبيلة و مثار للهمم العليا و دافع لقوى الخير الكامنة في الإنسان ...

و ليس ديننا الحنيف مما يحد من نشاط العاملين القائمين بالأعباء المادية ، و المهام العلمية و الصناعية ، التي لا محيص عنها لكل أمة تنشئ الحياة و تسعى للرقي ، وتاريخ الحضارة الإسلامية خير شاهد على ذلك

ساعة مع شيخ البلاغة

بقلم الاستاذ منصور بوليفة

مقدمة:

اقول وانا اعرف الرجل معرفة قطع وتحقيق

تعمم يا شيخ- هكذا اجاز الشيخ الفاضل بن عاشور، الحبيب المستاوي بعدما انس منه فطنة وراى فيه قدرة تؤهله ان يرتب مرتبة الاشياخ والاجازة في الاصطلاح هي الاقرار بقدرة المبلغ على ايصال المعلومة إلى السامع بحيث يحصل السكوت.

ولا شك عندي ان الشيخ كان من البلاغة والفصاحة والدقة ما يجعل اللغة ترقى إلى مرتبة التوقيف عنده.

وهذا الاقتناع قديم، ازداد متانة في الآونة الاخيرة حيث قدم- مشكورا- الحاج الضاوي موسى حصتين اذاعيتين يومي 23 و30 نوفمبر 2015 خصصتا للحديث عن الشيخ المستاوي وذلك باستضافة تلاميذه الذين سمعوا منه في فرع الجامع بتطاوين

وقد اجمعوا على تقديمه وخصوه بعلو ونوهوا بخصاله التربوية والانسانية- وقد زادني القول بهجة اذ انني اجد في ذكر مناقب الشيخ شيئا من والدي، اذ ان القرين بالمقارن مقتد هكذا كان الشيخ عنوانا من عناوين الجنوب اقتداء بابن عرفة الورغمي وغيره فهم كثر.

1/ صديق والدي:

اقول: «آن القليل من المشاهدة ارسخ من الكثير من الخبر» كما اني قيدت من خواطري عن والدي –رحمه الله- واخرى عرفتها مباشرة رغم فارق السن والمعرفة.

كان الشيخ متواضعا سمح لنا بالتواصل يجادلنا- ونخالفه الراي فلا يغضب. ويراجع اذ كنت قبيل العشرينات مندرجا في ثقافة الستينات من القرن الماضي تستهويني كغيري السنسيمونية الجديدة[1] وكان الشيخ لا يتحرج من اشتراكية ارتضاها الإسلام تكريسا للعدالة وتحقيقا لمصلحة الانسان وقد احببت يوما مشاكسته فسالته رايه عن الاشتراكية العلمية فكان رده سريعا حاسما «يلعن بو ولديك» ثم مضى إلى غايته سمح الطوية ناسيا.

كما اذكر انه كلفني بتوزيع مجلة جوهر الإسلام على السفارات العربية –كنت سعيدا بذلك ليقيني ان جوهر الإسلام هي جوهر الشيخ الذي كان نسيج وحدة إنسانا خارقا للعادة وفق وصف محمد صالح زروق: ومن هنا حظوته لدى شيخ الإسلام العلامة الدراكة محمد الطاهر بن عاشور وابنه الهمام الفاضل اذكر انه كان يقولك (ساعة في منزل العاشوريين افضل من اربعين يوما في مكتبة) ولكن الصغار الاجتماعي لم يكن يفرق بين الجوهر والمظهر فانبرى يتطاول والشيخ يتجاوز

ولكن تلاميذه يذكرونه بخير اذ يقول علي العبار: الشيخ الحبيب الاب الاستاذ المربي المعلم صاحب الفضل على الجهة، كان حريصا على ان يجعل منا نخبة»، وفي نفس السياق يقول الشاعر علي الجليدي:

شيخي جزاك الله كم اعطيتنا * فاليوم منا عالم واديب

ويقول محمد الفلاح: كان الشيخ وطنيا صادقا اذكر انه جاء حزينا اثر اعتداء الجيش الفرنسي على ساقية سيدي يوسف وينسب اليه محمد صالح زروق عطفة الجياش على التلاميذ هناك من يعطيه المال وهناك من يشتري له الثياب من الخلقان (لثياب المستعملة) ويضيف انه رجل حنون وغير متكبر وعمله محسوب عند ربه.

كما يعرف عنه الاعتدال اذ لم يكن متزمتا، بل كان يهب «السرخوش»[2] من ماله ويقول له (ادعيلي فربما انت افضل مني) وهنا الاختلاف مع القائلين بعقيدة النظام الخاص رغم ان الشيخ وفق تصنيف المقريزي لطبقات المجتمع المملوكي يعتبر من الفقراء، فالفقهاء وطلاب العلم محمولين على الفقر- ومن سماحته اذكر انه استوضح رايي في احد اقاربه- فقلت له: فيه بوارق تطرف ثم امتحنه فقال له ما قلت

(1) كلود دوسان سيمون 1760 – 1825 اشتراكي فرنسي له المسيحية الجديدة
(2) المخمور باللغة التركية

له هكذا) كان الشيخ ينهل من روح الدين ويمشي في الطريق واثقا ويعطل المارة خطاه بالسؤال...

2/ الموقف من حكام الساعة

اقول: «ان السلطان اي سلطان في التاريخ، يهمه ان يقرب العلماء والفقهاء لانهم مخالب صيدة في ترويض العامة، وذلك بتخفيض منسوب الغلو والتطرف. ومن شواهد رجحان العقل انه تريث عند الخلاف اليوسفي البورقيبي، وقد حدثني المناضل: عمر بوفلغة بان الشيخ كان حاضرا ضمن الذين اجتمعوا بصالح بن يوسف في دار علي المقدميني: يومها نصح الشيخ اهالي تطاوين عدم الانجرار، والصعود إلى الجبل. ولكن لم يؤخذ برايه ووقعت فاجعة نهار 29 ماي 1956. اذ استشهد يومها اكثر من ستين شخصا ومن لم يمت حشد في الثكنة العسكرية وتدخل الشيخ والتقى بورقيبة الذي حضر إلى تطاوين بالمناسبة والقى قصيدة فيها رجاء التجاوز وتعاطف بورقيبة وامر باطلاق المساجين وكان يوما حافلا...

هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «خير صناعات العرب ابيات يقدمها الرجل بين يدي صاحبه يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم» ;

ولكن الشيخ قد لا ينتبه احيانا- هنا اذكر ان والدي كان يقول ان الشيخ لا يفرق بين الصديق والعدو: اذ يتناسى احيانا ان السلطان الشرقي يعتبر التسامح مهنة وليس فضيلة، والتعامل معه يقتضي الاخذ بتلك الحكمة القائلة انه من دخل دائرة السلطان عليه ان يدخل اعمى ويخرج اصما. وهناك فرق بين من يعيش العقيدة ومن يعتبرها سلاحا سياسيا وهنا تفسير الموقف اللاحق والابعاد إلى جنوب المكروهين.

3/ حديث المسجد:

بحكم ثقافته الدينية فقد كان الشيخ مسلما خالصا ولكنه لم يكن غاليا، رغم اتصاله ببضاعة الشرق. كما وصف البورقيبيون افكار الثعالبي- ولم ينخرط في توجه أهل البدع من القاضيزايديين (نسبة إلى القاضي زادا)[1] في القسنطينية الذين ارادا من هذه المدينة ان تكون المدينة المنورة الجديدة- ربما تاصيلا لكونها روما الجديدة- وهي

(1) القاضي زاده

الافكار التي اعتمدها محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي (1696)-1703-1792 [1] الذي قال بالعودة إلى الإسلام الخالص- L'Islam integral

اذكر انه كان يعطي دروسا في جامع باب سويقة وكنت من سكان رحيبة سيدي الجبالي وفي بعض يوم كنت مارا امام المسجد فسمعته يلقى درسا دخلت....وكان واقفا مرتجلا رائعا- وجلست إلى ان وقعت عيناه علي فضمن خطابه جملة قال فيها ماذا يفعل هؤلاء هنا؟ وتمادى في درسه رحمه الله، لقد كان شيخا فوق العادة

4/ اثنان من بلدي شخصيتان نموذجيتان

كان والدي يمتهن التجارة في نهج باب الجزيرة وكان مقصد أهل الوطن، ومن بين الذين يترددون عليه باستمرار علي الحمروني- عضو سابق للقسم التونسي في المجلس الكبير ثم موظفا في العدلية وهو رجل طريف باشاوي التصرف ومركب «سياسي عدلي» متكبر بعض الشيء اذكر انه كان يمنع - صانع الكفتاجي من المحل المجاور ان يدخل إلى المحيط الذي يجلس فيه

بينما كان الشيخ لا يجد حرجا ان يتناول صحن كفتاجي ياتي به هذا الصانع إلى متجر والدي لقد كان في عادي ايامه متمثلا سلوك الرسول اذ من المعروف عنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض، ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويمشي في الاسواق ويتوسد يده الشريفة»

5/ خير البداوة وسيد الحضر:

لقد اجمع تلاميذه بانه مبرز في العربية وشاعر فصيح- وله قصائد تحاكي سيفيات المتنبي لكن فصيحه لا يعنيني وانما الذي شد انتباهي شعره الشعبي اذ امدني الاستاذ صلاح الخياط بقصيدة طويلة في هذا الغرض تقف على الاطلال وصفا لحياة الانتجاع في البادية وقد يكون متأثرا بالشيخ محسن وبورخيص الدغاري من ذلك ان هذا الاخير يتحدث عن ماضي النجع بقوله:

كان نجوع البادية برجال فحولة وماهيش محلولة

وين اصوب رايهم تمشى جموله

(1) عبد الوهاب محمد ولد من العينة يتخذ زعيم الوهابية

ونسج الشيخ على المنوال بقوله:

فرقنا عزاه النجع راحوا رجاله ورسم اندثر ما عاد غير اطلاله

وهي قصيدة تتالف من 49 بيتا فيها التذكر والتذكير من تجليات الحياة متطرقا إلى الاخلاق والتقاليد حاثا على خيرة السلوك الرجولي

اصبر اوسع بالك وانسى حسائك اخوتك وعياله

ودير على المحتاج ادفع مالك وضمد جروح الطفل والهجالة

وفي الختام اقول «ان كثيرا في الناس يحسدهم الكبار والاكاهل فيعاملون معاملة سيبون الافريقي الذي قدم لبلاده خدمات عسكرية جليلة، الا انه قوبل بالنكران فامر ان يكتب على قبره : إلى البلد الذي لا يستحق حتى عظامي» هكذا يقول الشاعر الليبي خليفة الكردي:

رحنا وراحوا ايامنا وارخص الغالي يا مهموم اصغالي

تو فوق المردفة عدنا من تالي والمدير جبالي

ولى مرجع شيرتي عند الجهالي

رحم الله الشيخ وبارك في ولده

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الإنسان بدون دين سماوي حيوان مفترس

ان الإنسان بدون دين سماوي هو حيوان مفترس أو حيوان محتال يمكنه أن يحقق كل شيء لجسده ولن يحقق شيئا لعقله وروحه وما الإنسان الحق إلا ذلك المزيج المنسجم المتآلف من تلك القوى الثلاث أما إذا طغت واحدة منها على أختها فذلك هو الإرتكاس والشلل والنشاز .

أجل إن الدين الإسلامي ما يزال إلى اليوم في أمس الحاجة إلى التبليغ والتوضيح لأن كثيرا من أهله الذين يمارسون شعائره هم من أشد الناس شبها بأولئك الجاهلين الذي نعى عليهم القرآن قولهم : (إنا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارها مقتدون) .

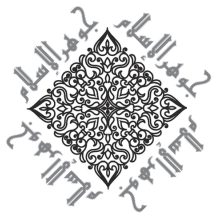

الشاعر الشيخ الحبيب المستاوي بين الالتزام والتأمل

بقلم الأستاذ سعيد شبلي

وإذا تركــز بالضمائــر مذهــب جعــل العزائــم شعلــة من نــار
وأمــات في الإنســان كل رغائــب غيــر العظائــم قبلــة الأحــرار

شعر الشيخ الحبيب المستاوي

الأدب الملتزم صوره حية ولوحات معبرة عن إحساسات متباينة من آلام وأماني وأفراح وأحزان تفرزها معايشة حقيقية لواقع الناس وانفعالات صادقة لما يعانونه إذ هم يعيشونه. والشاعر الشيخ الحبيب المستاوي احد الشعراء المسلمين القلائل الذين كرسوا مواهبهم وسخروا أقلامهم لقضايا الأمة الإسلامية ومشاكلها يصفونها ويحللونها ويستنبطون لها الحلول ولمستقبل هذه الأمة يتخيلونه وكلهم أمل وكلهم ثقة في أن المستقبل للإسلام. ولعل أول ما يستنتجه المطلع على ديوان الشيخ المستاوي «**مع الله**» هذا الوعي العميق الذي برز في جل القصائد. وعي أتاح لصاحبه صدق التعبير وعمق الفكرة وقدرة التبليغ. هو وعي المؤمن من آمن بقداسة الجهاد لتحقيق مجتمع الإسلام وبضرورة إعلاء كلمة الله ليعم الهدى وينتشر النور.

*** شاعر ملتزم:**

ايــه يــا أمــة الخلــود لمــاذا فاتــك الركب أفصحي بالمقــال؟
ليت شـعري كم ذا يدوم هجــوع هــل أصيـب اتصالنا بانفصــال؟

إن هذه الزفرات الحرى لبليغة التعبير عن الم هائل وتحسر شديد على ما تعيشه امة الإسلام من تمزق وتخلف وتبعية وما تكابده من ويلات الاستعمار والجهل.

ـ واقع مؤلم:

كما أن تشخيص الداء ضروري لمعرفة الدواء فان تصوير الشاعر لواقع الأمة الإسلامية وتحليله ضروريان لتوعيتها وتعريفها إلى أي مصير تقاد إن لم تبادر إلى العودة إلى الدين الحنيف والتمسك بمبادئه؟ واهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية اليوم ابتعادها وتحررها من الالتزام بطاعة الله.

وقد جرف التيار أمة أحمد حنانيك ربي فلتصنها من الجهد
ولولا ابتعاد المسلمين عن الهدى لما كابدوا داء القطيعة والحد
ولو طبقوا الإسلام وفق نصوصه لأوفى لهم رب البرية بالوعد

وبابتعاد المسلمين عن دينهم اغرقوا في الفاني من الملاذ وانحدروا في طريق الغواية والفساد:

أم كلثوم وفيروز ومن لف هذا اللف أغلى ما يحب
همهم والخطب يذكى جرحهم والغد الأسود منهم يقترب
شهوات البطن والفرج وما يقتل الدين ويزرى بالحسب

ولعل ابرز قصائد الشاعر التي كانت مرآة عاكسة لواقع المسلمين حكاما ومحكومين مطولته «**إلى الله أشكو**» وهي شكوى إلى الله إذ عم الفساد وانتشرت الآفات والأحقاد بين المسلمين. يقول فيها منددا بمسلك الشباب الذي تردى وحاد عن طريق الإسلام:

إلى الله أشكو شبابا تردى وزلت به الرجل في الهاوية
فزال الحيا من وجوه العذارى وصار الفتى يشبه الغانية
تنكر للدين من جهله وصب شتائمه الداوية

وبعد الشكوى من ضياع الفضيلة وشيوع الرذيلة يشير إلى ما تردت فيه الصحافة من دجل ومحسوبية:

إلى الله أشكو رجال الصحافة وأهل العقول وأهل الحصافة
حباهم إله الورى قادرا بنعمة عقل يمج الخرافة
أراهم يحيدون عنها بقصد ويقضون أعمارهم في السخافة
وقد جعلوا همهم درهما زائفا يزول ويبقى الأسى والعجافة

ثم يعرج الشاعر على مشكلة من أهم مشاكل العالم الإسلامي اليوم ألا وهي شيوع فكرة القوميات والتعصب الجنسي وحلولها محل الروابط الدينية الأمر الذي مكن من تجزئة العالم الإسلامي إلى أمم وطوائف:

شعوبية حطمت صرحنا ولم ينج منها لنا أي أس
أعادت بقايا قرون تولت وأصبح كل ورا هم نفس
وقد وحدتنا شريعة طه فكانت لأمتنا خير ترس

ومن مظاهر واقع امة الإسلام الأليم جمودها الفكري وقصورها عن منافسة الدول والشعوب الأخرى في استيعاب العلوم والاستفادة منها الأمر الذي جعلها تابعة ذليلة لغيرها:

سوانا مع الأفلاك حلق باحثا ليعلم ما يطوى بأحشائه النجم
ونحن قبعنا لا نحرك ساكنا كفانا هوانا ذلك الوخز واللكم
وخلفهمو نجري عبيدا أذلة لأكل فتاة ما به الشحم واللحم

تلك ولا ريب أهم مشاكل العالم الإسلامي يذكرها الشاعر أسفا ويصفها متألما شاكيا.

ـ دعوة وإصلاح:

ليس الالتزام تصويرا لواقع فقط لا وليس تعبيرا عن عواطف وإحساسات فحسب بل الالتزام في معناه الأكمل معالجة لواقع ووجهة نظر ذاتية في مشاكل الأمة نابعة من تفكير ومنهج ذاتيين. الالتزام هو بالتالي إصلاح علاوة عن كونه مشاركة وجدانية صادقة. فليس يكفي الشاعر أن يتحسر ويتألم لما يصيب أمته بل عليه أن يبحث ويحلل ويستنتج ليتصور الحلول ويدعو إليها لتتحقق بذلك رسالته ويؤدي ما ألزم نفسه بتأديته.

وشاعرنا الشيخ المستاوي من جملة الشعراء المسلمين الذين جعلوا نصب أعينهم إعادة دولة الإسلام وإرجاع سلطانه على النفوس. فتوسل لتحقيق غرضه بتصوير الواقع حينا وبالدعوة الصريحة حينا وبالتبشير بمستقبل الإسلام واستلهام أمجاده حينا آخر.

وأول خطوات الإصلاح التأكيد على ضرورة اعتماد القرآن والسنة كأسس لا بد منها لمجتمع إسلامي صميم:

فــلا بد من بحث صحيح أساسه كتــاب من الرحمن جاء يــؤدب
وهدى رسـول الله من شــاد أمــة على العلـم والتوحيد تغزو فتغلب
همـا العنصران الخــالدان وفيهما كنــوز لمـن عنهـا مــجدا ينقب

وتتخذ الدعوة حينا آخر شكل الرد على المغرضين دعاة القومية ورواد الشعوبية المنكرين على الإسلام قدرته على توحيد الأجناس.

وتـآخــى بنعمــة الله قــوم ضغنهـم في تأجــج واحتــدام
«مسلــم» تربـط الجميـع بحبــل مــن لـدن ربنــا بـغير انفصـام
بين ســود وبين حمـر وبيـض فــي قصـور منيفـة أو خيــام
ننتمــي كلنــا لأكــرم ديــن هــو فـوق الأنسـاب والأرحــام

ولا ريب أن إقناع المسلم بإفلاس فلسفات الغرب وأفكاره ودفعه لكسر قيود التبعية التي يعانيها بداية الطريق نحو تكوين الذاتية المسلمة وبالتالي مجتمع الإسلام يقول الشاعر:

ومــا فلسفــات الغــرب إلا خـرافة ومــا هــي إلا كالـطلاء على الجلــد
لئن حققت بالعلم زحفا إلى الفضــاء وأنتجت الصــاروخ للفتــك والهــد
فمــا حققت للــروح شيئــا مشرفـا يميـز أهــل العقل عن فئــة الأســد
لقــد أمعنـت في الـسير نحـو نهــاية أراهـا وأيـم الله جريــا إلى اللحــد

وفي قصائده الموجهة لحكام الدول العربية لا يهتم الشاعر فيها بمدحهم وإطرائهم اهتمامه بدعوتهم للجهاد واعتماد الإسلام منهاجا وطريقا عليهم تطبيقه ونهجه يقول متوجها نحو ملك المغرب داعيا إياه لأتباع طريق الهدى:

هــلا أعـدتــم يــا مليــك بنــاءه فــي الحكم في التعليــم في الإعـلام
في كــل شـيء مــن حيــاة شبابنــا في الشـكل في المضمون في الأفهام
حتـى تـكـونــوا أسـوة نبـويــة أنـتــم لهـا والله خيــر إمــام

ولا يغفل الشاعر ما للتذكير بماضي المسلمين إبان إخلاصهم لعقيدتهم وانصياعهم لأوامر ربهم من أثر في دفع المسلم إلى الاقتداء بسيرتهم ابتغاء بلوغ ما بلغوه من قوة وعزة وسعادة. يقول منوها بالقرآن والسنة:

توخـاهمــا قــوم فأسعــد حظهـم وعاشـوا بما يرجون من وافر الرغد

ودانـــت لهـــم بالأمـــر أعظم أمـــة فكانـــوا الهـــداة الفاتحين بلا جنـد
أشاعوا على الأكوان عدلا ورحمـة فما فضلوا نجل الملوك على العبـد

هي ذي معالجة الشاعر الشيخ لمشاكل أمته، امة الإسلام، معالجة ذكية وشاملة توحي بوعيه مشاكل هذه الأمة ومعاناته لها معاناة المقدر عظم الكارثة والمؤمن بضرورة العمل من اجل غد أفضل: غد الإسلام. معالجة مستمدة أسسها من وجهة الإسلام الصائبة في معالجة الأمور بما ينبغي من الحكمة والتدبير. فهي إسلامية الفكرة والوجهة ولا غرو فتركيز الإسلام هدفها وبناء مجتمع مسلم سليم مرماها. معالجة تفئ بإيمان الشاعر العميق بالإسلام. هذا الدين الذي مكن السلف من بناء صرح حضارة عظيمة وبلوغ أسمى مراتب العز والسؤدد لقمين بدفع الخلف إلى رحلة أخرى نحو السمو والإبداع إذا غمر حبه النفوس وأشع نوره على القلوب.

فلسطين في شعر المستاوي:

فلسطين درة بلاد الإسلام ومركز الأقصى ثالث الحرمين ومقصد طه إذ أسرى. فلسطين هذه الأرض المباركة التي دنستها أقدام بني صهيون وهم يطوفون مهينين للمقدسات منتهكين الأعراض، قتالين للأبرياء فلسطين التي تواجه العدوان والإرهاب وحيدة والقوم عنها لاهين كان لها من اهتمام الشاعر ومن شعره نصيب.

فلقد آمن الشاعر الشيخ وهو الذي سخر يراعه خدمة للإسلام ولأمة الإسلام بان واجبه يدعوه للكفاح من اجل استرداد ارض الإسلام هذه فاستصرخ المسلمين للجهاد مبينا لهم هول المأساة:

أمـــة الإســـلام هـــل يـوقظهـــا مسجـــد الأقصـــى ونـــار تلتهـب
أمـــة القـــرآن هـــل يؤلمـهـــا مسـجد الصخـــرة وهـو المكتئـــب
أمـــة القـــرآن هـــل يجمعهـــا مجدها المـوؤود مذ أقصـى الحقب

وأعلنها صريحة أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين وألا فائدة ترجى من الاستنجاد بمجلس الأمن أو استصراخ ضمير العالم الحر والارتماء في أحضان الشرق والغرب إذا رام المسلمون تحرير هذا الجزء من وطنهم الكبير:

مجلـــس الأمـــن، هـــراء بـاطـل كـــم تـخـــلـى وتـــدلى وهـــرب
وضميـــر العـالـــم الحـــر هـــوا كيف يخشـى من ضمير مضطرب

وبنو لينين أعداء الهدى ما عرفنا منهم غير اللعب
منية السفيات والغرب معا أن يظل العرب دوما في شغب

كما دعا الشاعر في أكثر من قصيد للانتفاع بخيرات ارض الإسلام وأهمها البترول واستعمالها كأسلحة في كفاح العدو. يقول في قصيدة «لهيب العزم»:

فوق ظهر الأرض خصب وثرا وببطن الأرض كنز يحتلب
إنه آلبترول من يملكه يملك الدعم ويثرى بالنشب

ولا شك أن من ذكر أمجاد المسلمين تستخلص العبرة وفي وصفها الحافز للجهاد والدعوة للنضال. يقول الشاعر مستلهما أحداث بدر:

يا بدر إنك فيصل ومنارة توحي لأتباع الهدى بفخار
الشرك ألقى بالقليب رؤوسه سبعون رأسا مثلها باسار
تبكيهم العزى وتذرف دمعها أبدا قريش كالحيا المدرار

وكذا دعا الشاعر إلى جهاد مستمر لاسترداد فلسطين تحت راية الإسلام إيمانا منه بأن تحريرها لن يتحقق إلا تحت شعار «الله أكبر». يقول في قصيده «نفحات الحرم»:

شعار حروبنا الله اكبر بها نعلو بها نقوى وننصر
بها أعداؤنا تخزى وتذعر بها الأطام والأصفاد تكسر

إن هذه العواطف من تألم وأمل وتلهف تجاه فلسطين والتي برزت في العديد من قصائد المستاوي دليل على مشاركة روحية لشعب فلسطين ومعايشة نفسية لما يعيشه هذا الشعب من آلام الواقع وأماني المستقبل.

*** شاعر متأمل:**

مهما تعددت الأغراض من نظم الشعر وتنوعت المرامي من تعبير القصائد يبقى الشعر كغيره من الفنون وسيلة الشاعر المفضلة في التعبير عن عواطفه وشعوره وتجاربه وكوامن نفسه وإفراز لدخيله وترجمان أحاسيسه ونظرته الذاتية للكون والحياة... والشيخ المستاوي الذي خالط الإيمان قلبه وعقله واستهوت تعاليم الإسلام نفسه وفكره يتمادى مع روحه المرات العديدة في مناجاة حارة لرب الإنسان ويقف متأملا حقيقة هذه الذات المهيمنة التي فنى فيها جسدا وروحا: الله. هذه القوة منبع الشعور باليقين وملجا من خامر فكره الشك وداعبت خياله الأوهام إذا رام اطمئنانا:

مبدأ التوحيد لو جعلناه درسا زال أصل الغموض والإبهام
إنه الباري العظيم تعالى صاحب الطول شارع الإسلام

الله ملاذ المؤمن لا يجد عند غيره السند ولا يأمل من غيره الفرج:

يا كاشف الهم حالي أنت تعلمه ارحم إلهي فؤادا يشتكى كمدا
أنت المجيب إذا المضطر أحرجه خطب جسيم يهد البأس والجلدا
أنت الرحيم فيا رحمن خذ بيدي إني ضعيف فكن لي دائما سندا

الله من لا حصر لانعامه ولا عاد لأفضاله على من هدى سواء السبيل. جوارح مخلوق لخالق، لأهل للحمد والشكر:

الحمد لله ذي الامداد والمدد الحمد لله فوق الحصر والعدد
الحمد لله عن دين شرفت به وعن هداية رب مفرد صمد

ومن إيمانه العميق بالإسلام قدس الشاعر الشيخ طه رسول الإسلام صلى الله عليه مسلم وأعجب بشخصيته إعجاب من رأى فيها قمة السمو الإنساني وغاية مطمح الإنسان في الكمال:

أنت رمز الوفاء للمثل الأعلى وأنت المشيع للأمثال
لم تكن قبلك الحياة وربي غير عسف ومتعة وضلال
وبأنوارك المشعة أضحت منبع الخير والهدى والنوال

طه الذي أشع الهدى على يديه، طه حبيب الرحمن ومن ترجى شفاعته كان نجى الشاعر في أكثر من موقف: يقول في قصيده «احمد المجتبى» معبرا عن مدى تقديره وحبه لشخص حبيب الرحمن:

احمد المجتبى شفيع الأنام لك دوما تحيتي وسلامي
لك عقلي سبتله ولساني لك قلبي ومهجتي وغرامي
لك دنياي كلها وحياتي لك أهلي ومطمحي ومرامي

وآمن الشاعر إذ كرمه الله بالإسلام بالإنسان مخلوقا مكرما هو السمو والعقل الخلاق إذا ما ارتادت مشاعره سماء المثل والمبادئ:

وإذا النفوس سمت مشاعرها فلا تثنى ببحر أو بحد حسام

وقادته تأملاته إلى التفكير في الوجود الإنساني فاهتدى إلى أن الإنسان لم يخلق إلا لحكمة وتدبير وليس وجوده مجرد صدفة كما يدعي الملحدون الذين يحاولون إفراغ هذا الوجود المثمر الكبير من كل جدوى وحكمة. فتساءل مستنكرا:

أي سـر يحمـل استخـلافنـا إن دجـا صبـح المبـادي السـامية
وتـركنـا أرضنـا فـارغـة مـن رسـالات السمـاء الصافيـة

وأدرك بعد إذ تبين قصور المادة عن تمكين الإنسان من حياة يحس فيها طمأنينة وسعادة ان التوفيق بين الروح والمادة وإدماجهما ذاتا فردا أسمى الغايات. يقول:

ليس مثل التوفيق في الأرض شيء إن تجـلى معـانـقـا للـدوام
يرفع المـؤمن الصـدوق فيسمـو عـن فـراغ ومتعـة الأجسـام
يربـط الـروح بالمعانـي فتجري نحـو غايـاتهـا بكـل انسـجام

فالإيمان بالله والإيمان بالإنسان والإيمان بالروح انسجمت في نفس الشاعر بأحسن ما يكون الانسجام فما أنكر احدها الآخر بل امتزجت بفضل الإسلام في نفسه لتمكنه من نظرة صافية للوجود الكبير ولتتيح لعقله وقلبه وخياله فرصة التدبر والتأمل والتطلع.

*** في الأسلوب:**

إن اختيار الأديب الشكل الأدبي الذي يريده أن يكون أداته في تبليغ ما بنفسه وما بفكره متأت من اقتناع ذاتي بمزايا ذلك الشكل دون غيره من قدرة على التبليغ والتأثير ومن اندماج وتفاعل طبيعيين مع ذلك الشكل أكثر من غيره من اشكال الأدب.

والشاعر الحبيب المستاوي أدرك انه يريد أن يكلم في الناس مشاعرهم وأن يبلغ من نفسه خلجاتها ومن قلبه عواطفه وهل من لغة للشعور أفصح من الشعر؟ شعر منسجم يدل على تلقائية في الصوغ توحي بدورها بما يملكه الشاعر من موهبة أصيلة وتمكن من أسباب البيان. ولا يلمس المطلع على قصائد شاعرنا الشيخ أي تنافر بين ما يريد تبليغه من منى وما استخدم لذلك من أسلوب. فالفكرة والأسلوب منسجمان انسجاما تلقائيا ينبئ بما في شعر الشاعر من وجدانية وصدق. كما امتاز شعر المستاوي بلغة متينة معبرة تبين تمكن الشاعر من الإمساك بناصية لغة الضاد ومن معرفة أسرارها. أسلوب المستاوي ولغة شعره إذن تحد للداعين إلى التحرر من قيود الخليل وقواعد سيبويه بدعوى قصور قوالب الخليل الجازرة عن احتواء مشاكل العالم المتجددة وعجز اللغة العربية: لغة القرآن عن مسايرة التقدم الحضاري المستمر..

وما من شك في أن قصائد الشيخ الحبيب المستاوي هذه الصرخات الوجدانية الصادقة في عصر قل فيه إخلاص الأديب لأدبه وعز فيه التزامل الإنسان بمبدئه لا بد مؤدية غرض الشاعر من توعية وإثارة وتبليغ وتطلع.

سياحة فكرية
حي الحبيب وحي جوهر الإسلام

بقلم الأستاذ محمد الشعبوني

صدر أول عدد من مجلة **جوهر الإسلام** المجلة الإسلامية الثقافية متوجا بقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ وكان ظهوره في شهر ربيع الأول 1388 وجوان 1968 طبع الشركة التونسية لفنون الرسم يدير المجلة في أول عهدها ويرأس تحريرها الأستاذ **الحبيب المستاوي** وخلفه بعد وفاته ابنه الأستاذ **صلاح الدين** وإدارة المجلة كائنة بنهج سيدي بومنديل عدد 15 تونس ثم بنهج جمال عبد الناصر تونس بداية من السنة الثامنة.

وقد حيا صاحب هذا البرنامج ظهور هذه المجلة بتحية شعرية وجهها إلى مدير المجلة نقتطف منها ما يلي:

حي الحبيب و(جوهر الإسلام) واصدع بصوتهما مدى الأيام
نعم المجلة يا حبيب ونعم ما جاءت به لمصالح الإسلام
فيها إلى التفسير خير مسالك تهدى النفوس لعزة وتسام
فيها منابع حكمة وتأمل فيها عيون الشعر والإلهام
فيها إلى الإسلام خير دراسة فيها أصول الفقه والأحكام
فيها من القصص الخوالد ما يفي بدواء ما ذقنا من الآلام
يا حبذا لو أنها قد وسعت صدرا إلى الاداب والأفهام

فيها الحديث المشتهى من (فاضل) أحيا بقلبي صبوتي وهيامي
ولكم جلست أمامه متربعا متعطشا في لهفة وغرام
(والبحتري) يجسم الدنيا لنا لمحا تصور منتهى الأحلام
إن أنسى لا أنسى جزالة درسه وعذوبة الكلمات والأنغام
طاب المسمى جوهرا وأصالة ومجلة تنمو مع الأعوام
سر في طريقك يا أخي متمسكا بالصدق والإخلاص والإقدام
وكما عهدتك مؤمنا متحمسا في خدمة الأوطان والإسلام

أما منهج المجلة فقد عرف به أول عدد من أعدادها بقلم رئيس تحريرها الذي يقول: **باسمك اللّهم يبتدأ هذا العمل العظيم الذي أردناه خالصا لوجهك لا نبتغي من ورائه جزاء ولا شكورا ومنك نستمد العون والتوفيق ونستلهم الرشد إلى أقوم طريق حتى نضطلع باعباء مسؤوليتنا الجسيمة في مصابرة واحتساب وحتى نسهم بمجهودنا المتواضع في شرف الدعوة إلى الحق والجهاد من اجل المثل إذ لعلنا بذلك نندرج ضمن أولئك الذين قلت فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وإننا لموقنون بان الدعوة إلى اللّه في عصر اختلفت فيه السبل وتشعبت المسالك وطغت الاعتبارات المادية على كل ما سواها لا يمكن أن تثمر إلا متى أرجعت إلى أصلها الذي منه انطلقت وعليه ارتكزت فخليق بها إذن أن لا تستند إلا على عمادها الحقيقي الذي هو الإيمان الصامد والثقة الوطيدة والأسلوب الواضح الرصين وجدير بها أن لا تستهدف إلا غايتها الوحيدة التي هي نصرة الحق بالحق ورد مفتريات المرجفين ودعاوى المبطلين حتى تنفتح البصائر وتستيقظ الضمائر لتسمو إلى إدراك الجوهر الإسلامي النقي لأنه الفطرة السليمة والمحجة البيضاء الواضحة فلا يكلف الداعين إليها بشيء سوى إزاحة الحجب عن حقائقه وأسراره لترى العيون محياه الصبوح من غير نقاب ثم ليقوموا بعد ذلك إن شاؤوا: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾. وإننا إذ نلج باب الدعوة لتعتمل في صدورنا كل هذه المعاني ويحتل من اهتمامنا أسمى اعتبار ونحن مقدرون لجميع الظروف التي تحف بنا والتي قد تواجهنا سافرة أو مقنعة ولكننا موقنون سلفا بالتغلب عليها جميعا بعون اللّه وتوفيقه لأننا جعلنا رائدنا في جميع ما نقوم به قول اللّه تعالى مخاطبا سيد الكائنات صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾اجل هذه هي دعوة محمد عليه السلام وهذه هي طريقتنا التي سنتوخى سبيلها وإنها لسليمة**

القصد ومأمونة الجوانب إذ ليس في الإسلام عنصر ضعف ولا مركب شذوذ حتى نعمد إلى تغطيته بالجلبة والتحمس أو ناسف على افتضاحه وهتك أستاره. فإليك أيها المسلم والى كل باحث عن الحق ومتجرد عن الأضغان والمركبات نقدم هذه المجلة ونتقدم بها إليك راجين أن تكون من أسرتها روحا وعملا كتابة وتنشيطا نقدا وتوجيها. ولقد حملنا شعورنا بالحاجة إلى إيصال الحقيقة الإسلامية إلى كل نفس متعطشة إليها أن نخصص في مجلتكم صفحات للبحوث والدراسات باللسان الفرنسي تعالج قضايا الإسلام وتنير سبل هدايته).

وبعد سبعة أعوام من إدارة المرحوم الشيخ **الحبيب المستاوي** اختاره اللّه لجواره فخلفه على المجلة ابنه الأستاذ **صلاح الدين** الذي التزم على غرار والده وقال في افتتاحية العدد الأول من السنة الثامنة للمجلة (**سبع سنوات من عمر جوهر الإسلام المديد إن شاء اللّه انقضت حرص فيها الشيخ رحمه اللّه على أن تكون لسانا صادقا من السنة الصدق وسيفا من سيوف الإسلام يذب عنه تدفع هجمات الأعداء وتدحض مفترياتهم وشبههم. فلقد أرادها رحمه اللّه مجلة إسلامية شكلا ومضمونا ففتح صفحاتها لرواد الفكر الإسلامي ودعاة الإصلاح وجعلها صوت المسلمين الناطق وحملها صرخات المضطهدين منهم في فلسطين وفيلبين وارتيريا وعبر بها عن آمالهم وأمانيهم في الاجتماع والتوحد والوقوف صفا واحدا كالبنيان المرصوص مع حرصه رحمه اللّه في هذا العمل الجبار الذي اشرف عليه بمفرده وغذاه من فكره ودمه أن يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة مستبعدا في كل ما يقول ويكتب الصخب والجلبة والضوضاء مما أصبح يكسو العديد من أوجه العمل الإسلامي فبلغ بجوهر الإسلام هدفه ومبتغاه بصمت وهدوء هذا الهدف الجليل المتمثل في نشر الوعي الإسلامي في الأوساط المنصفة وتوضيح الحقيقة الإسلامية للناس.**

وان من يطالع فهرس مجموعة أعداد مجلة **جوهر الإسلام** ليقف على عناوين بحوثها وأركانها فهي تقدم في كل عدد افتتاحية بعنوان **السلام عليكم** إلى جانب بابي التفسير والحديث والدراسات الدينية والاجتماعية إلى مقالات باللغة الفرنسية وقد ساهم في المجلة من أعلام الفكر والأدب والدين الأساتذة **محمد الفاضل ابن عاشور ومحمد الشاذلي النيفر والصادق بسيس والحبيب المستاوي ومحمد الطاهر النيفر ومحمد الفاضل الجمالي والبشير العريبي والتهامي نقرة والميداني بن صالح ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمود عبد المولى والعربي بن عمار ومحمد الحبيب بلخوجة ومحمد المرزوقي ومحمد اللقاني وعلي الشابي وإبراهيم بن حسن وغيرهم**

وفي عهد إدارة نجل مؤسس المجلة أصبحت الافتتاحية تحمل اسم إليك أخي المسلم وفي العهد القريب... تغير شكل المجلة.

ونختار تحية للمستمعين الكرام هذه اللقطة من دراسة الأستاذ **محمد الفاضل بن عاشور** عن الإسلام في سلوكنا يقول فيه (**أصبح المعلقون على الإسلام يأخذون المظاهر السريعة موجودة عند المسلمين والتي هي مظاهر سلوكية منحرفة عن المبادئ النظرية للإسلام فيجعلون ذلك هو الإسلام وفي هذا جاءت الكلمة الحكيمة التي صدع بها أول من صدع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وهي أن الإسلام ينبغي أن يتخذ حجة على المسلمين لا أن يتخذ المسلمون حجة على الإسلام فالإسلام معروف ومبادئه مقررة ومصادره موجودة وكتاب دعوته الأصلي وهو القرآن العظيم موجود بين أيدي الناس أجمعين فمن هناك ينبغي أن يؤخذ الإسلام من تعاليمه وإذا كان المسلمون مطابقين في سلوكهم لذلك فيا حبذا وإذا لم يكونوا مطابقين فينبغي أن نقيم عليهم الحجة بدينهم بان يقال لهم إنكم لستم على المنهج الإسلامي لا أن تقام الحجة بهم على الدين بان يقال إن الدين يقر تلك الانحرافات التي هي فيهم لان الدين يسير على الواضحة كما تركه النبي صلى اللّه عليه وسلم... على أن جميع النظريات الفلسفية أو الأخلاقية التي تنبو عن الإسلام ينبغي أن يتخذ في الإسلام حجة عليها لا أن يتخذ منها حجة على الإسلام فإذا حصل هذا فان المعنى الاعتقادي يستطيع أن ينزع الفعل الذي كان يجعله غير متحرر وتصبح العقيدة حقيقة ايجابية متصرفة ويرجع السلوك إلى مقاييسه التي حاد عنها أو التي أصبح لا يجدها.. فالضمير والإنسانية والحكمة والتطور والتقدم ينبغي أن تكون معاني مفهومة عندنا لا كلمات جوفاء ترددها ألسنتنا وان تعمل حقيقة استقامة هذه المبادئ فالعقيدة الإسلامية ومناهجها بصورة نرجع لها إلى التمييز بين الطيب والخبيث ونبرز شعور النفس بذاتها حتى تصبح شخصيتنا شخصية متكاملة...**

هذه وقفة قصيرة مع مجلة (**جوهر الإسلام**) نرجو من ورائها أن نكون عرفنا بإحدى الدوريات الدينية التي ظهرت في بلادنا إلى جانب مجلات دينية سبقتها **كالسعادة العظمى والمجلة الزيتونية وشمس الإسلام ومكارم الأخلاق** وغيرها من مجلاتنا الدينية.

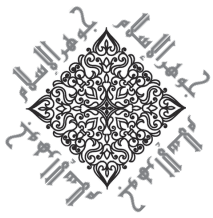

الشيخ المرحوم الحبيب المستاوي... كما عرفته

بقلم الأستاذ : أحمد المناعي

في شهر نوفمبر 1968 كنت في باريس أتهيأ لحدثين كبيرين في حياتي أولهما عقد زواجي من فتاة جزائرية من بلاد القبائل تعرفت عليها في تلك الفترة وثانيهما التحضير للرجوع النهائي إلى تونس.

على طول الفترة التي كنت فيها في الخارج فيما بين 1962و1969 – ست سنوات في فرنسا وسنة في الجزائر – كنت أرجع في الصيف إلى تونس ولم أنقطع عن البلاد وتابعت كل التغييرات والإصلاحات التي حدثت في المجتمع على كل مستويات الحياة. – ومع ذلك بقيت متخوفا من استمرار الأوضاع التي عرفتها وعشتها شخصيا وعانى منها التلامذة البياتة في المعاهد الثانوية التونسية بداية من مطلع الستينات . ولابد أن نذكر بها، في سنة 1961 في المعهد الثانوي للذكور بسوسة حيث كنت قيما وفي كل المعاهد التونسية عاملت الإدارة التلامذة الصائمين في شهر رمضان معاملة قاسية. كانوا يحرمون من السحور ويمنعون حتى من تخزين المأكولات للسحور أما وجبة العشاء فقد كانت تقدم في الأوقات العادية ودون مراعاة لأذان المغرب والافطار في رمضان وظل الأمر كذلك على طول الستينات.

بعد ست سنوات من الاقامة في فرنسا حيث كان لي بعض النشاط الاجتماعي والثقافي الإسلامي والذي عرف قمته بإنشاء جمعية «لمسلمي شرق فرنسا في سنة 1966» في مدينة نانصي لغرض تقديم الخدمات الدنيا للعمال وأكثرهم من الجزائريين الأميين من اعطاء دروس لرفع الأمية ومساعدتهم على تعمير أوراقهم وملفاتهم وكتابة رسائلهم إلى عائلاتهم أو للإدارة وارسال حوالاتهم البريدية إلى

أهلهم في أخر كل شهر كنت متخوفا من الرجوع إلى تونس حيث تهيمن ضبابية كاملة على العلاقات بين المواطن المتدين والادارة فكتبت نصا رقنته زميلة لخطيبتي في « البنك الوطني الباريسي» حيث كانت تعمل. وقد دعوت فيه الطلبة التونسيين إلى حوار حول «موقع الإسلام في المجتمع التونسي».

ذات يوم (لا أذكر ان كان يوم جمعة أو يوم عيد الفطر) رحت أنا ومليكة خطيبتي وإحدى صديقاتها الجزائريات نوزع المنشور على الطلبة التونسيين أمام جامع باريس. هي دعوة للطلبة في حوالي عشرين سطر للتفكير والنقاش في موقع الأسلام في الحياة العامة. الحقيقة أن التونسيين لم يكونوا كثيرين والطلبة أقل بكثير لذلك لم نوزع الا قليلا من المنشورات.

الشيخ الحبيب المستاوي

وفي لحظة ما رأيت شيخا ينزل درجات الجامع وهو يلبس جبة وابداعي وشاشية تونسية عليه كثير من المهابة والوقار وهو الأول الذي رأيته يلبس لباسا تونسيا في باريس منذ دخلتها. فاتجهت نحوه وسلمت عليه وناولته منشورا فقال لي أنه لا يعرف الفرنسية وسألني عن محتواه. وشرحت له الأمر وكانت بداية العلاقة مع الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.

ذكر لي سي الحبيب شيئا من نشاطه في تونس من ذلك أنه إضافة إلى مهنة التعليم التي انخرط فيها من زمن بعيد كان عضوا في جمعية المحافظة على القران الكريم التي تأسست سنة 1967 وأنه قد أسس مجلة شهرية اسمها «**جوهر الأسلام**» وقد يكون قد أصدر عددها الأول في تلك المدة.

وقد دعاني إلى مراسلته والكتابة في شؤون الجالية التونسية والجالية المسلمة في المهجر. وفعلا تم ذلك وبعثت له بمقالين واحد بالفرنسية عن التونسيين في فرنسا نشر في العدد الثاني من المجلة فيما أعتقد ومقالا آخر عن اشكاليات التعريب.

بعد رجوعي إلى تونس أواخر سنة 1969 زرت الشيخ المستاوي مرتين في مقر المجلة المتواضع بنهج سيدي بومنديل كما التقيته في المرة الوحيدة التي زرت فيها مقر»جمعية المحافظة على القران الكريم» بمناسبة محاضرة ألقاها الشيخ العلامة المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور.

اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين

وقد دعوته لألقاء محاضرة على منبر اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين التي ترأستها لمدة سنة في1970 –1971 وأذكر أن محاضرته لاقت نجاحا وتجاوبا كبيرين لدى الحضور اذ كثير منهم كانوا معلمين من قدماء طلبة الزيتونة. إضافة إلى أن المحاضرة قد ألقيت في دار الشعب التي أنجزت في تلك المدة والحديثة عهد بالتدشين.

فالرجل على علم شرعي واسع ويملك أسلوبا جذابا في اقناع السامع باعتبار تجربته الطويلة والثرية في التربية والتعليم. وأذكر أن محاضرته قد تناولت موضوع علاقة الدين بالدولة في مظاهرها العملية التقيت الشيخ الفاضل أيضا في مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري بالمنستير في شهر أكتوبر سنة 1971. لم أكن من المؤتمرين ولا حتى منخرطا في الحزب بينما كان الشيخ من المؤتمرين وقريبا من شق أحمد المستيري الذي حضي في ذلك المؤتمر بموقع متميز.

وأذكر حادثة مضحكة–مبكية كادت تكون لها عواقب وخيمة على مجرى الاحداث في المؤتمر. حين دخلت بهو قصر المؤتمرات اعترضني ثلاثة من الاصدقاء من الوردانين وسألني أحدهم المرحوم فرج فرج الله عن بعد «سيد أحمد جبت سلاحك معاك والا لا؟ فقلت طبعا جبته.

في ذات الوقت كانا المرحوم الشيخ المستاوي والسيد أحمد المستيري مقبلان في اتجاهي وما أن سمع الاخير هذه الفذلكة الماسطة أسرع بالالتجاء إلى القاعة بينما واصل الشيخ طريقه نحوي. وتجاذبنا أطراف الحديث حول أعمال المؤتمر ومن الغد صدرت كل الصحف بعناوين : «ميليشيا الوردانين في المؤتمر...». وقد وقع التحقيق الامني مع فرج فرج الله وزميليه.

كانت «جمعية المحافظة على القرآن الكريم» مستهدفة من قبل المتربصين بكل هيئة أو جمعية أو تنظيم لغاية التسرب اليه والاندساس فيه الغاية لانقضاض عليها في مرحلة لاحقة.ويبدو أن الغنوشي ومورو قد بدأ بتنفيذ خطتهما بهذه الجمعية واغتنما رغبة انفتاح هيئتها على الشباب فانضما إليها لكن ذلك لم يطل كثيرا فقد كان الشيخ الحبيب المستاوي أمين عام الجمعية بالمرصاد لهما.

كان سبب الخلاف الظاهري هو محاولة مورو– وقتها كان مورو الشاب البلدي القديم في ساحة الإسلامية في العاصمة هو البارز– ومن ورائه زمرته، الاندساس في

الجمعية والتحكم فيها لكن الخلاف العميق كان أخطر بكثير ويتعلق بتصريحات مورو المكفرة لكل المجتمع وينسب له هذا التصريح: «إنّ خطّنا السياسي هو خط الرفض لكل ما هو قائم بدءًا بالمجتمع الذي نعتبره كافرًا و إن صلّى و صام و حجّ و كذلك الحزب الحاكم فهو دائرة من دوائر هذا الكفر و من دخل فيه يصبح كافرا»

وهو ما أثار ثائرة الشيخ المستاوي أمينها العام واقدامه على طرد مورو.

الشيخ المستاوي توفي في سنة 1975 ولكني لم أسمع بذلك الا بعد سنوات عديدة حيث أني كنت في الجزائر. ولم يتسن لي حتى تعزية أهله وبالخصوص نجله صلاح الدين الذي عرفته شابا.

ماذا أشعر الآن نحو الشيخ المستاوي رحمه الله بعد أكثر من نصف قرن من لقائنا الاول وتواصل متقطع لم يدم طريلا؟

أشعر أنه لو كتب للشيخ المستاوي أن يعيش مدة أطول لكان له دور ايجابي وبناء في ارساء إسلام أكثر اعتدالا في المجتمع التونسي فقد كان يملك شبكة من علماء الدين والمثقفين والباحثين ظلت إلى ذلك العهد عصية على دعوات التطرف الاخواني لكن كتب على تونس وعلى غيرها من البلدان الإسلامية أن تعيش التجربة إلى النهاية

رحم الله الشيخ الحبيب المستاوي رحمة واسعة

في فرنسا أو في الجزائر في سنة 1964 ـ 1965

* جمعية المحافظة على القران الكريم تم إنشاؤها سنة 1967 من قبل المرحوم صالح المهدي (زرياب)، مؤسس فرقة الاوركسترا في مدينة تونس تحت رعاية وزارة الثقافة وذلك بهدف الحفاظ على النمط التونسي في ترتيل القرآن الكريم. ولا علاقة بها بالصراعات اليسارية الإسلاموية–اليسارية حسب الاستاذ أنس الشابي .

جلال السنة التي توليت فيها مسؤولية اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين أمكن لي دعوة قائمة المحاضرين **الشيخ الحبيب المستاوي– الشيخ البشير العريبي– د. صلاح الدين كشريد** صيدلاني ومترجم القران الكريم إلى الفرنسية– الصحفي الأيزلندي– السويدي **عمر فلهلمسون** الذي أسلم في القاهرة سنة 1958 وقدم لنا شريطا عن الصيد البحري في بحر الشمال– خمس طلبة أتراك كانوا يحضرون رسائل دكتوراه في فرنسا وجاءوا إلى تونس لتحسين مستواهم في اللغة العربية وقد دعوتهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الوردانين– **د. البشير التركي وقد كانت محاضرته محل جدل كبير.**

خواطر حرة: بين الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والشيخ محمد الحبيب المستاوي رحمهما الله

بقلم الأستاذ أحمد العموري

قرأت بكل عناية وتأثر مقالة أخينا الأستاذ **صلاح الدين المستاوي** في «**الصريح**» والتي ركزها على مآثر شيخنا الجليل محمد **الفاضل بن عاشور** بمناسبة الاحتفال بمائويته، ومن خلال العلاقة الشخصية المباركة بين سماحته وبين فضيلة والد صاحب المقال، مقام والدنا الشيخ **محمد الحبيب المستاوي**، طيب الله ثراهما وأجزل ثوابهما وبارك في ذريتهما وتلاميذهما.

راجعت نفسي، فوجدت أن مبعث التأثر الذي تملكني من خلال مقالة أخينا صلاح الدين، ذكريات شخصية عطرة لمرحلة من حياتي عرفت فيها الرجلين عن قرب وغنمت من علمهما، وغمرني فيض من فضلهما بفضل من الله، فكان الوفاء لهما الباعث على هذه الخواطر... مثلما كان الوفاء زاد أخينا صلاح الدين.

أرادت مشيئة الخالق مسبب الأسباب، أن اطرد نهائيا وأنا شاب يافع من المعهد الثانوي في صفاقس على اثر الأحداث الطالبية التي اجتاحت البلاد، في إطار المعركة الحاسمة، المتوجة للكفاح الوطني، والتي اندلعت اثر خطاب الزعيم الحبيب بورقيبة يوم 13 جانفي 1952 في بنزرت، وآلت إلى إلقاء القبض علينا ومحاكمتنا بالسجن والطرد من التعليم النظامي، في العاصمة وسوسة وصفاقس وقابس وبنزرت وغيرها – وقد تعلقت رغبة والدي آنذاك بانضمامي إلى التعليم الزيتوني. فالتحقت رأسا من -كولاج- صفاقس، بمدرسة الخراط القرآنية الحرة، كي أتلقى المعارف الدينية الأساسية وأسرار اللغة العربية عن الحاج خليفة الطياري وغيره وحتى أتمكن من

التقدم مباشرة إلى السنة الثالثة بالجامع، بوصفي (مدعيا) وكان هذا يقتضي مني أن أحفظ عن ظهر قلب خمسة عشر حزبا من القرآن الكريم (حتى الآية: **فنبذناه بالعراء وهو سقيم** من سورة الصافات). وهذا ما كان...

بعد الإحراز على شهادة الأهلية في صفاقس، تحولت إلى العاصمة فكنت من الزمرة الأولى القاطنة **بالحي الزيتوني** (ابن شرف حاليا) الذي تم الفراغ من بنائه وإعداده كمبيت، وتسلم مقاليد إدارته المغفور له الشيخ **الشاذلي بلقاضي**. قضينا ثلاث سنوات فيما بين (مكتب بن عبد الله في الصباغين) و(معهد ابن خلدون) الذي تحول فيما بعد **إلى كلية العلوم الإنسانية التابعة للجامعة التونسية**. وما إن أحرزت على شهادة التحصيل -العلمي- بعون الله وتوفيقه حتى التحقت بالخلدونية إذ وبفضل مساعي الشيخ **محمد الفاضل بن عاشور**، أصبح في إمكان خريجيها الالتحاق بالمعاهد العليا في كل من القاهرة وبغداد ودمشق اعترافا من وزارات هذه الأقطار بشهادة ختم الدروس في الخلدونية لقيمتها العلمية في الدين والحضارة واللغة والتاريخ.

في معهد الخلدونية تنعمت بالأخذ عن سماحة العلامة الركن شيدي الشيخ **محمد الفاضل بن عاشور**، -وما زلت احتفظ إلى الآن بكراس تلاخيص دروسه الشيقة والعميقة- وكنت احظى لديه بالمحبة الخالصة، وبما يمكن أن يكون من المشاعر الخاصة بين المربي الأستاذ وابنه الروحي، وتلك أمور نفسانية صرف، لا تلمس وإنما تحس وتتعمق في النفوس وتترسخ...

إلى أن جاء يوم، كان المنعرج الحاسم في حياتي وفي تغيير وجهتي بقدر من الله. فمباشرة اثر انتهاء احد دروس شيخنا **الفاضل** في أواخر سنة 1958 وبشروع الطلبة في الخروج، سمعته وهو يدعوني بصوته الجهوري النافذ: (هيا يا شيخ احمد، ايجاني حاجتي بيك)، علما بأن الطالب الزيتوني كثيرا ما ينادى بـيا شيخ فلان!!) فوقفت أمامه وأنا في فيض من مشاعر المحبة فيه والمهابة منه والامتنان له. فلاحظ لي -رحمه الله- بأنني اليوم على غير عادتي، شارد الذهن، منقبضا ربما... ولم أكن بحضوري المعتاد. فأخرجت له قصاصة من جريدة -الصباح- تتضمن بلاغا أصدرته الإدارة العامة للإذاعة التونسية حول انتداب (صحافيين/ مذيعين) هكذا... عن طريق المناظرة، من بين حملة الباكالوريا بجزئيها أو شهادة التحصيل الزيتونية. فقرأها سماحته بعناية وتركيز وسألني عن رغبتي في هذا العمل فأجبت: (سيدي... والدي زيتوني وكاتب جيد ومن رواد الحركة المسرحية في صفاقس وهو وطني

دستوري وقد نشأني على عشق العربية وعلمني الفصاحة والبيان والخطابة، وقد نشرت لي الصحف بعض المقالات. فهذا ميداني وهذه فرصتي واني لا استغني عن نصيحتك). فقال لي: (وما يمنعك إذن حتى تحتار ويعتريك الشرود). فأجبت على الفور: (سيدي، دروسك ومحاضراتك!) فقال لي على الفور: (اقصد ربي راهم محتاجين لأمثالك وعندك الآن ما يكفيك وأنا أجزتك!!) ثم احتضنني وعانقني وهو يستطرد: (أما أنا وأنت والمحاضرات ففي المنابر والجمعيات والندوات متسع للجميع). ودعاني إلى الخروج معه. ومازالت عبارة -**أنا أجزتك**- راسخة في ذهني وكأنني سمعتها منه اليوم وهي تاجي ونبع اعتزازي.

كان الناس على طول نهج **جامع الزيتونة** يفسحون الطريق لسيدي **محمد الفاضل** ومنهم من يحييه، والبعض يتقدم منه و(يكب عليه) قائلا له: سيدي ادعيلنا. وكان سماحته في منتهى اللطف والود مجسما لتواضع العلماء العاملين. وما إن وصلنا إلى ساحة (باب بحر) وتحت القوس الحجري حتى تقدم من أستاذنا شيخ نحيف مهيب وسلم عليه بما أدركت معه فورا ما كان بينهما من وشائج الأخوة والمحبة والتقدير. فقدمني أستاذي للشيخ وقدمه إلي قائلا: (**خونا سيدي الشيخ الحبيب المستاوي**). فأجبته على الفور: اعرفه وقرأت له وأحبه. وتشاء الصدف السعيدة بعد ذلك أن اذهب عشية يوم خميس إلى زيارة أستاذي الشيخ **عثمان العياري** -رحمه الله- في بيته العامر بحمام الأنف ومن الغد الجمعة تحولت إلى بيت أستاذي الشيخ **الهادي حمّو** في مقرين وما لبث أن التحق بنا أستاذي الثالث **عبد الكريم المراق** الذي درسنا المنطق وعلم النفس. وبانتهاء مجلس الأنس والإفادة، انتقلنا معا لأداء صلاة الجمعة في **جامع مقرين** بإمامة فضيلة الشيخ **الحبيب المستاوي** طيب الله ثراه. فقد أفاد وأجاد وجمع فأوعى واقنع وأمتع. وتقدمنا عقب الصلاة لتحيته والامتنان له.

ومرت الأيام وأنا انشط في فرع الاتحاد الصفاقسي الزيتوني وكان مقره في علو يقابل مكتبة العطارين وقدمت محاضرات في دار الثقافة ابن خلدون وفي دار الجمعيات الثقافية بشارع باريس ولم تنقطع صلتي بالشيخ **الفاضل**. وقد زرته مرات في دار بن عاشور في المرسى حيث حظيت في مناسبتين بالجلوس إلى والده العلامة البحر سيدي الشيخ محمد الطاهر في مكتبه وأخذت عنه ما لم يزل في فكري ووجداني واستمتعت بقبسات من أنوار علمه. إلى أن حلت سنة 1964 وأنا عندئذ من أشهر الإعلاميين الإذاعيين، وبعد ذلك من أسرة شريط الأنباء التلفزي. ففي شهر جانفي من تلك السنة توجهت إلى سيدي الشيخ **محمد الفاضل** لأدعوه إلى إلقاء

خطبة إشهار قراني بأم أولادي الزيتونية هي الأخرى والحاملة لشهادة التحصيل العصري، المربية الفاضلة **مريم المولهي** القاطنة بنهج التريبونال حذو بطحاء خير الدين. وفي غمرة من الفرحة والاعتزاز فوجئت **بشيخنا الفاضل** يعتلي في اليوم الموعود درجتي **جامع حمودة باشا المرادي** وهو يمسك بذراع فضيلة الشيخ **الحبيب المستاوي**، فكانت السعادة مضاعفة لي ولوالدي ولكل من حضر.

تلك أيام ومناسبات لا يمحوها الزمان من الذاكرة. ولكن لابد لي من إضافة تتعلق هذه المرة بالشيخ المرحوم **سيدي محمد الحبيب المستاوي**. فقد فرغ ذات يوم من تسجيل **حديثه في التفسير** بدار الإذاعة فصادفته أمام (استوديو 2) وما إن بادرته بالتحية حريصا على ما هو أهل له من التقدير، ومن طبعي التهيب والإكبار لِجِلَّةِ العلماء حتى ابتسم لي ورافقني بكل أريحية ولطف إلى أريكة في صالون الإذاعة تحت رسم المغفور له **احمد خير الدين** في لوحة الرسام الكبير **زبير التركي** رحمه الله. فجلس وجلست وقال لي وهو يخرج من محفظته أعدادا من مجلته (**جوهر الإسلام**) اهدانيها وهو يقول لي: (**أنت من أبنائنا الذين نحبهم في الله**) فتسلمتها ممنونا وألحقت بها في مكتبتي بعد ذلك نسخة من كتابه: (**مع الله-تأملات شعرية-**) الذي جمع قصائده وطبعه (بعد انتقال الشيخ **الحبيب** إلى الرفيق الأعلى) وكتب مقدمته ابنه البار **الأستاذ محمد صلاح الدين** الذي عُهد إليه بالإمامة الجمعية في مقرين فكان خير خلف لخير سلف.

وقد انتقى الأستاذ **محمد صلاح الدين** للصريح مؤخرا أبياتا من قصيد (أنة مكلوم) لا إنه مكلوم نتيجة خطأ مطبعي وهي في رثاء الشيخ الفاضل.. وفي البيت الأول من القصيد خطآن آخران رأيت من واجبي اصلاحهما. يقول رحمه الله:

أمِنْ قلبي المكلـوم سالت مدامعـي
أم النار شبّت في الحشا والأضالـع

لا نشبت في الخشا-والقصيد الرائع في بحر الطويل الذي قيل فيه بحق:

طويل له دون البحور فضائل
فعولن مفاعيلن فعولن مَفاعلُ

استمتعنا بمقال الأستاذ صلاح الدين جازاه الله خيرا إذ عاد بنا إلى ذكريات عزيزة والى أيام خالدات، ارتوينا فيها من كلا العالمين لجليلين **محمد الفاضل بن عاشور والحبيب المستاوي** رحمهما الله واسكنهما فراديس جنانه وجمعنا بهما في الجنة.

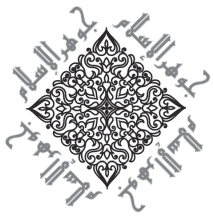

ديوان «مع اللّه» للشيخ الحبيب المستاوي

عرض وتقديم الأستاذ: محمد بن رجب

كان الشيخ الراحل الحبيب المستاوي من ابرز الشخصيات الإسلامية في تونس وكانت له مواقف شجاعة عبر عنها في خطبه بالمساجد وضمنها شعره الديني الغزير، فهو شاعر كبير ولكنه ليس من شعراء الميوعة انه من الشعراء المصلحين الذين آمنوا بالدعوة –دائما– إلى اللّه تعالى، شاعرا أن الشباب العربي في حاجة إلى وعي مستمر أمام تحديات العصر وهجمات الإلحاد على العالم الإسلامي التي يقوم بها الغرب عن طريق مبشريه من رجال الدين وحتى رجال الثقافة العادية.

لقد كان الشيخ المستاوي بالمرصاد للغرب عمل دائما على حماية الشباب من الاستهتار بالذات والتلاعب بالمقومات العربية والإسلامية.

وقد توفي الشيخ المستاوي كهلا فهو من مواليد سنة 1343هـ وارتحل عنا من شهر رمضان 1385 وهو بين ركوع وسجود.

ارتحل عنا تاركا تراثا ضخما يتمثل في الدراسات التي كتبها وفي الإشعار التي قالها وفي الخطب التي ألقاها وفي المحاضرات والمسامرات التي كان يحضرها جمع غفير من الناس.

وقد وهب اللّه للشيخ المستاوي ابنا بارا عكف على نشر إنتاج والده سواء في المجلة التي أسسها في حياته (**جوهر الإسلام**) أو في الكتب.

ومن ذلك ما صدر في غضون السنة الحالية (1980) ديوان شعر بعنوان «**مع اللّه** » رأينا أن نقدمه للقراء: لما فيه من العبرة والموعظة الحسنة، وقد اخترنا أن نقدم هذا الديوان في ذكرى وفاة الشيخ الحبيب المستاوي، التي كانت خسارة على تونس والعالم الإسلامي بأسره، كتب المقدمة الأولى للديوان محمد صلاح الدين المستاوي نجل الراحل، وقال في هذه المقدمة:

(لقد آلينا على أنفسنا يوم أن اختار اللّه إلى جواره حبيبه ‘الحبيب» أن نواصل أعماله ومشاريعه التي أرادها لوجه اللّه خالصة، واعتبرنا ذلك أحسن المبرات بالنسبة إليه، ولم يكن الأمر سهلا ولا يسيرا، فدون ذلم كبوات وصعوبات، ولكن اللّه يسر، وكان في أذهاننا منذ اليوم الأول، جمع أعماله شعرا ونثرا في أسفار تكون بين أيدي الناس، وخصوصا الشباب الذين آمن بهم الشيخ أشد الإيمان، وآمن بقدرتهم على تغيير أوضاع المسلمين).

يحتوي هذا الديوان على مجموعة من القصائد التي تدخل في باب التأملات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، تعبر عن صاحبها «فقد كان الرجل في سائر ألوان حياته ملتزما شديد الالتزام للإسلام مبادئ ووسائل، وغايات، وفروعا، وجواهر، ومظاهر».

وكتب المقدمة الثانية لهذه المجموعة الأستاذ الشيخ البشير العريبي، الذي كان صديقا حميما للشيخ الحبيب المستاوي، واتفقا على الدفاع عن الإسلام والمسلمين منذ شبابهما الأول.

ويقول البشير العريبي في تقديمه:

(قصائد الديوان متعددة الموضوعات منوعتها، وان كان بينها سلك جامع وهي النزعة الدينية الإسلامية والرغبة في الكشف عن محاسن الإسلام، وكتابه ورسوله وكافة رسل اللّه وأنبيائه، من آدم إلى محمد -عليه وعليهم الصلاة والسلام- وعرض لمبادئ الإسلام الحنيف وأصوله، والذب عنها، وإيقاظ همم المسلمين، لينسجوا على منوال سلفهم الصالح في بناء الكيان الإسلامي المتين، ونشر الحضارة الإسلامية في العالمين، بما جعلها -اليوم- حضارة إنسانية واضحة المعالم تخدم البشرية خدمة جليلة وتوفر لها أسباب الخير والسعادة).

ولو عدنا إلى محتوى الديوان «**مع اللّه** » نجده يتضمن سبعا وثلاثين قصيدة تتراوح بين الطول والقصر قيلت في مناسبات ثلاثة:

- مناسبات دينية (مولد نبوي، ذكرى الهجرة، الإسراء والمعراج، رمضان، الحج).
- لقاءات عربية واخوانيات.
- تأملات وتحاليل لنفسيات بعض الأنبياء.

وتلتقي هذه القصائد في موضوعين بارزين:

1- الدعوة والإرشاد.

2- تأملات وتحاليل صوفية.

ويقول الأستاذ الهادي خلفة الذي استعرض الديوان في مجلة «جوهر الإسلام»:

(إن الدارس لشعر المستاوي يلمس انه يستمد شعره من الوعي والذهن، ويمر في نظمه بعوامل تنطلق من الإحساس الناتج عن المؤثرات المادية أو الشعورية ثم يقع الانفعال بالاستجابة الطبيعية وقد امتازت -عنده- بالحساسية الممزوجة بوعي وتجارب ماضية، وقد تبلور هذا الانفعال في صورة لفظية مفهومة ومعبرة، وإيقاع موسيقي مؤثر.

ولقد أكد الشاعر المصلح على أن الشعر نبضة قلب وإحساس صادق، قبل أن يكون فكرة مجردة، وهو حالة نفسية وارتعاش قبل أن يكون قضية فكرية جامدة وهو صدق في التعبير، قبل أن يكون ترادفا أو تكديسا للكلمات، وتلاحظ وأنت تقرأ أشعار المستاوي تكرارا في الموسيقى والمعاني، ولكنك لا تمل ولا تسأم؛ لان الشاعر لا يدعك تسأم).

على أي أساس أقام المستاوي شعره؟

● لقد عاش المستاوي نشأة شعبية ودينية عقائدية هادفة؛ ولذلك غلب عليه الجنوح للواقعية فكان عقلانيا لا يعول -في حكمه- إلا على منطق الواقع، يرى الحادثة؛ فيحس بها، ثم ينفعل ويتفجر، وكان إنسانا عربيا مسلما يعاني ما تعانيه الأمة من تحديات عديدة، تحاول ضرب الإسلام، وإثارة الشبهات حول حقائق الإسلام، وبخاصة حول مفهومه الاجتماعي، من حيث انه منهج حياة، ونظام مجتمع وتحاول تشويهه من الداخل عن طريق قوى مشبوهة عملية تتظاهر باحتضان مفاهيم إسلامية، ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق الشريعة الإسلامية، وتتبنى هذه القوى الهدامة دعوات ضالة كإحياء الفكر الباطني والإباحي والمادي.

لقد كان الشيخ الحبيب المستاوي يتألم من وضع الأمة الإسلامية المتردي في الخلافات الهامشية التي تخدم الأعداء وتمزق أواصر الأخوة التي جاء الإسلام من اجل تدعيمها:

وقد جرف التيار أمة أحمد — حنانيك ربي فلتصنها من الجحد

ولولا ابتعاد المسلمين عن الهدى — لما كابدوا داء القطيعة والحد

ولـو طبقـوا الإسلام وفق نصوصه لأوفـى لهـم رب البرية بالوعـد!

هنا نرى كيف أن الشيخ الراحل يحدد -في صراحة- واضحة سبب الخلافات في العالم الإسلامي الذي أصبح منهوك القوى وهو يرى أن هذه الأسباب تتلخص في جملة واحدة: ابتعاد المسلمين عن نصوص القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية السمحة. ولو طبق المسلمون ما أمرنا به اللّه تعالى لكنا خير امة أخرجت للناس، والواقع أننا كذلك ولكن الأعداء يكيدون لنا ونحن نتركهم بخلافاتنا وابتعادنا عن الإسلام وسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- نتركهم يتسربون إلينا بسمهم الزعاف الذي يقدمونه لشبابنا في ثوب جميل.

● ولا ينسى الشيخ المستاوي القضية الفلسطينية ويعتقد أن مأساة المسلمين تكمن في تفريطهم في الأرض بخلافاتهم وتناسيهم للتعاليم العظيمة:

أمـة الإسـلام هـل يـوقظهـا مشهـد الأقصـى ونـار تلتهـب
ليتهـا يخـرج منهـا قـائـد يبعـث الديـن فتنـزاح الحجـب
كـابـن تشفيـن وقطـز بعـده وصـلاح الديـن لمـا أن وثـب
فأفيقـوا ويحكـم طـال الـونـى والعبوا فـي الكون دور المنتخب!

وفي هذا المقطع نلاحظ أن المستاوي يتمنى أن يهب المسلمون من سباتهم بعد أن أقدم اليهود على حرق المسجد الأقصى إمعانا في انتهاك الحرمات والمقدسات الإسلامية.

وان كان المستاوي يعرف ان المسلمين غارقون في نومهم، فهو لا ييأس ويتمنى ان يبعث اللّه، في هذه الأمة رجلا يقود العالم الإسلامي من نصر إلى نصر كما فعل ابن تشفين وصلاح الدين الأيوبي.

● ويعمل الشاعر على ابعاد الشباب عن فلسفات الغرب التي تخرب العقول وتفسد الدين فيقول في شجاعة متناهية:

وما فلسفات الغـرب إلا خرافـة ومـا هي إلا كالطلاء على الجلـد
لئن حققت بالعلم زحفا إلى الفضا وأنتجت الصـاروخ للفتك والهـد
فمـا حققت للـروح شيئا مشرفا يميز أهـل العقل عن فئة الأسـد

وهي، أي الحضارة الغربية لن تفسد الدين فقط؛ بل أظهرت أنها عاجزة عن تقديم السعادة للإنسان الذي أصبح -حاليا- ومنذ وقت طويل في أوربا وأمريكا مكبلا

بالماديات لا تحكمه إلا قوة المال والدولار، والسبب أن هذه الحضارة زائفة قامت على الكفر والإلحاد ويومها وشيك مع المد الإسلامي لأن اللّه في الوجود ولن يكون المستقبل إلا للأمة الإسلامية لان لديها كتاب اللّه الذي هو كنز مجدد لا يفنى، وهذا ما يخيف الغرب وذلك ما يجعل أروبا -دائما- بالمرصاد لكل تقدم عربي إسلامي: لأنها تعرف مصيرها إذا تقدم العرب والمسلمون ان قوتهم تكمن في محافظتهم على هذا الكنز الذي وهب اللّه إياهم

● وفي الديوان قصائد أخرى تميل إلى نقد المجتمع والسياسة، بهدف الإصلاح، ودائما نرى أن سلاحه في الإصلاح لا يستمده إلا من القرآن الكريم -فانظر إليه يصف المجتمع في ألم:

همهم والخطب ينكي جرحهم والغد الأسود منهم يقترب
شهوات البطن والفرج وما يقتل الدين ويزرى بالحسب

● وحال الفتيان والفتيات في بعض مجتمعاتنا الإسلامية يقض مضجعه ويمزقه فيصف هذه الحال في تمزق واضح:

فترى الفتاة خليعة مرذولة ممسوخة في الشكل والهندام
وترى الفتى متخنثا متشبها بالمائسات وساخرا بملام
خلع العذار ولم يخف من خالق أبدا ولم يمسك بأي زمام!

● ويتعرض المستاوي إلى ظواهر اجتماعية أخرى ساءت بها أحوال المسلمين:

إلى اللهّ أشكو ضياع الأمانة وما قد فشا بيننا من خيانة
إلى اللهّ أشكو ضياع الفضيلة وما قد فشا بيننا من رذيلة
نمارسها في وضوح ودعر ولا نستحي أن نراها ثقيلة
فأين الكرامة أين الحياء؟ وأين الصيانة؟ ولت ذليلة!!

لقد عالج المستاوي أكثر المظاهر المزرية التي يتخبط فيها المجتمع الإسلامي الذي ابتعد عن التعاليم الإسلامية

● أما القسم الأخير من الديوان، فهي تأملات دينية تصل بالشاعر إلى حد التصوف فيها، يبرز عظمة اللّه، وعظمة الإسلام، فيذوب في حب اللّه ويذوب في حب الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وسلم وفي كل ذلك يدعو إلى العودة إلى الإسلام والتشبع من القرآن.

محمد الحبيب المستاوي
الإسلام المتصالح مع ولي الأمر[1]

بقلم الأستاذ كمال بن يونس

شاءت الأقدار أن ازور الشاعر والشيخ والعلامة محمد الحبيب المستاوي في بيته في ضاحية مقرين جنوبي العاصمة مع الصديق رشيد عبد الحق قبل أسبوع واحد من وفاته في صائفة 1975 وهو في الخمسين من عمره.. وكان رشيد وقتها طالبا في السنة الثالثة بكلية الآداب ومشرفا على جماعة «الدعوة والتبليغ».. ثم انسحب من العمل الإسلامي التقليدي وتفرغ لدراسات جامعية إلى أن أصبح من ابرز الكفاءات العربية في قطاع التوثيق والارشيف ومن بين خبراتها الجامعية..

انبهرت بفصاحة نادرة للعلامة المتواضع الحبيب المستاوي الذي كان تيار كبير من رجال التعليم والتلاميذ يتابعون مجلته «جوهر الإسلام». منذ تأسيسها في 1968 بشغف في مكتبات المعاهد والمدارس ودور الثقافة مع مجلة «الفكر» التي يديرها وقتها الثنائي محمد مزالي (وزير التربية والوزير الأول لاحقا) والبشير بن سلامة (وزير الثقافة لاحقا).. وكانت «الفكر» مدرسة للحوار في القضايا الفكرية واللغوية والأدبية و«جوهر الإسلام» ترغبنا في المرجعيات الإسلامية بأسلوب مبسط وجميل وبنزعة إيمانية تسامح معها نظام بورقيبة بعد انهيار تجربة «التعاضد» و«الاشتراكية» في موفى عقد الستينات..

(١) فصل من كتاب: الإسلاميون والعلمانيون في تونس

حدثنا العلامة محمد الحبيب المستاوي خلال ساعتين عن معاناته طوال الأعوام الأربعة التي سبقت لقاءنا بقرار من بورقيبة.. احتجاجا على تزعمه تيار المراجعات الفكرية والسياسية داخل الحزب الحاكم.. وانشطته داخل «لجنة الدراسات الاشتراكية».. وقد استاء بورقيبة من تزايد شعبيته داخل هياكل الحزب والرأي العام بفضل مساهماته في جلسات الحوار داخل الحزب في السبعينات.. والتي امتدت عاما كاملا وكان محورها: «**الإسلام وتحديات العصر**»..

«محمد الحبيب المستاوي. مؤسس مجلة «جوهر الإسلام» عام -1968أحسن التونسيين فصاحة وتمكنا من اللغة العربية»..

هذا التقييم للعلامة محمد الحبيب المستاوي سمعته من عدد كبير من السياسيين العلمانيين واليساريين الذين عرفوا الشيخ محمد الحبيب المستاوي صاحب مجلة «جوهر الإسلام» والخطيب أصيل جهة تطاوين الذي راهن على «التغيير من الداخل».. من داخل حزب بورقيبة.. فاحتضنه الحزب أول الأمر.. واسند إليه عدة مسؤوليات.. إلى مؤتمر المنستير 1971 الذي انتخب فيه عضوا في اللجنة المركزية للحزب تفاعلا مع خطاب طويل القاه فيه تفاعل معه المؤتمرون وكثير منن الخطباء بعده.. طالبوا بان تقترن إعادة النظر في «الاشتراكية» و«سياسة التعاضد» بتكريس التوافق بين الإسلام والعصر.. بين العقل والنقل.. بين الحداثة والتراث.. بين المادة والروح.. وغير ذلك من الأفكار ووجهات النظر التي كانت مجلة «جوهر الإسلام» تزخر بها.. رافعة شعارا الآية الكريمة: «﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ صدق اللّه العظيم.

حدثنا الشيخ محمد الحبيب المستاوي يومها بألم ومرارة شديدين عن اضطهاد بورقيبة له بعد مؤتمر المنستير.. وعن «خذلانه» من قبل رموز التيار السياسي الشبابي الإسلامي وخاصة من قبل «النجم» عبد الفتاح مورو.. الذي رفض السماح لرفاقه النمادي مع المستاوي في خيار «الإصلاح من داخل الحزب ومن داخل مؤسسات الدولة».

آمن المستاوي وأنصاره بخيار الإصلاح وآمن منافسوه الشبان بزعامة مورو والغنوشي والنيفر بالقطيعة وتأسيس جماعة إسلامية.. وانتصر التيار الثاني.. خاصة أن الموت اختطف الشيخ المستاوي وهو في أوج عطائه في الخمسين من عمره..

انتمى إلى مدرسة الشيخ محمد الحبيب المستاوي علماء وخطباء ومدرسون بارزون من عدة أجيال بينهم المشايخ والأساتذة محمود الباجي والبشير العريبي.. ثم الأستاذ صلاح الدين المستاوي نجل الفقيد ونخبة من أساتذة جامعة الزيتونة ومن الخبراء في القضايا الإسلامية والحضارية من عدة أجزاء جامعية.. ساهموا جميعا بنجاعة مع نخبة من الاعلاميين والحقوقيين خلال الثلاثين عاما من قمع بورقيبة وبن علي لنشطاء الاتجاه الإسلامي والنهضة في اجهاض سياسة «تجفيف المنابع الثقافية والمرجعيات الفكرية للإسلام السياسي»..

تابع صلاح الدين المستاوي ونخبة من زملائه الإشراف على مجلة «جوهر الإسلام» في سنوات القمع المرة.. إلى أن توقفت وشملتها قرارات «الاستئصاليين».. رغم انضمامه للجنة المركزية لحزب التجمع الدستوري الديمقراطي في 1988 ثم إلى مجلس النواب.. ضمن قائمة الحزب الحاكم..

لعب الشيخ محمد الحبيب المستاوي ومجلة «جوهر الإسلام» دورا فكريا وثقافيا منذ 1968 أي قبل بروز مجلة «المعرفة» و«الجماعة الإسلامية» بسنوات.. وهي تجربة تستحق التقييم والدراسة بعمق وهدوء اليوم من قبل الباحثين.. خاصة أن المستاوي كان له حضور شعبي تونسي مغاربي عبر مداخلاته الإذاعية.. وخلال زياراته ومحاضراته الميدانية في عدة جهات في تونس وليبيا والجزائر والمغرب..

• كتاب من وحي الإسلام

في تقديم لمجلة «**الدعوة**» (**الصادرة في المملكة العربية السعودية**)، واحد من الكتب الرصينة التي تصدر بين الفينة والفينة وسط سيل متدفق من الكتابات العابرة. وهو كتاب في فن المقالة الإسلامية الصحافية يضم عددا كبيرا من المقالات كتبها صاحبها عليه رحمة الله في أعداد كثيرة خلال سنوت طويلة على صفحات مجلته التي أنشأها (**جوهر الإسلام**) التي لا تكاد تضم غير (**جوهر الإسلام**) مجلة أخرى.

ومؤلف الكتاب شاعر له أسلوب الشاعر وعاطفته. وهو داعية مسلم له عقيدته التي يكافح عنها ويقدّمها بأفضل ما يستطيع من وسائل التقديم وهو كاتب-أيضا- له قلمه الصحافي والأدبي الطيب. وان القارئ الكريم سيحس بتوهج وحرارة في كل حرف وكلمة وجملة وفقرة وسيلمس جسارة في الحق وصدقا في قوله وايثارا لما بين يدي الله. وتلك لعمري كانت السمة البارزة التي اصطبغت عليها كل اعمال الفقيد.

• الشيخ الحبيب المستاوي في (موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح)

نشرت موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح تأليف **محمد الساعدي** (الجزء الأول والصادر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ترجمة ضافية للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله (امتدت من الصفحة 269 إلى 279 من الجزء الأول من الموسوعة) استعرض فيها المؤلف مختلف مراحل حياة الشيخ متوقفا عند أبرزها عارضا جهوده في حقل الدعوة والعمل الإسلامي من خلال تدريسه في الفروع الزيتونية وفي كلية الشريعة وأصول الدين والأكاديمية العسكرية ومن خلال دروسه ومحاضراته والحصص الدينية التي اعدها للإذاعة ومن خلال إصداره لمجلة **جوهر الإسلام** (سنة 1968 وهي أوّل مجلة إسلامية تصدر بتونس بعد الاستقلال) ومن خلال رحلاته إلى مختلف البلدان العربية والإسلامية وفرنسا ومن خلال مشاركاته في ما عقد من مؤتمرات إسلامية.

وتوقف **الأستاذ محمد الساعدي** مطولا عند تجربة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله** في حقل العمل الوطني السياسي سواء قبل الاستقلال أو بعده عند بناء الدولة وما

بذله من نصح وتوجيه ودعوة إلى الإصلاح في مختلف المجالات والميادين (في التعليم والإعلام وفي التشريع ودعم المؤسسات الدينية والعلمية العريقة (الزيتونة) ومن ذلك مذكرته المطولة التي وجهها إلى اللجنة العليا للحزب عند وقفة التأمل سنة 1970 ومشاركته في أشغال مؤتمر الحزب في المنستير سنة 1971 والتي انتخب فيه عضوا باللجنة المركزية في ترتيب متقدم وفي تجاوب من المؤتمرين مع مضمون خطابه.

* **في الحلقة الاولى من النشرات الشعرية** المتسلسلة تحت عنوان **عكاظية تونس** لسنة 1957م (المطبعة الرسمية) تعريف **بالشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله** جاء فيه ما يلي، موجز من تاريخ حياته:

*الأستاذ الحبيب بن محمد بن أحمد المستاوي ولد بضاحية الرقبة دائرة تطاوين من الجنوب التونسي عام 1923م.

* تلقى تعليمه الابتدائي بالمكتب القرآني وفي عام 1935م التحق بالمعهد الزيتوني فاحرز على التحصيل عام 1942م وحاول مواصلة دراسة الحقوق والتخصص في القسم الأدبي ولكنه انقطع لوفاة والده واشتغل بالتجارة واتصل بالجمهور يثقفه ويعظه.

* انتخب كاتبا عاما للاتحاد الجهوي للشغل وفي عام 1949م كلف بتدريس العربية والاداب بفرع مدنين الزيتوني واستمر على المساهمة في الحركة الوطنية ثم التحق من جديد بالتعليم العالي بتونس سنة 1950م فاحرز على شهادة العالمية عام 1951م.

* سُمي كاتبا بادارة التدريس، ثم نجح في مناظرة المدرسين المساعدين وعيّن في اكتوبر 1952م مدرسا بمدنين ونظرا لنشاطه السياسي نقل إلى قفصة ثم في عام 1956م رجع إلى مدرسة تطاوين الثانوية

*** هواياته:**

يهوى الخطابة والمطالعة والارشاد

*** نشاطه الاجتماعي:**

محاضر صبور : كتب ونشر كثيرا من الشعر والنثر بجريدة (لواء الحرية) التي نشرت له تحت عنوان (**ديوان لواء الحرية**)

***مؤلفاته وبحوثه:**

-ألف رواية (**بين العادة والدين**) مثلت بتطاوين ورواية (**من صميم الحياة**) مثلت بتطاوين ورواية (**حياة التلميذ**) مثلت بمدنين وحاضر بقفصة تحت عنوان (**مسؤولية رجال الدين في إصلاح المجتمع**)

- حاضر بتطاوين على منبر الشعبة الدستورية تحت عنوان (**نافذة الغد**)

-جمع ديوانا لطيفا من الشعر

- **جوائزه** (لم يحرز إلا على جائزة السوق الشعرية) .

***أسلوبه:**

يشتمل شعر المستاوي على الجيّد المتناهى الجودة ويمازجه جانب غير منقح – وهو كخطيب وناثر وشاعر لم يتفرغ للصوغ المركز والأسلوب المنسجم- وعلى كل فان شعره العاطفي مؤثر إلى حد بعيد(انظر الصفحة 121 وما بعدها من الكتاب)

* **الحبيب المستاوي** شاعر الجنوب الشرقي وصاحب الجزالة والمتانة والخيال الصافي والأسلوب المؤثر (ص19 من الجزء4 من عكاظية تونس 1960)
* **الأستاذ الحبيب المستاوي** من نوابغ ادباء الجنوب وشعراء عكاظ الافذاذ ص162 الحلقة الخامسة من عكاظية تونس 1961
* **الأستاذ الحبيب المستاوي** (ينزع في شعره إلى الحكمة ويترسم خطى المتنبي ويلامس الحقيقة ويكبح خياله عن أن ينقل صور الجمال والحب وهو شحيح بالشعر الذي ينظمه لنفسه، ويتناجى مع احساسيه الخاصة وصميم قلبه والوسط الأدبي ملح في اكتشاف المزيد من ادب المستاوي والوانه الغير المعروفة من شعره) الصفحة 161 من الحلقة الثالثة من كتاب عكاظية تونس لسنة 1959

* لدى اصدار **السيد محمد بوذينة رحمه الله** لمجاميع شعرية تحت عنوان: **سلسلة غرر الشعر** ضمنها بعض قصائد الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله وارفقها بتعريف موجز به من ذلك ما جاء في كتاب (**القصيدة الشقراطسية معارضاتها وتخميسها**) من منشورات **السيد محمد بوذينة** اورد مؤلف الكتاب قصيد في مولد المصطفى **للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله** (30 بيتا) (ص79/ 80) والتي مطلعها:

من مهبط الوحي مثوى صفوة الرسل أطـل نـور الهـدى كالصبـح كالأمل
في بطـن مكـة أنـوار قـد انبلجـت مـن نـور احمـد في البطحـاء والجبـل
في البيـت (في الكعبـة) الغـراء قبلتنـا في كل وقـت وفي الاصبـاح والاصل

* وفي التعريف **بالشيخ الحبيب المستاوي** رحمه الله كتب **الأستاذ محمد بوذينة** رحمه الله (هو الفقيه الاديب الشاعر الحبيب المستاوي ولد بالرقبة من ولاية مدنين (سابقا) سنة 1341 هـ/ 1923م) تفقه بجامع الزيتونة وتخرج منه حاملا شهادة العالمية في الاداب وباشر التدريس بالفرع الزيتوني بمدنين ثم نقل إلى قفصة وعاد إلى تطاوين. وفي سنة 1381 هـ/ 1961م انتدب للتدريس والوعظ ضمن بعثة تونسية إلى ليبيا ثم عاد إلى تونس ومارس عدة نشاطات اجتماعية ونقابية وسياسية على الصعيدين الجهوي والقومي وتولى التدريس بالاكاديمية العسكرية طيلة سنوات كما تولى امامة المسجد الجامع بمقرين إلى تاريخ وفاته. واختير عضوا في عدة تجمعات إسلامية في المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا. وتوفي سنة 1395 هـ/ 1975م. من مؤلفاته: ديوان (**مع الله**) وهو تأملات شعرية، ومجلة **جوهر الإسلام** اصدرها سنة 1387 هـ/ 1968م وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها.

* كما تضمن كتاب المرحوم محمد بوذينة «**مشاهير التونسيين**» ترجمة للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله جاءت في طبعة 1988م في صفحتي 112 و113 وفي طبعة 1992م في صفحة 162.

سَلْ «جوهر الإسلام» عنه....

شعر الأستاذ البشير العريبي

إن الـذي وهـب الحيـاة وأبدعـا ... كتـب المـمات على الخلائـق أجمعـا
كم ذا فـرحنا بالوليـد.. وكم بـدت ... آمـالنا في ألطفـل أن يتـرعرعـا
لكنّـه مـا إن نمـا حتـى قضـى ... وأسـال مـن غـرب العيون مدامعـا
فـ اللهّ أودعـه مَـدًى فينـا.. ولَـ ... ـكِنَّ الإلَـه قـدِ استـردَّ المُـودَعَـا
ولنـا بأعـلام الرجـال مـواعـظ ... فاذكر هنا (كسرى) العظيم و(تبعـا)
والأنبيـا.. والمرسـلين.. وكـلّ مـن ... للخير.. في دنياه والأخـرى.. سـعى
واذكُـرْ كـذا علماءنـا الأعـلام مـن ... كانـوا بُـدورًا في الحيـاة طـوالعـا
واذكـر بـذا(المستـاوي)الشهـم(الحبيـ ... ـب).. وقـد تولـى عـن دنانـا مسرعـا
من بعـد مـا خاض التجارب في شبا ... به تاجـرا.. ودنا السياسـة قد وعـى
ثم استقى كـأس المعـارف والعلـو ... م النـافعات.. مـع الثقافـة.. مترعـا
وغـدا إلى الأدب الجميـل.. بشعـره ... وبنثـره.. فأصـاب منـه الأرفعـا!
سـل (جوهـر الإسلام) عنه تجد جوا ... بك شافيـا.. جَمَّ الإفـادة.. مقنِعـا
وسـلِ (الإذاعـة) عن أحاديث لـه ... تلـق الجـواب بمـا أذاع وأسمعـا
واسـأل (مـع اللهّ) العـليّ.. تجـدْ به ... شعـرا مليئـا بالحقـائق.. نـافعـا
رجـل دعـاه إلهـه.. فأجابـه.. ... نِعْـمَ المجيب -أيـا حبيب- لمن دعـا
خمسـون عامـا.. بـل تزيـد.. حياتـه ... كـان النضـال خلالهـا متتـابعـا
في الديـن والآداب كـان نضـاله ... ولَنِعْـمَ ذا.. في الديـن والدنيـا معـا
فامنحْـه مغفـرة -إلهـي- وأحبُـه ... سـكنى الجنان.. وهبه نُـزلا واسعـا

جمادى الثانية 1400 ماي 1980

شيخـــي : إنا نحب الشيخ

شعر الأستاذ علي الجليدي

ذكرى الاحبة تشرئب لها القلوب ... وحبيبنا الشيخ الجليل لنا حبيب
والحب اغلى ما اشتراه حبيبنا ... منا وحب الابرياء عجيب
والحب يبني من مشاعرنا له ... دنيا تعج بها الحياة وطيب
حب الصغار لشيخنا صدق ولو ... قد زاد فيه المدح والتشبيب
انا نحب الشيخ لا ندري وقد ... ندري وتفسير اللسان يغيب
خلقت لنا تلك المحبة ساحة ... قد ساد فيها الجد والتاديب
ومرحت فيها بين اترابي ... على وجد يلازمنا وفينا الشيب
شيخي جازاك اللهّ كم اعطيتنا ... فاليوم منا عالم واديب
في تاطوين يظل مسجدنا على ... ما كان لا عنف ولا تخريب
لم ننس سارية جلست بقربها ... انت المسائل تارة ومجيب
حتى الحصير نراه مبتسما لنا ... فيه لمجلس شيخنا الترغيب
نبدو سكوتا والحبيب مجلجل ... وحديثه شهد القلوب يذوب
منه استقينا حب امتنا فلم ... يلق السلام معمر وغريب
نحن الذين نعمر الخضراء لا ... علج بكفه رهبة وخطوب
هذي المبادئ ارضعتنا حبنا ... بالصدق لا شك ولا تكذيب
شيخي: يكاد الدمع يطفو حسرة ... لكن دموع ما لهن نديب
قل للذي يبني الرجال بدرسه ... ما انت غير ممرض وطبيب
لو لا المدرس ما راينا امة ... فيها شباب نير ومصيب
ما غبت عنا لحظة يا سيدي ... ضمتك من خير الرجال قلوب

ما مات من يعطي البلاد ثقافة كالبدر من بعد الشروق غروب
ورحلت في سن العطاء مصليا غفرت- بفضل اللهّ - منك ذنوب
كان السجود ختام دنياك التي فيها على مر السنين عطوب
بوركت خاتمة آتتك مطهرا ورحلت عنا هل تراك تؤوب
كم ذا لقيت من الحياة متاعبا واصاب منك معاند وكذوب
لله من لغة ملكت زمامها روض مطير مثمر وخصيب
ناداك رب الكون نعم ضيافة نعم المنادى المكرم الموهوب
لا لم تغب عنا فذكرك ها هنا باق فلم ينس الحبيب حبيب
يا فارس الشعراء في خضرائنا حياك قوم عندنا وشعوب
حيتك ارضك تاطوين ورملها حياك واد مجدب وعشيب
حيتك سانية بقريتنا بها نخل غدا وكانه مقلوب
ذكراك ذكرى الأربعين شجية ومليئة حبلى تميل طروب
نعم الذي خلفت فينا من يد لم ينسها طول الزمان جنوب
نعم البنون تركت بعدك للحمى نعم المدرس منهمو وطبيب
الخير يبقي الصالحين وغيرهم ينسيه قبر مظلم وقليب
وطني ولود للرجال فلم يزل يعطي ويعطي ليس فيه رسوب
لا ينتهي ابدا يجود بخيره كم فتنة لم تثنه وحروب
نهدي اليك تحية وتحية يا ايها المتبحر الموهوب
حتى الصحارى والجبال وصخرها تثني عليك وفي القلوب وجيب
ما غاب الا الجسم منك فهزنا ذكر لروحك خالد وعجيب
نهدي السلام اليك فاهنأ وابتسم انا لجيل رائد ونجيب

وثائق تاريخية

1 ـ البيان الذي قدمه الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه إلى اللجنة العليا للحزب الاشتراكي الدستوري1970 (1)

يصادف يوم 18 من شهر سبتمبر 1975 ذكرى وفاة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله (18سبتمبر1975). وتحية لروحه الزكية وتعميما للفائدة وتعريفا بجهوده رحمه الله في القيام بما يمليه الواجب الديني والوطني(وهم متلازمان لديه لا انفصام بينهما) لدى الإعلان عن وقفة التأمل في صائفة1970وتكوين لجنة عليا في صلب الحزب الاشتراكي الدستوري (والشيخ الحبيب المستاوي أحد مناضليه) تولت الإعداد لمؤتمر المنستير الأول الذي انعقد في شهر اكتوبر1971بادر إلى تقديم بيان ضاف اشتمل على رؤية شاملة للإصلاح رأى ضرورة القيام به في مختلف المجالات وضعه أمام اللجنة لتستنير به في عملها وهو ما بلوره في الخطاب الذي ألقاه لدى مشاركته في مؤتمر1971و الذي لقي تجاوبا كبيرا لا يزال يردد أصداأه الإيجابية من حضروا وشاركوا في مؤتمر1971وقد انتخب الشيخ الحبيب المستاوي على اثره عضوا باللجنة المركزية في ترتيب متقدم أثار حفيظة بعض الأطراف ممن أساؤوا الظن بالشيخ الحبيب و حسبوه على احد الأطراف المتصارعة في حين ان الشيخ الحبيب رحمه الله وهذا ما تبين للجميع بعد ذلك وما يشهد عليه بيانه هذا الذي نورد نصه الحرفي كما قدم للجنة العليا للحزب في صائفة1970 ليس له من غاية أو هدف سوى مرضاة ربه أولا ثم القيام بواجب النصح ابراء لذمته أمام الله وأمام الشعب وتلك لعمري هي المهمة الأساسية لعالم الدين.

(1) التزمنا في هذا البيان جانب الاختصار اشرنا إلى كثير من الأشياء إشارة فقط (ورب إشارة ابلغ من عبارة) ونحن مستعدون لشرح ما يستحق الشرح وللتدليل على ما يستوجب الدليل متى دعت الحاجة إلى ذلك.(الشيخ الحبيب). مجلة جوهر الإسلام السنة 2 العدد 10 جوان 1970.

وقد لاقى الشيخ الحبيب رحمه الله في سبيل مواقفه الصادقة المخلصة أذى شديدا احتسبه عند ربه وتحمله بصبر ومصابرة لم يبثه إلاّ إلى ربه الذي اقبل عليه بكليته واشتكى إليه حاله وما سلط عليه و تضمنته آخر قصائده الشعرية لاسيما قصيد ته المطولة إلى الله أشكو(في مائتي بيت) وهي في ديوانه الذي جمع ونشر بعد وفاته ويحمل عنوان (مع الله) .

ظل الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله على تلك الحال لا أنيس له إلاّ ربه أو قلة قليلة جدا من رفاق دربه وأهله الذين فوجئوا بتعجيله إلى ربه راضيا مرضيا صبيحة يوم الخميس 12 رمضان الموافق لـ18 سبتمبر 1975 وقد أمسك للصيام وقام للصلاة فركع الركعة الأولى وفي الركعة الثانية التحقت روحه الطاهرة ببارئها راضية مرضية ليبيت ليلة الجمعة في قبره بالزلاج رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فراديس جنانه وجازاه الله عن دينه وامته خير الجزاء.

نص البيان

وبعد فشعورا بواجب النصح الذي جعله الله أمانة في عنق المؤمنين، يجازيهم خير الجزاء إن هم قاموا به لوجهه الكريم، ويحل بهم مقته وغضبه إن هم أهملوه أو قاموا به لغير وجهه الكريم أو لما توسوس به النفوس الأمارة بالسوء من منافع ومطامع. وكل هذا قد وضحه القرآن الكريم أعظم توضيح حين قال : ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾، وأكده وقرره سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم حين قال: **(الدين النصيحة)** قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: **(لله ولرسوله ولكتابه ولأيمة المسلمين وعامتهم)** وقال أيضا: **(لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليحلن بكم عذاب محتضر)**.

إن الاستجابة لهذه الهتافات السماوية النبوية تحتم على المخلصين لها ان يقدموا النصح لمن طلبه ولمن لم يطلبه على حد السواء إنما المهم أن يطبع بالطابع الإسلامي الصميم ذلك الطابع الذي وضحه القرآن الكريم أجمل توضيح حين قال: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ ولا ننسى أن تونس قد تمسك دستورها في فصله الأول بعروبتنا وإسلامنا وعلى هذا الأساس نلفت نظركم إلى ما يلي مما نحس بان التناقض قد بلغ فيه منتهاه.

1 ـ الإشعاع الروحي:

إن شعبنا التونسي الذي هو شعب معروف بأصالته العربية الإسلامية قد وهبه الله من الخصائص ما جعله جديرا بان يحتل مقام القيادة والريادة منذ فجر الإسلام الأول، إذ قد استطاع هذا الشعب أن يجعل من بلده مصدر إشعاع لا في الشمال الإفريقي وحسب بل في مجاهل إفريقيا وقلب أوروبا، ولقد كانت القوة الروحية هي المطية التي عبر بواسطتها أجدادنا الفيافي والبحار، وحققوا لدينهم ولامتهم أعظم انتصار، إن الرقعة الأرضية الضيقة والنسبة العددية لهذا الشعب لم تستطيعا ان ترجعا المد التونسي عن غاياته البعيدة، **وليس ذلك للفصاحة والذكاء والجاذبية والطيبة التي ميزنا الله بها فقط، بل مرده الأول والحقيقي إلى جامع عقبة وجامع الزيتونة، فمن هذين المكانين الأقدسين تخرج الدعاة والفاتحون وجاؤوا من كل صوب وحدب ليغترفوا من معين تونس، وليجعلوها عن اختيار واقتناع وطنهم الثاني إن لم تكن الأول، لقد رأينا بأعيننا أن تونس الصغيرة استطاعت أن تكون عديلة لمصر الشاسعة الكبيرة، وان تنازعها عن جدارة زعامة المسلمين، وكثيرا ما تفتكها منها لا بشيء إلا بجامع الزيتونة الذي طاول الجامع الأزهر فطاله، وغالبه فغلبه، ورأينا -وما بالعهد من قدم- أن أصدقاء كثيرين تنكروا لصداقتهم معنا بل واشتركوا مع من تآمر علينا، ولم نر واحدا من الذين رضعوا ثدي الزيتونة من غير أبناء تونس كفر بنعمتنا أو تنكر لأبوتنا. فهل آن لنا ان نراجع أنفسنا -ونحن أهل المراجعة- «والرجوع إلى الحق فضيلة» هل آن لنا أن نعيد تلك القلعة الشامخة البناء إلى سالف عهدها متطورة متعصرة تحتضن فئات من أبنائنا الذين نحن في حاجة إلى خدماتهم المجدية، وفئات من الوافدين علينا ليصبحوا أبناء لنا اليوم وأشقاء أوفياء لنا غدا؟**

2 ـ إصلاح التعليم:

إن تجربتنا النضالية الطويلة المظفرة أبانت لنا بكل وضوح انه لن يستبسل ويثبت في أية معركة إلا من كان صادق الإيمان بقيمه ومثله ودينه وتاريخه، فهو الذي يعتز بالماضي ويجعله ركيزة المستقبل، ويأبى عليه إيمانه بربه أن يتوغل في الشر إذا ما انزلق فيه عن غير قصد وروية، ولا يمكن أبدا المقارنة بين مؤمن وجاحد، وبين بار

وعاق، وبين مخلص ومتنكر، والتجربة الناطقة ماثلة أمام أعيننا توضح بما لا غموض فيه ان من كفر بربه سهل عليه أن يمزق روابطه العائلية والقومية وسهل عليه أن يتاجر بكل شيء، لأنه لا يؤمن إلا بالمادة، فأينما رآها جرى خلفها لاهثا، **وإزاء هذه الحقائق المرة الحلوة يكون لزاما علينا أن نعيد النظر بكل تمحيص ودقة وصراحة وشجاعة في برامج تعليمنا من ألفها إلى يائها لأننا رأيناها -والحق يقال- لا تستطيع أن تخرج لنا رجالا نطمئن على مصير امتنا إذا ما القي بين أيديهم، ومن لم يتشبع بتاريخ أمته ولم يقدس مثلها، ولم يتعمق في لغتها لا يمكن أن يكون معتزا بها ولا مخلصا إليها، اننا لسنا من أنصار الانغلاق أو الانعزال، بل نحن من المؤمنين بالتفتح الذي لا يصل إلى حد الذوبان والانسلاخ، لقد أخذ عنا الغرب العلم والحضارة إلا أنهم كرسوا جهودهم لترجمتها وطبعها بطابعهم حتى أصبحت مع الأيام وكأنها نتاج عبقريتهم وتراث أجدادهم، فلماذا لا نفعل مثلما فعلوا فنبعد عن أجيالنا الصاعدة الذبذبة والحيرة والتنطع؟**

إن الشباب الذي نريد **أن نجعل منه مسلما صميما وعربيا صادقا وتونسيا مخلصا، لا يمكن أن يتعلم بالمدرسة لغة أكثر من تعلمه للغته، وتاريخا أكثر من تعلمه لتاريخه، وفلسفة أكثر من تعلمه لفلسفته، انه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون جميع شبابنا المتعلمين من نوع المهندسين والأطباء والذريين والفيزيائيين، بل لا بد أن يكون من بينهم الأدباء والمختصون في الكتاب والسنة، وحفظة القرآن أيضا، المختصون في علومه مما يحقق حاجة المجتمع التونسي المسلم. فأين المدارس القرآنية (الكتاتيب) المنظمة التي ستحقق هذا الغرض؟ وأين البرامج التعليمية أيضا؟ ومتى سنهتم بهذا المشكل الخطير؟**

3 ـ وسائل الإعلام:

إن وسائل الإعلام والثقافة تلعب الدور الأساسي الرئيس في توجيه الشعوب فتكيف أذواقها وتقوم انحرافاتها، فهل أنّ وسائل الإعلام والثقافة لدينا بما فيها من صحافة وتلفزة وإذاعة وتمثيل وسنما ونشريات محلية أو مستوردة، هل أنّ هذه الوسائل تخدم الغايات الأخلاقية والوطنية والدينية؟ أم هي سائرة في غير هذا الاتجاه؟ وهل نسمح لأنفسنا أن نتركها تهدم ما نبني، وتعمل على نقيض منا نريد؟

4ـ الهياكل الدينية:

إن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الدعاية والإشهار، وان الحق الواضح إذا لم يقع التعريف به والدعوة إليه بالحاج يهمل وينسى تماما ومن اجل هذا دعا الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى التذكير فقال: «**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**» وقال «**فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي**». ونحن إذا ما أردنا أن نقارن هنا بين ما يقوم به دعاة الدين والأخلاق والفضيلة نرى أن سوق الأولين انفق وإمكانياتهم أعظم، وإزاء هذا التكالب من أنصار الضلال والإلحاد نرى انه يتعين علينا أن نقيم أجهزة عتيدة للدعوة الإسلامية، ونعطيها من الفعالية والعون ما يجعلها تنطلق في هذه المجالات انطلاقة تعطى للدولة وللحزب ما تعطيه المنظمات القومية التي ثبتت نجاعتها واستمرت رسالتها.

لقد رأينا جل الدول الإسلامية بل جميع الدول الإسلامية تجعل ضمن الهيئات المحترمة **مجلسا إسلاميا أعلى أو مجلسا للعلماء وبجانب ذلك جماعات للدعوة الإسلامية تجد من حكوماتها الدعم المادي والأدبي ويندرج ضمنها رجال مؤمنون يخلصون النصح ويصدقون فيه، ويمارسونه كعبادة وهواية يتأثرون، ويؤثرون، فكم نحن في حاجة أكيدة** إلى جمع شتات هؤلاء المؤمنين المخلصين الصادقين الذين يفهمون الإسلام على حقيقته، وإعطائهم الفرص الكافية للعمل؟

5 ـ التشريع:

وكم تتوج أعمالنا بالنجاح والتوفيق إذا نحن عممنا مسالة المراجعة الواعية المتبصرة حتى في بعض مسائلنا التشريعية على ضوء التجارب التي عاشها المجتمع التونسي في ظروفه الأخيرة... وكل هذه الأشياء أمام أصحاب العزائم الصادقة من رواد الإصلاح المقدرين للمسؤولية التاريخية سهلة وميسورة، وإنها لتعطي للحزب والدولة من القوة والمناعة ما لا تعطيه الجيوش الجرارة ولا قوة البوليس.

6 ـ لغة الإدارة:

لقد جعلنا من أهدافنا القومية المقدسة مسالة تعريب التعليم والإدارة، وبذلنا في سبيل تحقيق هذه الغاية ولكننا بكل أسف وقفنا تماما عن تطبيق مسألة التعريب عندما

أصبحت أمورنا بأيدينا إذ أن الإدارة ما تزال لغتها فرنسية في مجموعها، والتعليم يخدم الفرنسية أكثر من التعريب، الأمر الذي جعل شبابنا يفضل التخاطب بالفرنسية حتى في أموره العادية. **فمتى نأذن لمصالحنا الإدارية باستعمال العربية في مناشيرها وتنابيهها وغير ذلك من كل ما هو خارج عن نطاق الفنيات الضرورية؟**

7 ـ الأخلاق العامة:

مما لا شك فيه أن الأمم تعلو وتنزل بالأخلاق:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

إن نبينا صلى الله عليه وسلم قال: (**الدين الأخلاق**) وقال: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) وليس هناك من ذوي العقول من يجادل في ثبوت هذه الحقيقة غير أننا ويا للأسف نلمس انحدارا أخلاقيا عظيما يجتاح المعمورة قاطبة، ويصيبنا شره هنا بنسبة كبيرة جدا، الأمر الذي يوجب علينا أن نقف لصد تياره الجارف بكل ما أوتينا من قوة حتى نجنب امتنا الانهيار المحقق إذا تمادى هذا الإهمال والتجاهل لمسالة الأخلاق لأنه لا علاج لها إلا بالرجوع إلى الأخلاق الإسلامية الأصيلة

خاتمة:

واني إذ أقدم هذه المقترحات أقدمها بدافع الحب لهذه الدولة ورجالها والغيرة على الدين والوطن، والإيمان القوي بان الوحدة القومية يجب ءن تكون شيئا مقدسا، ويجب أن تكون واسعة تستوعب جميع الناس وتحقق لهم أهدافهم، إذ مع بعد النظر وحسن النية لا يمكن ان يوجد تناقض بين المخلصين.

أقدم لكم كلمتي هذه ورائدي الوحيد النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأيمة المسلمين وعامتهم، فعسى أن تجد لديكم ما تستحقه من تأمل واعتبار، وذلك هو غايتي ومنى نفسي.

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

الشيخ الحبيب المستاوي

2 ـ وثيقة تاريخية هامة: مقابلة صحفية أجرتها جريدة العلم المغربية مع الفقيد الشيخ الحبيب المتساوي رحمه الله أثناء زيارته للمغرب سنة 1390-1970

زار المغرب الأستاذ الحبيب المستاوي مدير ورئيس تحرير مجلة (جوهر الإسلام) التونسية رفقة الأستاذ إبراهيم بن محمود الكاتب الخاص للفقيد الشيخ الفاضل بن عاشور ضمن جولة للتعريف بهذه المجلة الإسلامية الكبرى والاتصال بالمفكرين والأدباء المغاربة والتعرف على نهضة البلاد الفكرية. والأستاذ المستاوي هو احد أساتذة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس والأكاديمية العسكرية ويلقي حصصا في الإذاعة يتناول فيها مسائل الدين والأخلاق وإمام خطيب بجامع ضاحية مقرين العليا. يمارس نشاطات اجتماعية متعددة وبصفة خاصة يعنى بموضوع التوجيه الديني والدفاع عن القيم الإسلامية. وكل شعره وخطبه ومحاضراته لا تكاد تخلو من هذا الغرض. له ديوان شعر كبير لم يطبع وبحوث ودراسات لم تقدم للطبع. وعن دور مجلة (جوهر الإسلام) فهي مجلة استطاعت أن تلعب دورا مهما وسط الشباب المثقف وخصوصا القسم المحرر بالفرنسية. وكونت حولها عددا مهما من طلبة الجامعة. وقد اغتنمنا زيارته للجريدة وأجرينا معه الحديث التالي:

*** س: نرجو أن تحدثوا القراء عن اهتماماتكم بالدراسات الإسلامية؟**

ج: الدراسات الإسلامية شغلي الشاغل واهم ما أعنى به وخصوصا فيما يتعلق بالنهضة الإسلامية وطرق تحقيقها. والدعوة إلى الأصالة الإسلامية وجعلها الشرط الأساسي في كل محاولات إصلاح وبناء تقوم بها المنظمات والدول الإسلامية وأتتبع جميع ما يكتب وما كتب عن الإسلام في جميع الأقطار الإسلامية والعربية بصفة خاصة بحيث أتتبع عن كثب حياة المصلحين في عصرنا الحاضر من أمثال أبي الأعلى المودودي وعلال الفاسي ومالك بنبي أما المأسوف عليه الشيخ **الفاضل بن عاشور** رحمه الله فاني أعيش معه وبجانبه واعتبر نفسي من أول المتخرجين عنه والمتشبعين بأفكاره، كذلك كنت شغوفا بتتبع آفاق النهضة التي دعا إليها وعمل

في سبيلها السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وقرأت جميع ما كتبوه...

*** س: ما هو دور جامعة الزيتونة الآن؟ وكيف ترون رسالتها الإسلامية بعد النصف الأخير من القرن العشرين؟**

ج: الدور الذي لعبه **جامع الزيتونة** في العصور الماضية والى منتصف هذا القرن دور فعال، يعرفه القريب والبعيد لأنه استطاع أن يحافظ لا للبلاد التونسية وحسب بل وللشمال الإفريقي عموما على عروبة تونس وإسلامها، واستطاع أيضا أن يكون له الضلع الكبير في مكافحة الاستعمار بجميع ألوانه واقتضت سياسة توحيد التعليم منذ سنوات جعله مقتصرا على التعليم العالي فقط الذي تقوم عليه **الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين**. غير أن المدركين للدور العظيم الذي لعبه **جامع الزيتونة** وعليه أن يلعبه دائما للمحافظة على الإشعاع العربي الإسلامي بتونس ما يزالون يطالبون بإرجاع التعليم الزيتوني إلى سالف عهده مع إخضاعه إلى مقتضيات التطور العصري حتى يستطيع الخريجون من أبنائه أن يواجهوا مقتضيات الحياة العصرية. ولقد أصبحنا نطمح في الآفاق القريبة والرسمية بشائر العودة إلى إحلال هذا النوع من التعليم بين جميع شعب التعليم، خصوصا في مرحلته الثانوية. فعسى أن نرى في القريب ما يحقق هذه الضالة المنشودة.

*** س: هل تجدون مساندة في مهمتكم من جامعات ومعاهد البلاد الإسلامية ورجالاتها؟**

ج: إنني اعتقد أن المشاكل الإسلامية متشابهة، والذين يعملون في سبيل الأصالة العربية الإسلامية في كل نطاق من نطاقات العمل هم متساندون ومتضامنون قطعا لان الغاية واحدة ولان الأهداف مشتركة، وكلما سنحت الظروف بلقاء مادي أو معنوي، كان التجاوب والتعاون والتساند من الأمور المفروغ منها. ولهذا يشعر رجل الفكر الإسلامي كلما دخل إلى بلد عربي أو بلد مسلم انه بين أهله وذويه. وبين قوم يعانون ما يعاني. ويجاهدون من اجل غاية مشتركة. وما المؤتمرات التي تعقد في هذا النطاق والندوات التي تقرر بين الفينة والفينة إلا اكبر دليل على هذا التعاون المثمر. ثم إن تبادل النشريات والبحوث والمجلات تثبت هذه الحقيقة. وسوف ندرك النتائج

لهذه المساعي والجهود إذا ما استمر النشاط وتضاعف المجهود وتسلح العاملون من اجل قضية الإسلام بالإيمان والعزيمة والمرونة.

*** س: جامع القرويين، اثر إسلامي له دور في إفريقيا الشمالية وإفريقيا السوداء قديما وحديثا كيف نجعل من هذه المعاهد خلايا لنشر الدعوة وتثقيف الأجيال المسلمة ثقافة متمشية مع العصر؟**

ج: أظن أن الجواب عن هذا السؤال يندرج ضمن الجواب عن السؤال الثاني (دور **جامع الزيتونة**) ولزيادة التأكيد أقول إن **القرويين والأزهر والزيتونة** معاهد خالدة وقلاع شامخة البناء فمن العقوق والتنكر أن يحاول احد الاستغناء عنها أو جحود دورها وفعاليته وكل نهضة إسلامية وعربية لا ترتكز على هذه الأصول الخالدة العتيدة تعتبر كشجرة بدون عروق. غير أنني لا أؤمن بالجمود والتحجر وأتحمس إلى التفتح لكل جديد نافع حتى لا تخلفنا القوافل. ولهذا **فللقرويين والأزهر والزيتونة** دور اليد في مستقبل المسلمين وإذا أرادت الحكومات الإسلامية والعربية أن تبني وتشيد على أسس ثابتة فان الرشد يفرض عليها أن تعيد لهذا النوع من التعليم حياته كاملة وتبقي طابعه الأصيل مع إدخال الإصلاح في البرامج والاستيعاب في المناهج حتى لا يكون المتخرجون بثقافة إسلامية عربية متخلفين أو رجعيين أو جاهلين بما يقبح الجهل به من علوم رياضية وحسابية وغيرها.

*** س: هناك ندوات تعقد حاليا حول (الإسلام وتحديات العصر)، هناك أيضا بلاد إسلامية تعزوها إيديولوجيات شرقية وغربية استطاعت أن تلفت إليها الأنظار، ويحتد النقاش حولها، هل لكم أن تحددوا لنا المغزى من وراء كل ذلك؟**

ج: انتم تعلمون أن الأمة الإسلامية نهضت أخيرا وتحررت من ربقة الاستعمار التوطيني بيد أنها ما تزال خاضعة من قريب أو بعيد إلى نوع من الغزو الثقافي أو الاستعمار الفكري. وهذا النوع أبشع أنواع الاستعمار وأكثره مراوغة لان العدو فيه غير سافر الوجه. وغالبا ما يكون داخليا. وان هذه الفترة التي تمر بها الأمة الإسلامية لهي أدق فترة من الفترات التي مرت بها في أحقابها المتعاقبة ذلك أن المجادلين في الإسلام والمشككين فيه لم يعودوا مبشرين يفر منهم الناس ويرمونهم بالتعصب

والعداء، بل أصبحوا من تلامذة أولئك المبشرين وهم منا دما ولحما. ولا يخفاكم أن (ظلم ذوى القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند).

وشعورا بهذه الخطة الجهنمية يتحرك المخلصون المؤمنون في كل مكان من البلاد الإسلامية ليواجهوا هذه الحملات التبشيرية الماكرة ويجندوا جميع وسائلهم مفترقة ومجتمعة لينقذوا الشباب المسلم من الأحابيل التي تنصب له وللأمة الإسلامية.

ولقد اكتست حملة التبشير القذرة ألوانا من الفلسفات العقيمة السوفسطائية التي هي ألوان من التخدير جعلت كل بلد إسلامي يعاني مشكلة تلائم مناخه ومزاجه ووسائل عيشه، وتتحد مع بقية المشاكل الأخرى في البلد المجاور في الغاية والهدف إذ أن الغاية هي صرف الاتجاه عن الفلسفة الإسلامية ورميها كذبا بأنها قد لا تحقق لإنسان القرن العشرين طموحه المشروع وفي الواقع ان الإسلام غنى بما أودعه الله فيه من طاقات عن كل مستورد من نظريات : التقدمية والثورية والاشتراكية وما إليها مما هو تشكيك وتزييف لان المسلمين لو حققوا ما جاء به قرآنهم الكريم وسنتهم النبوية الطاهرة لأصبحوا الأمة المثالية ولأصبحت بلادهم المدينة الفاضلة التي كان يحلم بها فلاسفة اليونان.

إنما الأمر الذي يحز في النفس ويؤلم المخلصين اشد الألم هو التجاهل والتغافل والخضوع لسلطان الشهوات والأهواء. هذه الأشياء التي تجعل من بأيديهم الإلزام يؤخرون ويرجئون مسألة تطبيق الإسلام إلى ما لا نهاية له متعللين بأن أوضاع المسلمين لا تسمح بذلك، والواقع الذي لا محيص عنه هو أن الأوضاع الشخصية وضعف الوازع، وعبودية الشهوة هي التي تجعل المسلمين يعتاضون عن الإسلام بما لا يزيدهم إلا بلبلة وتفرقا وفوضوية.

*** س: مجلتكم (جوهر الإسلام) مجلة إسلامية، وقد جاء في افتتاحية عدد يونيه الأخير (إن أي تقدم واستقرار وقوة لا يحصل إلا متى رجع المسلمون إلى أصول حضارتهم المتمثلة في اللغة والدين وبنوا على تلك الأسس الثابتة لغدهم السعيد) نريد أن توضحوا دور اللغة في تقدم الأمم الإسلامية واستقرارها؟.**

ج: هذا السؤال اعتبره من أهم الأسئلة التي يجب أن تثار وان تقع الإجابة عنها بإطناب، ذلك أن اللغة العربية تعتبر الوعاء الحقيقي للإسلام وأمجاده وحضارته

وتاريخه وإذا تمزق الوعاء تناثر ما بداخله واني لأعتقد اعتقادا جازما أن الأمة الإسلامية إذ لم تحل اللغة العربية محل الصدارة والاعتبار فإنها سوف تبقى متأرجحة إذا لم اقل معرضة للذوبان والتلاشي ولقد كان لنا في التاريخ الحضاري عبرة لو أردنا أن نعتبر ذلك أن الغرب عندما أراد أن يقتبس منا في عصور مضت وان يلتحق بأممنا الزاحفة نحو التقدم الذي كان مدهشا بالنسبة إليهم كما كان تقدمهم اليوم مدهشا بالنسبة إلينا قلت عندما أرادوا أن يأخذوا عنا وان يلتحقوا بنا عكفوا على ترجمة ما هم في حاجة إليه من علوم وحكمة وفلسفات وغيرها حتى لا تذوب أجيالهم فينا ولا في لغتنا وحضارتنا، فاستطاعوا بذلك، أن يحافظوا على شخصيتهم وان يعتزوا بأمجادهم وتراثهم، ونحن بكل أسف تحررت شعوبنا منذ أزمنة تعتبر في تاريخ الشعوب طويلة، ومازلنا إلى اليوم نجادل في مسألة صلاحية العربية للعلوم والفنون والصناعات وهو لون من ألوان المغالطة والمكر لان العربية شهد ألد خصومها لها بالاتساع والقدرة على استيعاب كل جديد. فلو أخلصنا لامتنا ولحضارتنا ولإسلامنا لأعرضنا عن هذه الشنشنات الفارغة واعتمدنا التعريب في الإدارة والتعليم أساسا لأي تقدم منشود.

وبهذه المناسبة أهيب برجال الفكر ورجال الحكم أن يتقوا الله في أجيالنا الصاعدة وان يريحوها من هذا البلبال الذي تتخبط فيه والذي أخشى أن تكون عواقبه وخيمة على جميع الناس وعلى من تسببوا فيه قبل سواهم. ولن نستطيع أن نقضي على هذا الخطر المحدق إلا بتوحيد برامج التعليم في جميع الأقطار الشقيقة وجعله عربيا إسلاميا في لحمه ودمه. ولا اقصد بهذا الكلام القضاء على الاقتباس والاغتراف والتفتح الذي تحتمه ظروفنا، إذ أن الواقعية والإخلاص تفرض على جميع المخلصين للعربية والإسلام أن يراعوا هذه الأشياء، وان يقرؤوا لها حسابها.

*** س: زرتم المغرب وقابلتم رجال الفكر والأدب فيه فبماذا أوحت لكم هذه المقابلات؟ وهل هناك تطور ونهضة فكرية؟**

ج: المغرب الأقصى بلد يزخر بقيمه الإسلامية والعربية وهو مليء بالخامات التي لو صنعت وصهرت لاستطاعت أن تخلق الأعاجيب. وتاريخ المغرب الأقصى الحافل بالبطولات وبالدفاع عن الإسلام في أدق نقطة وأخطرها هي متاخمة بعض البلدان الصليبية التي عرف المسلمون نواياها وقاسوا من حملاتها الأمرين. هذا

التاريخ يصلح أن يكون نواة لبعث إسلامي جديد توفرت أسبابه هنا. كما هي متوفرة ولله الحمد في عدة مناطق من العالم الإسلامي. وان تجربتي الإسلامية والعربية بصفة خاصة أعطتني أن الشعوب العربية والإسلامية متهيئة اليوم أكثر من أي وقت مضى لان تحقق للإسلام كل مأمول، إلا أن ذلك متوقف أساسا على انبعاث طائفتين من أبناء هذه الأمة الإسلامية في المغرب الأقصى وفي غيره. هاتان الطائفتان هما: طائفة أولى السلطان ممن بأيديهم النفوذ. وطائفة المثقفين ثقافة إسلامية والعاملين المتخصصين من رجال الإسلام، فإذا ما توجهت الهمم من هاتين الطائفتين إلى البناء والتشييد والجهاد الصامد الطويل في سبيل إحياء الإسلام ورفع منارته ودعم أسسه وجد التحمس والاندفاع من الجماهير المسلمة التي أصبحت اليوم تتحرق إلى الإسلام تحرق الظامئ إلى الماء العذب، لأنها آمنت بان الإسلام وحده هو الذي يحقق الطمأنينة والاستقرار والسيادة والقوة ويحقق أيضا الأخوة التي هي الشرط الأساسي في إثمار كل قصد. ورحم الله من قال: (**المسلمون على ركود الريح من خير الجنود أم الذكاء والعبقرية في ديارهم ولود. لكنهم في حاجة قصوى لتوحيد الجهود وسبيل ذلك واضح لو كان فيهم من يقود**).

عن جريدة «العلم» المغربية ـ العدد 7392 ـ السنة 24

16 جمادى الآخرة 1390 الموافق

19 أغسطس (أوت) 1970

عن جريدة «العلم» المغربية

شَخْصيّة المُصْلِح.. والعالِم البارّ

فضيلة الشيخ الحبيب بن محمّد المستاوي

صاحبُ مجلة (جوهر الإسلام) التونسيّة الغرّاء[1]

بقلم الشيخ صالح العَوْد / فرنسا .

مُجاز في الشريعة الإسلامية / جامعة الأزهر

- وُلِدَ الشيخ الحبيب المستاوِي في 9 جانفي عام 1923 = 1342 هـ، في بلدة «الرقْبه» من مدينة تطاوين.
- نَشَأ نشأة صالحة، فحفظ القرآن الكريم على جدّه أحمد، كما أخذ عنه مبادئ العلوم، ليتأهّل فيما بعد لدخول جامع الزيتونه المعمور في العاصمة تونِس؛ فانخرط فيه عام 1354 هـ = 1935 م، و دَرَس فيه العلومَ الشرعيةَ المقررَّة آنذاك مدّة ستة عشر عامًا، إلى أن تخرّج فيه حاملا شهادةَ العالِمِيَّة؛ و قد كان ذلك في عام 1371 هـ = 1951 م.
- كان الشيخُ الحبيب المستاوي من أُولي العزْم، إذ تقلّد العديد من الوظائف: الدينية، و العلمية، و الفكرية، و الاجتماعيّة حتّى ... فكان أَولُ عمل باشرَه إثْر تَخَرُّجِه هو التعليم، فكان مدرِّسًا بالفرع الزيتوني بمدينة مَدْنين في الجنُوب الشرقيّ التونسيّ... و ظل الشيخ يعْمَل في مهنة الأنبياء، و يتنقّل من مدينة إلى أخرى، داخلَ الوطن و خارجَه، بهمّة عالية، و جهودٍ راقية، لا يعرف معها الكلل، و لا الملل...

(1)هذا المقال أصله حديث إذاعيّ، كُتِبَ و أُذيع في (إذاعة القرآن الكريم بباريس) في برنامج (شخصيات علمية و فكرية)، و ذلك يوم الخميس 27 جمادى الأولى 1433 هـ = 19 أفريل 2012م على الساعة 6 صباحًا مع إعادة.

- في العام 1382 هـ = 1962 م، دخل الشيخ المستاوي المعترك الإعلامي، حيث أُتِيحَ له تقدِيمُ « حِصَصٍ أسبوعية»، في (الإذاعة الوطنية)، بدأها بحديث الصباح، ثم أعقبها بحديث آخر في تفسير القرآن الكريم، وكان ذلك ظُهر يوم الجمعة المبارَك.
- وفي عام 1386 هـ = 1966م بَاشَر الشيخُ المستاوي «الإمامةَ» بجامع مقْرين مقرُّ إقامته الدائمة؛ كما كان يُلقي درُوسًا في عدة مساجد بالعاصمة: ضواحيها ونواحيها، مثل جامع الزيتونه، وجامع سبحان الله وجامع الزّرارْعية، وغيرها.
- وكان الشيخ - فضْلاً عن ذلك - يخطب، ويحاضر، ويكتب، ويشارك في المجال التربوي والتوعوي، وفي كلّ ما ينهض بالأمّة التي أنهكها الجهل، وأبطأ بها التأخر في مجال الحضارة والتقدّم، فكان الشيخُ الحبيبُ المستاوي لا يدّخر وِسعًا في ذلك إلى حين وفاته.
- في عام 1390 هـ = 1970 اختير الشيخ المستاوي أمينا عامًا لجمعية المحافظة على القرآن الكريم والأخلاق الفاضلة في تونس العاصمة، فازداد عِبْئًا آخر إلى أعبائه الخالدة، فكان يشرف على مركزها العام، ويتفقد فروعها المنتشرة في سائر الولايات، ويوجّه أعمالَها ويتابعها بنفسه.
- أمّا في المجال الخارجي، فكان للشيخ نشاط متميز ومتألق في آن، فقد كان يُدْعَى إلى الحضور والمشاركة في العديد من المؤتمرات العالَمية، مثل مؤتمر المنظمات الإسلامية العالَمية بمكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما .. وكذلك ملتقَى الفكر الإسلامي الذي كان يُقام في بلاد الجزائر كل عام.. وغيرهما..
- ومِن أعظم أعمال الشيخ الحبيب المستاوي، التي توّجت جهودَه البارة، على الصعيد الداخلي والخارجي، سواء في المجال العلمي أو الثقافي، إصداره مجلةً شامخة.. راسخة.. فاخرة.. سمّاها : (جوهرَ الإسلام)، كان ذلك في عام 1388 هـ = 1968م، بجهود فردية متواضعة، فكان يسهر على إعدادها وإصدارها في موعدها، كما يسهر الوالد على وليده، حتى شبّت ونمت، وتألقت، واستقطب لها ألمع الكُتاب، وأشهر المفكرين، من أنحاء العالم الإسلامي، مثل أنور الجندي، وأبو الأعلى المودودي ود. محمد حميد الله والشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري، وغيرهم،

وقد ظلت مجلة (جوهر الإسلام) تصدر في حياة صاحبها، تَحت إشرافه ورعايته، مدةَ سبع سنوات متواصلة، ولمّا توفّي، واصل مشوارها : نجلُه البار فضيلة الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله ورعاه.

- لمّا بلغ الشيخُ الحبيب المستاوي من العمر اثنيْن وخمْسِين عامًا، وتحديدًا في عام 1395 هـ = 1975م، أُحِيل على التقاعد الإجباري، من وظائفه الرسمية، بعد أن أنهكه العمل الجاد، وأثّرت فيه الحركة الدائبة والدائمة، لأعماله الشاقة والمتنوعة، إذ توفّي بعد ثلاثة أشهر، وتحديدا في 12 رمضان = 18 سبتمبر من نفس السنة.
- ترك الشيخ الحبيب المستاوي، تُراثًا جليلاً من أعماله الصادقة، وجهوده الفائقة، وهي بلا شك عصارة فكره، وزبدة قلمه المحرِّر، منها :
  - جوهر الإسلام / في 7 مج
  - مع الله: (تأملات شعرية)، ديوانُ شعره.
  - من وحي الإسلام
  - أحاديث إذاعية، (وهي التي كان قد ألقاها في الإذاعة الوطنية).
- حَلاَّه ونوّه بشخصه، حبًّا وتقديرًا : نخبة من الأعلام، ممّن عرفوا قدْرَه، وجهدَه، من أمثال ذ. أنور الجندي عملاقِ الفكر الإسلامي، وفيه يقول : « لقد أضاء هذا الرجل مصباحًا كبيرا في أفق، كان في حاجة إلى ضياءٍ شديد، وبَذَلَ مِن جُهدِه ومالِه في سبيل إخراج مِثْلِ هذه المجلة الأنيقة الجامعة، التي ترى فيها كتاباتٍ من كلّ آفاق البلاد الإسلامية». اهـ

ومسك الختام، أقول : لقد أحسن نجلُه العظيم، فضيلة الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي يحفظه الله حينما خلّد أباه، وأَبقاه في الذّكرْ، أبد الدهر، بإصداره في حقه، عددًا خاصّا به، من مجلة (جوهر الإسلام) الغراء، وهو العدد الأول من السنة الثامنة عام 1395 هـ = 1975م..

رحم الله تعالى المصلح والعالم البار: فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي، رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

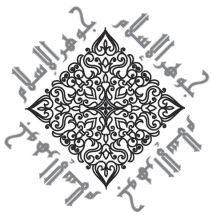

عذرا... وعفوا ياشيخنا الجليل الحبيب المستاوي

بقلم صالح الحاجّة

...وماذا عساي ان اكتب عن الشيخ الحبيب المستاوي رحمه اللّه ...وماذا سأضيف ...فالكلام دائما وابدا على الكلام صعب ...لقد ظللت اسال نفسي طيلة ايام : ماذا يمكنني ان اقول عن الشيخ الجليل ...؟؟؟

لقد قيل فيه الكثير والغزير والمفيد ...ومنذ وفاته والاقلام تكتب عنه ...وتقدم عنه شتى الصور المشرقة ...وتسجل مواقفه في الحياة والإسلام والعقيدة والايمان ... وتتوقف عند قضية محورية شغلته وارقته وتحدته ولعلها مازالت إلى يوم الناس هذا تستفز العقل العربي والإسلامي وهي قضية التخلف الحضاري الذي تعيش داخل اسواره الامة العربية والإسلامية وكأنها في سجن فلا تبدع ...ولا تنتج...ولعلها لا تتنفس ...وتعيش على الاستهلاك ...والمحاكاة ...والاستنساخ ...

سالت نفسي وتساءلت وكنت في كل مرة اجد انه من العبث ان اكتب عن الشيخ ...وانني سوف اكتب اذا كتبت ما لاطائل من ورائه ...فما هو منشور عنه جمع فاوعى ...واعطى فلم يبق لي شيئا ...وقدم للناس ما يتمنوا ان يعرفوا عنه ...وتكلم عنه بلسان صادق ...ونزيه ...ومحب ...ووضعه في المكانة المرموقة التي هو جدير بها ...ولذلك اعتذر للشيخ لانني لا استطيع ان اضيف لكل ماقيل فيه ...وماكتب عنه في الداخل والخارج ...وانا اكره التكرار ...والاجترار ..والكلام المعاد ...فاما ان اضيف ...واما ان اصمت ...

وانا ياشيخنا العزيز اقف امامك موقف من تعطلت عنده لغة الكلام ...وموقف من لا يملك لك الشهادة التي تشهد برجاحة عقلك ...ونقاوة نفسك ...وجمال أدبك

...وحلاوة شعرك ...وسلامة اختيارات مجلتك ...اما لو سمحت لي ايها الشيخ الوقور ان اتطفل فاختصر رسالتك في الحياة لقلت في كلمة : رسالتك تتلخص في الدفاع عن الإسلام ...

ومن هنا خطر على بالك دون عناء ...ودون تردد ان تختار لمجلتك اسم : "جوهر الإسلام " ...ولم يكن من السهل ان تتولى مهمة الدفاع عن الإسلام في حقبة داخلية اختلطت فيه الاوراق ...وتلبدت فيها السحب ...واختلط فيها الحابل بالنابل ...في حقبة اصبح فيها الاعتدال الإسلامي الذي هو جوهر الإسلام في خطر ...وعرضة للضرب والاعتداء والطمس والتشويه والتحيل والتبديل والانحراف ...وقد تصديت انت بمجلتك ...وقلمك ...وصوتك ...وخطبك ...وأفكارك النيرة ...وسماحتك ...وفهمك السليم لروح الإسلام ...واستيعابك لتراث وثقافة وتفكير ورؤية مجتمعك ...للانحراف ...

وكنت بهذا المعنى بطلا ...ورائدا ...وزعيما روحيا ...وكنت رسولا من رسل الفكرة الإنسانية ...ومدافعا شرسا من المدافعين الذين دافعوا عن الاعتدال الذي حفظ تونس من الغلو والتطرف والانحراف ... اذن رسالتك كانت رسالة حضارية باتم معنى الكلمة اشتركت في حملها والتعبير عنها ونشرها وتحويلها إلى هواء نقي يتنفسه التوانسة مع كل اولئك الكبار الذين خدموا تونس ...وكانوا لها بمثابة الحصن الحصين الذي حمى اصالتها وهويتها ودينها ولغتها وخصائصها التي تميزت بها على مر القرون والاجيال وفي مقدمتها خاصية الاعتدال والوسطية

ومن هنا ازعم انك واحد من اولائك الذين كانوا في حياتهم وفي فلسفتهم وتوجهاتهم العقلية والفكرية والثقافية يمارسون ذلك المبدا العظيم الذي لخصه كعب الاحبار في مصر بقوله : " من ارادها بسوء قصمه اللّه "...بمعنى انك وانت وامثالك من عظماء تونس كنتم ترفضون كل سوء بتونس ...وتجتهدون من اجل التصدي لكل سوء ...وتكافحون بالقلم والفكر والكلمة المسؤولة حتى لا يصيب تونس اي سوء في عقيدتها ...وجوهر إسلامها ...وهذه العبارة ايها الشيخ العزيز ...عبارة جوهر الإسلام هي كلمة السر في رحلتك الايمانية والفكرية ...بل هي مفتاح شخصيتك التي لم تعطها الجامعة التونسية حقها في البحث والدراسة والتحليل ...

ايها الشيخ الجليل : عذرا وعفوا ماكنت لاتجرا واكتب عنك هذه الكلمات المتواضعة الخجولة لولا الحاح العزيز ابنك البار محمد صلاح الدين المستاوي الذي لا ارفض له طلبا ...انك اكبر واعظم من كلماتي فرحمة من اللّه عليك دائمة ومتجددة وانك واللّه لمن احباب اللّه فانت اسم على مسمى فطوبى لك ...وان تونس مدينة لك بالعرفان والوفاء ...

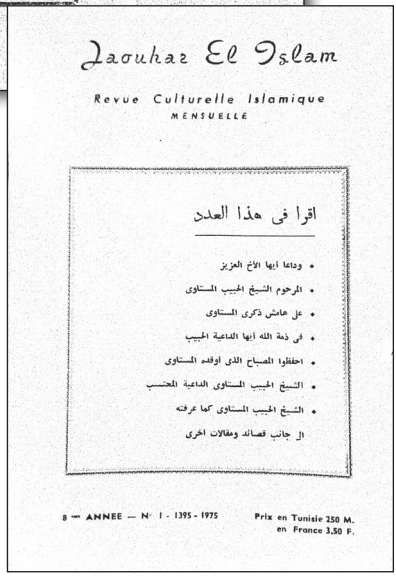

العدد الخاص(ع1/ س8) باربعينية فضيلة الشيخ الحبيب ا لمستاوي رحمه الله الصادر في سنة(1395هـ/ 1975م) المتضمن ما القي من كلمات رثاء وتابين بالإضافة الى بحوث أخرى واصداء الوفاة.

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 9/10 - 23ème année
Ramadhan 1446/Mars 2025

العدد 10/9 ـ السنة 23
رمضان 1446 هـ / مارس 2025 م